سلسلة الخطب المنبرية - خطب التوحيد

التوحيد

أهميته وما يتعلق به وما ينافيه

خطب جمعة ألقاها فضيلة الشيخ

أبو عبد الرحمن

رشاد بن أحمد الضالعي

حفظه الله تعالى

دار العلم النافع
للطباعة والنشر والتوزيع

التوحيد

أهميته وما يتعلق به وما ينافيه

اسم الكتاب: سلسلة الخطب المنبرية - خطب التوحيد أهميته وما يتعلق به وما ينافيه.
المؤلف: أبو عبدالرحمن رشاد بن أحمد الضالعي
مقاسات الكتاب: ١٧×٢٤
تاريخ التنسيق: ١٤٤٥هـ
الطبعة: (الأولى)
دار العلم النافع- الضالع - اليمن

سلسلة الخطب المنبرية - خطب التوحيد

التوحيد

أهميته وما يتعلق به وما ينافيه

خطب جمعة ألقاها فضيلة الشيخ

أبو عبد الرحمن

رشاد بن أحمد الضالعي

حفظه الله تعالى

دار العلم النافع

للطباعة والنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ.

أما بعد:

فإن الله سبحانه وتعالىٰ خلقَنا في هذه الدنيا لعبادته وحده لا شريك له، قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ۝٥٨﴾، فهذا هو المقصود الأعظم من وجودنا في هذه الدنيا، أن نحقِّق عبادة الله، فنفردَه سبحانه بالعبادة دون من سواه.

ولما كان هذا المقصدُ العظيمُ بهذه الأهمية والمنزلة كان من الواجب علىٰ المسلم أن يتعلَّمه أكثر من تعلُّمِ ما سواه؛ حتىٰ يحقِّق الغاية التي خلقه الله وأوجده في هذه الدنيا لأجلها.

وقد صار كثير من المسلمين اليوم جاهلين بهذا الشأن العظيم؛ بسبب إعراض كثير منهم عن تعلُّمه، وانشغالهم بأمر الدنيا، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

فمساهمةً في تعليم المسلمين هذا الواجب العظيم، ونظرًا لأن كثيرًا من المسلمين يتواجد في خطبة الجمعة، رأيتُ أن أُخصِّص خُطبًا من خُطب الجمعة لشرح هذا الأمر

وإيضاحه، بأسلوب علميٍّ سهلٍ واضحٍ مبنيٍّ علىٰ الأدلة من القرآن الكريم والسنة الصحيحة، فخطبتُ هذه الخطب المنتقاة في هذا الشأن، والتي بلغ عددها أربعا وعشرين خطبة، بدأتُ الخطبة الأولىٰ منها في الرابع والعشرين من شهر محرم لعام خمسة وأربعين وأربعمائة وألف، وكانت الخطبة الأخيرة منها في الثالث عشر من شهر شعبان من نفس العام، وقد تخلَّل ذلك خطبٌ أخرىٰ ليس متعلقة بهذا الموضوع اقتضتها المناسبة، وكان بعض إخواننا الفضلاء -جزاهم الله خيرا وبارك فيهم- يُفرِّغ الخطبة من التسجيل في كل أسبوع، ويعرضها عليَّ لمراجعتها فأراجعها ثم تُنشَر، حتىٰ اجتمعت هذه الخطب، فرغب بعض إخواننا بنشرها مجموعةً، فوافق ذلك رغبة عندي؛ لأهمية هذا الأمر، وحاجة المسلمين إليه، فعسىٰ أن يكون في نشرها نفعٌ وخير، ويستفيد منها الخطباء والدعاة وسائر الناس.

وقد رتَّبتُ هذه الخطب علىٰ ترتيب مفيد بإذن الله، كالتالي:

بدأتُ بذكر أهمية التوحيد، وفضله، وأقسامه.

ثم ذكرتُ كلمة التوحيد (لا إله إلا الله)، وتكلمت عن فضلها ومعناها وأركانها وشروطها.

ثم ذكرتُ الشرك، وتكلمت عن معناه، وبيان قُبحه، وأنه موجود في هذه الأمة، وهكذا ذكرت الأدلة الكثيرة في التحذير منه، وبيان خطره، وأقسامه.

ثم ذكرتُ أقوالا تنافي التوحيد.

ثم ذكرتُ أفعالا تنافي التوحيد.

ثم ختمتُ ذلك بخاتمة في أهمية تعلُّم التوحيد ووجوبه.

فأسأل الله الكريم أن ينفع بهذه الخطب، وأن يجعلها زادا يستفيد منها الخطباء والدعاة في كل مكان، وأن يجعلها ذُخرا لي يوم ألقاه، والحمد لله رب العالمين.

كتبه

أبو عبد الرحمن

رشاد بن أحمد الضالعي

في دار الحديث السلفية للعلوم الشرعية بالضالع

في ليلة الثامن والعشرين من شهر شوال لعام ١٤٤٥ من هجرة النبي صلىٰ الله عليه وسلم.

أهمية التوحيد

أهمية التوحيد

إن الحمد لله، نحمده تعالىٰ ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

اعلموا أن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس، يقول الله سبحانه وتعالىٰ في كتابه الكريم: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات: ٥٦-٥٨]، ففي هذه الآيات، يبين الله سبحانه وتعالىٰ أنه خلق العباد في هذه الحياة الدنيا من الجن والإنس لغاية واحدة، فكلُّ المكلفين من الإنس من بني آدم، ومن الجن من ذرية إبليس، كلُّهم خلقهم الله تعالىٰ لغاية واحدة، لم يخلقهم لشيء سوىٰ هذه الغاية، وهي عبادته سبحانه وحده لا شريك له، فإن هذه الآية فيها حَصْرٌ بأقوىٰ صيغ الحصر، وهو الاستثناء بعد النفي، ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾، أي ما أوجدتهم في هذه الحياة إلا لهذه الغاية، وتكفَّل الله بأرزاقهم، وما يحتاجون، لأجل تحقيق هذه الغاية، وأخبر أنه ليس بحاجتهم، ولا تزيده طاعتهم شيئًا، ولا تضره معصيتهم شيئًا، وإنما خلقهم ليقوموا بهذا الواجب فينفعوا أنفسهم، ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾، والمقصود من العبادة: التوحيد، أي عبادة الله تعالىٰ وحده دون ما سواه، فإن الذي يعبد الله ويعبد غير الله لا يكون عابدًا لله تعالىٰ حقـًا، فإن المشركين الذين بُعث فيهم نبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهكذا من قبله من الأنبياء، كانوا يعبدون الله، ولكنهم عبدوا غير الله مع الله، كان المشركون يصلُّون ويحجُّون ويتصدقون ويتقربون إلىٰ الله، ولكنهم خلطوا هذه العبادة بعبادةٍ صرفوها لغير الله سبحانه وتعالىٰ، فلم يعملوا بهذا المقصود الذي هو التوحيد.

ولذا لم يستغربوا دعوة الرسل إلىٰ عبادة الله؛ لأنهم كانوا يعبدون الله، وإنما استغربوا دعوتهم إلىٰ أن يُعبد اللهُ وحدَه، ورأوا هذا شيئا عجبا من الرسل كيف يدعونهم إلىٰ عبادة إله واحد، ﴿أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾ [ص: ٥]، وقال الله عن قوم هود: ﴿قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ [الأعراف: ٧٠]، فاعترضوا علىٰ الأنبياء حين دعوا إلىٰ عبادة الله وحده، ولم يعترضوا عليهم الدعوة إلىٰ عبادة الله عموما، فإنهم قد كانوا يعبدون الله، كانوا يصلون عند البيت وكانوا يتصدقون ويحجون ويعتمرون ويعتكفون، وكان يقول أحدهم في طوافه بالبيت إذا حج: (لبيك لا شريك لك، إلا شريكـًا هو لك)، فكانوا إذا وصلوا إلىٰ هذه الكلمة (لبيك لا شريك لك)، يقول النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «قَدْ، قَدْ»، أي: يكفي، فيقولون: (إلا شريكـًا هو لك، تملكه وما ملك)، بل ما عبدوا الأصنام والأوثان إلا لأجل أن تقربهم إلىٰ الله، فكانوا يعظمون الله أكثر من تعظيم الأصنام، وقالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]، أي نحن نعبد هذه الأوثان لتقرِّبَنا إلىٰ الله، فكان مقصودُهم أن يتقربوا إلىٰ الله، ولكن بعبادة غير الله –جل وعلا–، فكانوا بهذا مشركين، وكانوا من أهل النار –من مات منهم علىٰ ذلك–، وبهذا قاتلهم الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، واستحل دماءهم وأموالهم وسبىٰ نساءهم وذراريهم؛ لأنهم ليسوا من المسلمين، مع أنهم كانوا يعبدون الله؛ لكنَّهم لم يحققوا الغاية العظيمة، التي هي توحيد الله –جل وعلا–.

فأنت أيها المسلم يجب عليك أن تعرف هذا، ومن الخطأ العظيم أن يموت المسلم جاهلاً بهذه الغاية العظيمة، التي هي أعظم غاية وُجدْتَ في الدنيا لأجلها، أن توحِّد الله -جل وعلا- وتُفرده سبحانه بالعبادة.

قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: أَنَا أَغْنَىٰ الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**».(١) فكل من عمل عملاً أشرك غير الله مع الله؛ تركه الله وترك عمله.

فيا أيها المسلم اعرف الغاية التي خلقك الله تعالىٰ لأجلها، فالله خلقك لتقيم توحيده في الأرض، لتوحد الله بأقوالك وبأفعالك ومعتقداتك وبسائر شأنك، أن تعبد الله وحده لا شريك له، فالله خلقنا -جل وعلا- لذلك، لعبادته وتوحيده، وأول أمْرٍ أمَرَ الله به في القرآن، هو توحيد الله، افتح المصحف واقرأ سورة البقرة تجد أول أمر فيها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١﴾ [البقرة: ٢١]، وهكذا أول ما أُمِرَ به الرسول من أمر الدعوة هو هذا الأمر، وأول الآيات نزلت علىٰ الرسول في شأن الدعوة هي: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ٥﴾ [المدثر: ١-٥] أي اهجر الأصنام، اهجر الأوثان التي عبدها المشركون، اهجر ذلك كله، ووحِّد الله -جل وعلا-.

---

(١) رواه مسلم (٢٩٨٥ - ٤٦) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

هـذا أول أَمْـرٍ أُمِـرَ بـه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، لـتعلم أهميـة ذلـك، حتـىٰ عـرف منه ذلـك المؤمنـون والمشـركون، عرفـوا أن أول أمـر يـدعو إليـه هـو إفـراد الله –جـل وعـلا– بالعبادة، وهو التوحيد.

أبو سفيان لما ذهـب إلـىٰ الشـام في التجـارة فـدعاه ملك الـروم هرقـل، وقـد وصـلته رسالة من النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعوه فيهـا إلـىٰ الإسـلام، قـال هرقـل لأبـي سـفيان إلـىٰ ماذا يدعوكم محمد، قال: «**يَأْمُرُنَا أَنْ نَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ لاَ نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَيَنْهَانَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا**». [(١)] هذه دعوته التي بعث بها عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

وهكـذا في الحـديث الطويـل حـديث أم سـلمة عنـد الإمـام أحمـد في قصـة هجـرة الصـحابة إلـىٰ الحبشـة، لمـا جـاء المشـركون مـن أهـل مكـة يحرِّضـون النجاشـي علـىٰ الصحابة الذين هاجروا إلىٰ الحبشة، فقالوا له: إن هؤلاء أتوا بدين مُخترَع، لـم يـدخلوا في دينك –وكان نصـرانيـًا–، ولا في ديـن قـومهم، ولا في ديـن أحـد مـن الأمـم، فـدعاهم النجاشي، وقال لهم: ما هذا الدين الذي فارقتم به قومكم، ولم تـدخلوا في ديني ولا في دين أحد من الأمم، فقام جعفر بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فقال: (يَـا أَيُّهَـا الْمَلِـكُ، إِنَّـا كُنَّـا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ، نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ، وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ، وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ، وَنَقْطَعُ الْأَرْحَامَ، وَنُسِيءُ الْجِوَارَ، يَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَّا الضَّعِيفَ، فَكُنَّا عَلَىٰ ذَلِكَ، حَتَّىٰ بَعَثَ اللهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مِنَّا، نَعْرِفُ نَسَبَهُ، وَصِدْقَهُ، وَأَمَانَتَهُ، وَعَفَافَهُ، فَدَعَانَا إِلَىٰ اللهِ ؛ لِنُوَحِّدَهُ، وَنَعْبُدَهُ، وَنَخْلَعَ

---

(١) رواه البخاري برقم (٢٩٤١).

مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنَ الْحِجَارَةِ، وَالْأَوْثَانِ...). [(١)] ثم قرأ عليه شيئا من القرآن فقال النجاشي حين سمع منهم القرآن: (إِنَّ هَـٰذَا وَالَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ لَيَخْرُجُ مِنْ مِشْكَاةٍ)، وآمن بالرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو لم يره حين علم أن دعوته هي الدعوة إلىٰ توحيد الله -جل وعلا-.

فهذه أعظم دعوة وأعظم واجب عليك، ومن الخطأ العظيم أن يعيش المسلم جاهلاً بهذا الأمر العظيم، أمرٌ خلقك الله لأجله، أوجدك في هذه الدنيا لأجله؛ أيليق أن تُقصِّر فيه أو أن تجهل بعض أموره.

عاش نبينا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ منذ اللحظة الأولىٰ في بعثته إلىٰ آخر أنفاس حياته وهو يدعو إلىٰ التوحيد، لم يدع فرصة ولا مناسبة للدعوة إلىٰ هذا الأمر العظيم إلا دعا إليه.

بقي في مكة ثلاثة عشر عاماً لم يُفرض عليه شيء سوىٰ التوحيد، حتىٰ فُرضت الصلاة قبل الهجرة بيسير، ثلاثة عشر عاماً يدعو إلىٰ التوحيد، تنزل الآيات المكية فيها تقرير أمر التوحيد، ومُحاجَّة المشركين، ومجادلتهم لتقرير هذا الأمر العظيم، ثلاثة عشر عاماً ليس هناك شيء أساسي يدعو إليه كالتوحيد.

نعم، دعا إلىٰ مكارم الأخلاق، ومحاسن الأعمال، ودعا إلىٰ الصلاة في آخر العهد المكي، ووجبت عليه، ولكن أغلب دعوته كانت إلىٰ توحيد الله.

---

(١) رواه أحمد (١٧٤٠) بإسناد حسن.

ركب معاذُ بنُ جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يومًا مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في الصحيحين خ(٢٨٥٦) م(٣٠ -٤٩-) فقال: «**يَا مُعَاذُ، تَدْرِي مَا حَقُّ اللهِ عَلَىٰ الْعِبَادِ؟ وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَىٰ اللهِ؟**»، قَالَ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «**فَإِنَّ حَقَّ اللهِ عَلَىٰ الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوا اللهَ، وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقُّ الْعِبَادِ عَلَىٰ اللهِ** عَزَّوَجَلَّ **أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا**».

وركب معه ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يومًا كما في سنن الترمذي (٢٥١٦)، فقال: «**يَا غُلَامُ، إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ،** -لا تسأل غيره- **وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَىٰ أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَىٰ أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ**». غلامٌ صغيرٌ يعلِّمه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التوحيد ويلقِّنه ذلك، كان يُعلِّم الصغير والكبير، والمتعلم والجاهل.

أتاه معاوية بن الحكم السُّلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فأخبره أنه ضرب جارية له ويريد عتقها، قال: «**ائْتِنِي بِهَا قبل أن تعتقها**»، ليختبر توحيدها، فلما جاءت، قال لها: «**يا جارية أَيْنَ اللهُ؟**»، قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ، قَالَ: «**مَنْ أَنَا؟**»، قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، قَالَ: «**أَعْتِقْهَا، فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ**». [(١)] شهد لها بالإيمان لما سمع منها صلاح العقيدة.

وأتاه أبو جُرَيٍّ جَابِرُ بْنُ سُلَيْمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كما في سنن أبي داود (٤٠٨٤) وكان من الأعراب فقال له: أَنْتَ رَسُولُ اللهِ؟ قَالَ: «**أَنَا رَسُولُ اللهِ الَّذِي** -أي الله الذي- **إِذَا**

(١) رواه مسلم (٥٣٧).

أَصَابَكَ ضُرٌّ فَدَعَوْتَهُ كَشَفَهُ عَنْكَ، وَإِنْ أَصَابَكَ عَامُ سَنَةٍ -أي قحطٌ وجدب- فَدَعَوْتَهُ، أَنْبَتَهَا لَكَ، وَإِذَا كُنْتَ بِأَرْضٍ قَفْرَاءَ - أَوْ فَلَاةٍ - فَضَلَّتْ رَاحِلَتُكَ فَدَعَوْتَهُ، رَدَّهَا عَلَيْكَ».

فخاطبه النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بما يفهم ليقرِّر التوحيد عنده ويوضِّحه له.

كان يأتيه الأعرابي يتكلم بالكلام المخالف للتوحيد فلا يسكت حتىٰ يبين له، أتاه رجل كما في حديث ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، وقال له: مَا شَاءَ اللهُ، وَشِئْتَ، فَقَالَ لَهُ عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ: «أَجَعَلْتَنِي لِلَّهِ عَدْلًا؟» تجعلني مساويًا لله؟ تقول: ما شاء الله وشئت، «بَلْ مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ». [(١)] لم يكن ليسكت عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ علىٰ ذلك ولو من أعرابي.

أتاه ناس من الأعراب فقالوا: يا رسول الله! أَنْتَ سَيِّدُنَا. فَقَالَ: «السَّيِّدُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ»، قالوا: أنت أَفْضَلُنَا فَضْلًا، وَأَعْظَمُنَا طَوْلًا. فَقَالَ: «قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُمْ، وَلَا يَسْتَجْرِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ»، [(٢)] انتبهوا من استدراج الشيطان ببعض الألفاظ التي قد تخالف العقيدة والتوحيد.

وسمع عمرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يومًا في أول إسلامه يحلف بأبيه، فقال: «لَا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، فَمَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللهِ، وَإِلَّا فَلْيَصْمُتْ». [(٣)]

---

(١) رواه أحمد (١٨٣٩).

(٢) رواه أبو داود (٤٨٠٦) عن عبدالله بن الشخير رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٣) رواه البخاري (٦١٠٨)، ومسلم (١٦٤٦ -٣-) عن ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

وذلك لأن الحلف بغير الله ينافي التوحيد، ولذا قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك**».(١)

وخرج يومًا مع أصحابٍ له حُدثاء عهدٍ بإسلام، ليس لهم من إسلامهم إلا نحو عشرين يومًا، أسلموا يوم فتح مكة ثم خَرَجُوا معه إِلَىٰ حُنَيْنٍ، فَمَرُّوا بِشَجَرَةٍ لِلْمُشْرِكِينَ يُقَالُ لَهَا: ذَاتُ أَنْوَاطٍ. يُعَلِّقُونَ عَلَيْهَا أَسْلِحَتَهُمْ، -يقولون إن تعليق الأسلحة بهذه الشجرة يجعلها قوية- فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ -أي شجرة ذات معاليق- كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ -وكانوا حدثاء عهد بالإسلام- فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ : «**سُبْحَانَ اللهِ، هَذَا كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَىٰ:** ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾[سورة الأعراف:١٣٨] **وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَرْكَبُنَّ سُنَّةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ**».(٢) حين طلبوا مثل هذه الشجرة وظنُّوها تأتي بالبركة، فأنكر عليهم الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وأخبرهم أن هذا الطلب مشابهٌ لطلب المشركين إلها يعبدونه سوىٰ الله.

وهكذا كل حياته عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مع الصغير والكبير والذكر والأنثىٰ كان داعيًا إلىٰ توحيد الله، إلىٰ تحقيق هذا الأمر في الأقوال والأفعال والمعتقدات، وفي سائر شؤون حياته عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

أقول ما سمعتم، والحمد لله رب العالمين

(١) رواه أبو داود (٣٢٥١)، وأحمد (٦٠٧٢).

(٢) رواه الترمذي (٢١٨٠)، وأحمد (٢١٨٩٧)، عن أبي واقد الليثي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليما كثيراً.

أيها الناس! نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كما قضىٰ كل حياته في الدعوة إلىٰ هذا الأمر العظيم وهو توحيد الله -جل وعلا- كذلك كان في آخر حياته، ومات علىٰ ذلك.

جاء في صحيح مسلم (٥٣٢ -٢٣-) عن جندب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِخَمْسٍ، -أي في مرضه الذي مات فيه- وَهُوَ يَقُولُ: «**أَلَا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ، إِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ**». اتخاذ القبور مساجد ذريعة إلىٰ الشرك بالله، ذريعة إلىٰ عبادتها من دون الله، ذريعة إلىٰ تضييع التوحيد، فكان يحذر منه في آخر حياته وهو مريض.

بل وهو في سكرات الموت، ففي الصحيحين[1] عن عائشة وابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قالا: لَمَّا نَزَلَ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -أي نزل به الموت- طَفِقَ يَطْرَحُ خَمِيصَةً لَهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ -أي ثوبًا من شدة السكرات والكرب-، فَإِذَا اغْتَمَّ بِهَا -وانقطع نفسه- كَشَفَهَا عَنْ وَجْهِهِ، فَقَالَ وَهُوَ كَذَلِكَ -أي وهو يعاني سكرات الموت-: «**لَعْنَةُ اللهِ عَلَىٰ الْيَهُودِ، وَالنَّصَارَىٰ؛ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**». يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا.

(١) البخاري (٤٣٦)، ومسلم(٥٣١ -٢٢-).

لم ينسَ هذه الدعوة عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وهو في سكرات الموت (لعنة الله علىٰ اليهود والنصارىٰ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)، أي فاحذروا أن تصنعوا كما صنعوا، فإنكم إذا جعلتم القبور مساجد؛ عبدتم تلك القبور من دون الله، وأخللتم بتوحيد الله –جل وعلا– الذي خلقكم الله لأجله.

وهكذا حين يبعث الدعاة والعلماء من الصحابة إلىٰ البلدان، أولُ ما يحثهم علىٰ هذا الأمر، جاء في الصحيحين خ(٧٣٧٢) م(١٩ –٢٩–) عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لما بعث معاذًا إِلَىٰ الْيَمَنِ قال: «**إنك تأتي قومًا أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه أن يقولوا: لا إله إلا الله**»، جاء في رواية للبخاري: «**فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَىٰ أَنْ يُوَحِّدُوا اللهَ تَعَالَىٰ**». أول أمر تبدأ به، أول دعوة تدعو الناس إليها؛ أن يوحدوا الله –جل وعلا–، أن يعبدوا الله وحده لا شريك له، أن يحققوا هذه الغاية التي خلقهم لأجلها، وهكذا كل الأنبياء والرسل الذين بعثهم الله إلىٰ الأمم كانت بعثتُهم لأجل هذه الغاية، ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا﴾ لماذا؟ ﴿أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، اجتنبوا عبادة غير الله.

وبهذا جرىٰ تقدير الله تعالىٰ فقد مكَثَتْ البشرية عشرة قرون من بعد آدم ليس فيها شرك، فلم يبعث الله رسولاً حتىٰ وقع الشرك في الأرض في قوم نوح، فبعث الله نوحًا، كما قال ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ إن بين آدم وبين نوح عشرة قرون كلها علىٰ التوحيد، فلما وقع الشرك بعث الله الرسل؛ لأن هذا أعظمُ ذنب عُصي اللهُ تعالىٰ به، ذنبٌ ليس لصاحبه إلا النار ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ﴾

﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ٧٢﴾ [سورة المائدة:٧٢]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [سورة النساء:٤٨] ، فكل الذنوب مهما عظمت سوىٰ الشرك، يغفرها الله إن شاء لمن شاء من عباده، إلا الشرك فلا يغفره الله إلا بتوبة صادقة قبل الموت.

فيا عباد الله، هذا أعظم واجب أوجبه الله علينا، هذا الأمر الذي خلقنا الله لأجله، كم ممن ينتسب إلىٰ الإسلام اليوم يُخلُّون بهذا الواجب، ترىٰ ملايين ممن ينتسب إلىٰ الإسلام أخَلُّوا بهذا الأمر الذي خلقهم الله لأجله، ترىٰ الرافضة وهم ملايين حول العالم، يعبدون القبور ويدعون الحسين من دون الله، ويدعون علياً، ويدعون من زعموا أنهم من أوليائهم وأئمتهم، سوىٰ الله –جل وعلا–.

ترىٰ كثيرا من الصوفية مع كثرتهم حول العالم عاكفين علىٰ عبادة القبور، ودعاء الأولياء، وإذا نُصح أحدهم قال: هؤلاء صالحون، ونحن نتوسل بهم إلىٰ الله، نحن لا نعبدهم، ولكن نجعلهم وسيلة إلىٰ الله، حتىٰ إنَّ بعض الصوفية الذين كانوا في هذه البلدان يدعو إلىٰ التصوف كان يقول: أنت إذا أردت أن تدخل علىٰ مسؤول أو علىٰ ملك أو علىٰ كبير؛ تذهب إلىٰ رجل من أصحابه وجلسائه ليُدخلك عليه، ولا تدخل عليه مباشرة، فهكذا الله أنت تصل إلىٰ الله عبر هؤلاء الأولياء والصالحين. هكذا يقول لقصد الإضلال للناس والتلبيس عليهم.

وهذا فيه تنقُّص لله سبحانه وتسويةٌ له بالمخلوقين، حيث إنه جعل الوصول إليه لا يكون إلا عبر وسائط، وهذا هو عين شرك كفار قريش، فكفار قريش ما عبدوا الأصنام

والأولياء لأجل ذاتها، ولكن عبدوها لأجل أن توصلهم إلىٰ الله، قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣].

فملايين ممن ينتسب إلىٰ الإسلام اليوم يعيش علىٰ الشرك، وعلىٰ الإخلال بهذا الحق العظيم الذي هو توحيد الله -جل وعلا-.

فيا أيها المسلم هذا أهم واجب أوجبه الله عليك، ولا يجوز لمسلم أن يُعرِض عن تعلُّمه أو طلبه، فإن العلم منتشر بين الناس، والدعوة إلىٰ توحيد الله قائمة، فواجب علىٰ المسلم أن يطلب ذلك، وأن يتعلمه حتىٰ يعبد الله علىٰ بصيرة، حتىٰ ينجو في الدنيا والآخرة.

إن الإخلال بهذا الأمر ليس بالأمر اليسير، إن الإخلال بأمر التوحيد يترتب عليه إما مآل إلىٰ الجنة أو النار، إن الإخلال بهذا الأمر يترتب عليه أمور عظيمة من أحكام الدنيا وأحكام الآخرة، فواجب علىٰ المسلم أن يعتني بهذا الأمر الذي أوجبه الله عليه.

ولا سعادة للعباد ولا هداية لهم ولا أمن ولا استقرار ولا تمكين ولا تثبيت إلا بهذا الأمر العظيم، ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ أي: وحدوا الله وأخلصوا له ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ أي لم يخلطوا توحيدهم لله بالشرك ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [سورة الأنعام:٨٢]، لهم الأمن والهداية في الدنيا، ولهم الأمن والهداية في الآخرة.

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا﴾ [سورة النور:٥٥]، فإذا وُجدت عبادة

الله وعدم الإشراك به؛ حصل التمكين، وحصل الاستخلاف، وحصل للناس كلُّ خير، إذا أُقيم توحيد الله؛ فَشَتْ المعاملات الطيبة والأخلاق الحسنة في المجتمعات، فتوحيد الله كشجرة تَنبُت في الأرض وتحمل من أصناف الثمار، فالتوحيد شجرة تنبت في القلب فيتولد عنها الأعمال الصالحة والأخلاق الطيبة والعقائد المستقيمة وكل خير للناس.

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ وهي كلمة التوحيد: لا إله إلا الله، ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [سورة إبراهيم:٢٤-٢٥]، فهذه الشجرة المثمرة مثلٌ للتوحيد في قلب المؤمن يثمر كل خير في هذه الحياة، فلا صلاح للعباد ولا صلاح لحياتهم ولا أمن ولا استقرار ولا تمكين ولا استخلاف إلا بتحقيق هذه الغاية العظيمة التي أوجدنا الله في الدنيا لأجلها، فما وُجِدْنا لغاية غير هذه الغاية العظيمة، وهي توحيد الله -جل وعلا-، وكلُّ ما وراء هذا الغاية فهو تَبَعٌ لها.

فهذه نبذة عن أهمية التوحيد، وأهمية تعلُّمه، ووجوبه على العباد، وأنه لا يجوز الإخلال ولا التقصير فيه من أحد من المسلمين، ما دام قادراً على تعلمه وتعليمه، فيجب على المسلم أن يتعلمه، ويجب نشره وبَثُّه في الناس، يجب نشره في مجتمعات

المسلمين، في مدارسهم وجيوشهم، في رجالهم ونسائهم، يجب علىٰ من ولاه الله الأمر أن يفشي هذا الأمر وأن ينشره وأن يحث الناس علىٰ الأخذ به فإنه أمر عظيم.

وفيما يأتي -إن شاء الله- من جُمَعٍ نتكلم عما يتعلق بالتوحيد، وما هو الواجب علىٰ المسلم فيه، وما هو الذي ينافيه ويناقضه؟ لأن هذا الأمر كما سبق أهمُّ واجب علىٰ العباد أن يتعلموه.

فنسأل الله -جل وعلا- بأسمائه الحسنىٰ وصفاته العلىٰ أن يعيننا علىٰ ذكره وشكره وحسن عبادته. اللهم

إنا نسألك الهدىٰ والتقىٰ والعفاف والغنىٰ.

اللهم آتِ نفوسنا تقواها، وزكِّها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها.

اللهم اغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين.

اللهم اجعل بلدنا هذا آمنا مطمئنًا وسائر بلاد المسلمين.

اللهم آمِنَّا في أوطاننا، اللهم أصلح أئمتنا وولاة أمورنا، اللهم يسر لهم البطانة الصالحة التي تدلهم علىٰ الخير وتعينهم عليه.

اللهم ثبتنا علىٰ دينك حتىٰ نلقاك وأنت راض عنا برحمتك يا أرحم الراحمين.

والحمد لله رب العالمين.

٢٤ / محرم/ ١٤٤٥هجرية

بعض فضائل التوحيد

بعض فضائل التوحيد

إن الحمد لله، نحمده تعالىٰ ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

اعلموا أن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس، كان مما مضىٰ الحديث عنه ذِكْرُ أهمية توحيد الله عَزَّوَجَلَّ، وأن نبينا صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قضىٰ حياته بعد البعثة كلها في الدعوة إلىٰ هذا الأمر العظيم، وفي تقرير هذا الأمر العظيم الذي هو أهم واجب علىٰ العباد، وهكذا الأنبياء كان هذا من أهم ما دعوا إليه وبعثهم الله تعالىٰ من أجله، وأنه يجب علىٰ المسلم أن يتعلم ذلك، وأن يسأل عنه، وأن يبحث عنه، فإنه أهم ما أوجبه الله سبحانه وتعالىٰ عليه.

وهذا الأمر العظيم الذي هو توحيد الله عَزَّوَجَلَّ وإفراده بالعبادة وترك ما سواه من الأصنام والأوثان والأولياء والقبور التي تعبد من دونه؛ له فضائل عظيمة، له فضائل كثيرة في كلام الله وفي كلام رسوله عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ، إذا علمها المسلم كان هذا حافزا له إلىٰ الحرص علىٰ هذا الأمر العظيم.

فمن فضائله العظيمة؛ ما ورد في كلام الله سبحانه وتعالىٰ، فمن ذلك:

١- قول الله سبحانه وتعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [سورة الأنعام:٨٢]، (الذين آمنوا) وأعظم الإيمان توحيد الله سبحانه وتعالىٰ، آمنوا بالله ووحدوه، (ولم يلبسوا إيمانهم بظلم)، والظلم هنا هو الشرك كما فسره النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، أي لم يخلطوا توحيدهم بالشرك بالله، فإذاً عاشوا علىٰ التوحيد وابتعدوا عن الإشراك بالله سبحانه وتعالىٰ، ولم يخلطوا إيمانهم بالشرك بالله؛ (أولئك لهم الأمن، وهم مهتدون)، فهذا وعد من الله أنهم إن حققوا ذلك؛ لهم الأمن ولهم الهداية، الأمن في الدنيا والأمن في الآخرة، والهداية في الدنيا والهداية في الآخرة، فأعظم الناس أمنا، وأعظم الناس اهتداء؛ هم أهل توحيد الله

سبحانه وتعالىٰ، (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن) الأمن في الدنيا أمن من كل ما سوىٰ الله، وإن نزلت بهم مصائب وإن نزل بهم أعداء وإن احتفت بهم المكاره والكروب تجد قلوبهم آمنة مطمئنة بتوحيدهم لله سبحانه وتعالىٰ.

وهكذا لهم الأمن في الآخرة، فهم آمنون في قبورهم، آمنون يوم البعث يوم يفزع الناس ويخافون وأهل التوحيد يعطيهم الله -جل وعلا- أمنا في تلك المواقف العصيبة.

ولهم الهداية، يهديهم الله في الدنيا حين يضل الناس أو ينحرفون إذا قصروا في هذا الأمر العظيم، تجد الذي حقق توحيد الله علىٰ هداية إلىٰ أن يلقىٰ الله -جل وعلا- وهو علىٰ طريق الهداية، فوعد الله تعالىٰ أهله بهذا الوعد العظيم، ولا شك أن هذا حافز لكل مؤمن إلىٰ تحقيق التوحيد.

٢- وعد الله تعالىٰ أهله بالتمكين وبالاستخلاف وبالأمن في أوطانهم ومجتمعاتهم، ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ﴾ [سورة النور:٥٥]، فإذا لم يشركوا بالله شيئًا، وأفردوه بالعبادة؛ مكنهم الله في الأرض، مكن لهم الدين، استخلفهم في هذه الأرض فجعلهم خلفاء فيها، يفشو الأمن والأمان، وتفشو الطمأنينة والاستقرار بين الناس، إذا هم حققوا توحيد الله -جل وعلا-.

وانظر كيف كان الناس قبل بعثة الرسول عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لا يأمن الواحد منهم علىٰ نفسه ولا ماله ولا علىٰ أهله، كما قال جعفر رضي الله عنه للنجاشي: (يأكل القويُّ منا الضعيف)، لا يأمنون في أسفارهم ولا علىٰ ممتلكاتهم، فلما جاء الرسول ودعا إلىٰ توحيد الله -جل وعلا- حصل الأمن والاستقرار للناس، حتىٰ عاشوا في أهنأ عيش وأطيبه في هذا الجانب بتحقيقهم لتوحيد الله سبحانه وتعالىٰ.

هكذا من فضائله العظيمة:

٣- أن المسلم إذا حقق توحيد الله -جل وعلا- حبب الله إليه الإيمان، حبب إليه الدين، خفَّت عليه الطاعات وسهلت، وكره المعاصي وابتعد عنها، فهو يحقق توحيده لله سبحانه وتعالىٰ، فيقذف الله في قلبه إيمانا عظيماً، تزول الجبال ولا يزول، يجد في قلبه حبا للطاعات وتعلقاً فيها، ويجد من نفسه نشاطاً في فعلها ورغبة، ويكره المعاصي والمنكرات إذا حقق هذا الأمر العظيم.

وما مال أحد إلىٰ معصية الله وأحبها وتعلق بها وابتعد عن الطاعات أو كرهها وثقلت عليه إلا لقصور في تحقيقه لهذا الأمر العظيم، قال الله سبحانه وتعالىٰ في كتابه الكريم: ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ أَصۡلُهَا ثَابِتٞ وَفَرۡعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ٢٤﴾ [سورة إبراهيم:٢٤]. الكلمة الطيبة هي كلمة التوحيد، هي: لا إله إلا الله، هذه أطيب كلمة، والشجرة الطيبة، قال بعض المفسرين: هي النخلة أصلها ثابت في الأرض، وفرعها في السماء، وهكذا كلمة التوحيد هي ثابتة في قلب المؤمن، ويتفرع عنها كل خير، قال الله سبحانه: ﴿تُؤۡتِيٓ أُكُلَهَا﴾ أي هذه الشجرة ﴿كُلَّ حِينِۭ

بِإِذۡنِ رَبِّهَاۗ﴾ تُخرج أصناف الثمار بإذن ربها، قال الله بعدها: ﴿وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ۝٢٥﴾ [سورة إبراهيم:٢٥]، أي أن هذا مثل لهذه الكلمة العظيمة إذا ثبتت في قلب المؤمن تثمر كل خير، تثمر اليقين، تثمر حب الطاعات، تثمر بغض المعاصي، تثمر المعاملة الطيبة، تثمر الأخلاق الحسنة، تثمر كل خير، ولذا كان الأنبياء الذين حققوا هذا الأمر العظيم هم أعظم الناس أعمالاً وأحسنهم أخلاقا وأطيبهم معاملة حين حققوا هذا الأمر العظيم.

٤- تثبيت الإنسان علىٰ الخير فلا يبغي بطاعة الله بدلاً، ولذا فأبو سفيان كما في الصحيحين(١) لما سأله هرقل ملك الروم حين أتاه كتاب الرسول عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قال له هرقل: هل يرتد أحد من أصحاب محمد بعد أن يدخل في دينه سَخْطَةً له؟ هل أحد من أصحابه يدخل معه ثم يرتد كرهًا للدين؟ قال أبو سفيان: لا. أي لا أحد من أصحاب محمد يدخل فيه ثم يرتد عنه، فقال هرقل: كذلك الإيمان إذا خالط بشاشة القلوب، أي إذا ثبت الإيمان وتوحيد الله -جل وعلا- في القلب واختلط به ثبت العبد علىٰ الإيمان وثبت علىٰ الطاعات وابتعد عن كل ما يخالف ذلك بتوحيده لله سبحانه وتعالىٰ.

من فضائل هذا الأمر العظيم الذي هو توحيد الله -جل وعلا-:

(١) البخاري(٧)، ومسلم(١٧٧٣).

٥- أن قبول الطاعات والأعمال متوقف عليه، فإذا كان العبد مشركًا غير موحد لله سبحانه وتعالىٰ فلا يقبل الله تعالىٰ عمله، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في صحيح مسلم (٢٩٨٥ -٤٦-) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، في الحديث القدسي، «**قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: أَنَا أَغْنَىٰ الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**»، فلا يقبل الله تعالىٰ من العمل إلا ما كان خالصًا له وأفرده العبدُ به، فإذا وجد عمل من الأعمال أراد به الإنسان غير الله أو أراد الله وأراد مع الله غيره؛ لا يقبله الله والله غني عنه.

وجاء في صحيح مسلم (٢١٤ -٣٦٥-) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها قالت: يَا رَسُولَ اللهِ، ابْنُ جُدْعَانَ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَصِلُ الرَّحِمَ، وَيُطْعِمُ الْمِسْكِينَ، فَهَلْ ذَاكَ نَافِعُهُ؟ -وهو مشرك مات في الجاهلية كان يصل الرحم ويطعم المسكين ويفعل ويفعل هل ذلك نافِعُه؟- قال: «**لَا يَنْفَعُهُ، إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْمًا: رَبِّ، اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ**»، لا ينفعه ذلك ولا يقبل الله تعالىٰ منه، لأنه لم يكن من المسلمين الموحدين لله سبحانه وتعالىٰ، بل كان من الكافرين المشركين، فمهما عمل من الطاعات لا يقبل الله تعالىٰ عمله، ولا ينفعه عمله لأنه من المشركين.

هكذا من فضائله:

٦- أن العبد إذا حقق توحيد الله -جل وعلا- صار ما معه من العمل القليل كثيراً، صار ما معه من العمل القليل عظيمًا، فيكرمه الله تعالىٰ بتعظيم عمله الصالح ومغفرة ذنوبه وسيئاته إن وجدت منه، لتحقيقه لتوحيد الله سبحانه وتعالىٰ، جاء في صحيح

مسلم (٢٦٨٧ -٢٢-) عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**يقول الله تعالىٰ: مَنْ لَقِيَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطِيئَةً لَا يُشْرِكُ بِي شَيْئًا، لَقِيتُهُ بِمِثْلِهَا مَغْفِرَةً**»، من لقيني بقراب الأرض أي بذنوب تقارب مِلأ الأرض سوىٰ الشرك، ارتكب ذنوبًا، ولكنه حقق توحيد الله، إما أنه عمل ذنوبًا كثيرة ثم لم يتمكن من التوبة منها بَاغَتَهُ الأجل، أو أنه كان يريد التوبة وينويها ولكنه لم يفعل، فلقي الله تعالىٰ بالذنوب، وفي قلبه من الإيمان بالله وتوحيده ومحبته والإخلاص له، وهكذا لم يقترف شركًا، ولم يخالف توحيد الله؛ فيغفر الله تعالىٰ له.

بل جاء في حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عند الإمام أحمد (٦٩٩٤) والترمذي (٢٦٣٩) في قصة صاحب البطاقة وهو رجل يأتي يوم القيامة فينشر له تسعة وتسعون سجل من سجلات الخطايا والذنوب، كلُّ سجل منها مدَّ البصر، فيقول الله تعالىٰ له: «**أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟**» هل تنكر من هذه الذنوب شيئًا فيقول: لا يا رب، فيقول: «**أَظَلَمَتْكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُونَ؟**» هل زادوا عليك ما ليس من ذنوبك؟ يقول: لا يا رب، يعرفها كلها يقول: «**إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ، وَإِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً وَاحِدَةً**»، فتخرج له بطاقة مكتوب فيها: لا إله إلا الله، يقال له: احضر وزنك، فيقول: يا رب، وماذا تغني هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ ماذا تغني هذه البطاقة الواحدة مع تسعة وتسعين سجلا من السيئات؟ فيحضر وزنه فتوضع السجلات في كفة من الميزان، وتوضع لا إله إلا الله في كفة، قال: «**فطاشت بهن لا إله إلا الله، وَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللهِ شَيْءٌ**»، صار العمل القليل الذي قدمه هذا الإنسان كثيراً بتوحيده لله.

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ بمعنىٰ كلام له: (ولو نظرنا في هذا الحديث نجد أن كثيراً من المسلمين معه هذه البطاقة، ولكن أخبرَنا الرسول أن من المسلمين من يدخل النار ويُعذَّب إذا كان عنده كبائر، فلماذا هذا الرجل نفعته هذه البطاقة مع هذه السجلات العظيمة؟ بينما غيره من الناس يدخل النار ومعه هذه البطاقة؟)؟

والجواب عن ذلك كما قال رحمه الله: (أن هذا الرجل وُجِدَ في قلبه من تعظيم الله وتوحيده والإخلاص له والمحبة والذل والخضوع له شيء عظيم، جعل لهذه البطاقة منزلة عظيمة).

فتحقيق العبد لتوحيد الله وتعظيمه لأمر التوحيد وإخلاصه لله ومحبته له؛ يُكثِّر الله تعالىٰ به عمله، ويضاعف الله به طاعته، يكون العمل القليل في حقه كثيراً وعظيماً يلقىٰ الله سبحانه وتعالىٰ به.

فهذه من فضائل توحيد الله -جل وعلا- التي يكتسبها العبد إذا حقق التوحيد.

أقول ما سمعتم.

والحمد لله رب العالمين.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليما كثيراً.

أيها الناس، من فضائل توحيد الله -جل وعلا- والإخلاص له:

٧- **ما جاء في صحيح البخاري** (٩٩) عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أنه قال: يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فقال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ: لا إله إلا الله. خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ** -أو قال- **مِنْ نَفْسِهِ**».

فأسعد الناس بشفاعة الرسول عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ هم أهل الإخلاص والتوحيد، من قال: لا إله إلا الله، خالصاً من قلبه، هذا أسعد الناس بشفاعة الرسول عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ يوم القيامة، ومعناه أن الله رضيه ورضي عمله؛ لأن الشفاعة لا تكون إلا لمن رضيه الله ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [سورة الأنبياء:٢٨]، ﴿۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ [سورة النجم:٢٦].

فهذا الموحد المخلص لله -جل وعلا- رضيه الله ورضي عمله، فشفَّع فيه رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، بل كان من أسعد الناس بشفاعة الرسول عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ

من فضائله أيضا:

٨- **أن صاحبه مآله إلىٰ الجنة**، الموحد لله -جل وعلا- المخلص لله -جل وعلا- من أهل الجنة، وإن عُذب بذنوب ارتكبها، فإن أهل السنة يؤمنون أن من مات علىٰ

كبائر من كبائر الذنوب، كالقتل أو السرقة أو الزنا أو شرب الخمر أو أكل الربا أو أكل مال اليتيم، وغيرها من الكبائر يكون تحت مشيئة الله، إن شاء الله غفر له، وإن شاء عذبه في النار، لكن ما دام موحداً لم يحصل منه شرك بالله؛ فمآله إلىٰ الجنة، وإن ناله قبل ذلك ما ناله، وإن أصابه ما أصابه، فلن يُخلد في النار.

جاء في صحيح مسلم (٩٣ -١٥١-) عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رجلاً أتىٰ النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فقال: يَا رَسُولَ اللهِ مَا الْمُوجِبَتَانِ؟ أي ما هي الخصلتان اللتان توجب الجنة والنار؟ قال: «**مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ**».

وفي صحيح مسلم (٢٦ -٤٣-) عن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ مَاتَ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لا إله إلا الله دَخَلَ الْجَنَّةَ**».

وفي الصحيحين[(١)] عن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**مَنْ شَهِدَ أَنْ لا إله إلا الله، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَىٰ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ؛ أَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ عَلَىٰ مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ**».

---

(١) البخاري(٣٤٣٥)، ومسلم(٢٨ -٤٦-) .

قال أهل العلم: علىٰ ما كان من العمل؛ أي مهما كان عمله قليلاً أو كثيراً، مهما كان عمله إن عمل طاعة أو معصية، ما دام أنه لم يشرك بالله وعاش موحداً لله فهو يدخل الجنة.

وفي الصحيحين خ(٥٤٠١) م(٣٣ -٢٦٣-) عن عتبان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**إِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَىٰ النَّارِ مَنْ قَالَ: لا إله إلا الله. يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ**».

يقول: لا إله إلا الله ويخلص فيها ويفعل ما دلت عليه؛ حرمه الله علىٰ النار، لا يدخل النار.

بل إن حقَّق التوحيد -وتحقيق التوحيد يكون بعبادة الله وحده والبعد عن الشرك، وبفعل الطاعة والبعد عن المعصية- إن حقق ذلك لا يُعذَّب، بل يدخل الجنة بغير حساب ولا عذاب، جاء في الصحيحين خ(٧٣٧٣) م(٣٠ -٤٩-) عن معاذ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أن النبي عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ قال له: «**يَا مُعَاذُ، تَدْرِي مَا حَقُّ اللهِ عَلَىٰ الْعِبَادِ؟ وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَىٰ اللهِ؟**»، قَالَ: قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «**فَإِنَّ حَقَّ اللهِ عَلَىٰ الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوا اللهَ، وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقُّ الْعِبَادِ عَلَىٰ اللهِ** عَزَّوَجَلَّ **أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا**». هذا حق لهم أوجبه الله علىٰ نفسه ألا يعذب من لا يشرك به شيئًا، فلا يعذب الله من لا يشرك به.

بل في الصحيحين خ(٥٧٠٥) م(٢٢٠ -٣٧٤-) عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**عُرضت عليَّ الأمم فرُفع لي سواد عظيم**» أي بشر كثير فقيل له:

«**هَذِهِ أُمَّتُكَ وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ**»، سبعون ألفا من هذه الأمة، جاءت رواية صحيحة: «**مع كل ألف سبعون ألفـًا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب**»، فسألوا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من هم؟ قال: «**هُمُ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ**» لا يطلبون من غيرهم أن يرقيهم، «**وَلَا يَتَطَيَّرُونَ**»، لا يتشاءمون، «**وَلَا يَكْتَوُونَ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**»، انظر إلىٰ هؤلاء الذين حققوا توحيد الله وتعلَّقت قلوبهم بالله حتىٰ في أمور هي في الأصل مباحة، فطلب الرقية من الغير جائز، لكن لتعلُّق القلوب بالله، ولكمال التوحيد لم يطلبوها من غيرهم، وهكذا الكي يجوز التداوي به مع كراهته، ولكنهم تركوه مع جوازه تعلقـًا بالله واعتمادا عليه لكمال توحيدهم، فكان جزاؤهم أن دخلوا الجنة بغير حساب ولا عذاب، فإذا كان العبد محققـًا لتوحيد الله –جل وعلا– وقام في قلبه مقامـًا عظيمـًا، يكرمه الله –جل وعلا– بهذه الكرامة فيدخل الجنة بغير حساب ولا عذاب.

من فضائله أيضا:

٩- **عصمة المال والدم**، فمن وحَّد الله تعالىٰ عُصِم ماله ودمه، ومن لم يوحد الله لا يعصم ماله ولا دمه، ففي الصحيحين خ(٢٥) م(٢٢ -٣٦-) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّىٰ يَشْهَدُوا أَنْ لا إله إلا الله وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا، عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ، وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا، وَحِسَابُهُمْ عَلَىٰ اللهِ**».

وفي صحيح مسلم (٢٣ -٣٧-) عن طارق بن أشيم قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «مَنْ قَالَ: لا إله إلا الله، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مَنْ دُونِ اللهِ، حَرُمَ مَالُهُ، وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلَىٰ اللهِ». وفي رواية لمسلم: «مَنْ وَحَّدَ اللهَ».

فهذا أيها المسلم أعظم واجب أوجبه الله عليك، هذه بعض فضائله، وغيرُها كثير، ولكن هذه إشارة إلىٰ شيء منها، تدعو العبد إلىٰ تعلمه والبحث عنه وتحقيقه وعمارة الحياة كلها بإقامته لله سبحانه وتعالىٰ، فهذا أمر عظيم وهو في هذه المنزلة العالية من الدين، فنسأل الله -جل وعلا- أن يكرمنا بتوحيده، نسأل الله -جل وعلا- أن يتوفانا علىٰ التوحيد والسنة. اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا علىٰ دينك.

اللهم أعنا علىٰ ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.

اللهم إنا نسألك الهدىٰ والتقىٰ والعفاف والغنىٰ.

اللهم آت نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها.

اللهم اغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين.

اللهم اجعل بلدنا هذا آمنا مطمئناً وسائر بلاد المسلمين.

اللهم إنا نعوذ بك من الفتن ما ظهر منها وما بطن.

اللهم أصلح أئمتنا وولاة أمورنا، اللهم أعنهم علىٰ ما هم فيه مما فيه نفع للإسلام والمسلمين، ووفقهم للخير يا رب العالمين. اللهم يسر لهم البطانة الصالحة التي تدلهم علىٰ الخير وتحثهم عليه إنك علىٰ كل شيء قدير.

والحمد لله رب العالمين - ٢/ صفر/ ١٤٤٥هجرية

أقسام التوحيد

أقسام التوحيد

إن الحمد لله، نحمده تعالىٰ ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

اعلموا أن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس، كان مما مضىٰ الحديث عنه ذكر أهمية توحيد الله، وذكر شيء من فضائله وثمراته التي تترتب عليه في الدنيا والآخرة.

وقد دلَّ استقراء القرآن العظيم علىٰ أن هذا التوحيد الذي هو أعظم واجب علىٰ العبيد ينقسم إلىٰ ثلاثة أقسام، وبمعرفة هذه الأقسام؛ يعرف العبد معنىٰ التوحيد، بمعرفة هذه الأقسام؛ يقدر العبد علىٰ تحقيق توحيد الله سبحانه وتعالىٰ.

وهذه الأقسام التي دل عليها استقراء القرآن، والتي ذكرها كثير من أهل العلم وأئمة الدين هي:

١- توحيد الألوهية.

٢- وتوحيد الربوبية.

٣- وتوحيد الأسماء والصفات.

ولا يتم توحيد العبد إلا بتحقيق التوحيد بهذه الأقسام كلها.

توحيد الله تعالىٰ في ألوهيته وأنه الإله المعبود وحده لا شريك له، وتوحيد الله تعالىٰ في ربوبيته وأنه الرب الخالق المالك المدبر، وتوحيد الله تعالىٰ في أسمائه وصفاته.

وقد دل عليها قول الله سبحانه وتعالىٰ: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ٦٥﴾ [سورة مريم:٦٥]، فقد تضمنت هذه الآية أقسام التوحيد الثلاثة، ودل عليها قول الله سبحانه وتعالىٰ: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥﴾

[سورة الفاتحة:١-٥]، بل القرآن كله من أوله إلىٰ آخره وكلُّ آية منه؛ في الدعوة إلىٰ توحيد الله سبحانه وتعالىٰ وفيما هو من مقتضياته ومستلزماته.

فالقرآن لا يخرج في مدلولاته الرئيسية عن ثلاثة أقسام، دعا القرآن إلىٰ ثلاثة أشياء رئيسية:

١- دعا القرآن إلىٰ عبادة الله وحده لا شريك له، دعا إلىٰ تحقيق حق الله وحث علىٰ حق الله، وما له من الأسماء والصفات، وهذا القسم الأول الذي تضمنه القرآن.

٢- والقسم الثاني ما فيه من الأوامر والنواهي والأحكام.

٣- والقسم الثالث ما فيه من القصص والأخبار عن السابقين، وما فيه من الأخبار عن الغيبيات والأمور المستقبلة.

فلا يخرج ما في القرآن عن هذه الثلاثة المقاصد الرئيسية، وكلها دعوة إلىٰ التوحيد، إما أمر بعبادة الله وتعظيمٌ لله وبيان حقه؛ وهذا هو التوحيد، وإما الأمر والنهي وسائر الأحكام، وهذه من مستلزمات التوحيد، فإن امتثال الأمر واجتناب النهي من تحقيق توحيد الله تعالىٰ، وإما قصص وأخبار، قصص الصالحين الموحدين وكيف أكرمهم الله وأنجاهم وأعزهم، وقصص المخالفين للرسل المشركين بالله وكيف أهلكهم الله ودمرهم، وكل ذلك دعوة إلىٰ التوحيد، فقصص المؤمنين الموحدين الصادقين داعية إلىٰ توحيد الله حتىٰ يحصل للموحد كما حصل لهم من النصر والعز والتمكين والنجاة والسلامة، وقصص المشركين المخالفين للرسل داعية إلىٰ التوحيد محذرة للعبد من فعل هؤلاء المشركين، حتىٰ لا يصيبه ما أصابهم من العقوبة والنكال في الحياة الدنيا.

فالقرآن إذاً كما قال الإمام ابن القيم: كلُّ آية في كتاب الله هي متضمنة للتوحيد داعية إليه، وذلك لأهمية هذا الأمر العظيم [(١)].

فكانت معرفة أقسام التوحيد الثلاثة وفهمها مما يعين العبد علىٰ تحقيق توحيد الله -جل وعلا-.

---

(١) قال ابن القيم في مدارج السالكين (٣/ ٤٥٠): (بَلْ نَقُولُ قَوْلًا كُلِّيًّا: إِنَّ كُلَّ آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ فَهِيَ مُتَضَمِّنَةٌ لِلتَّوْحِيدِ، شَاهِدَةٌ بِهِ، دَاعِيَةٌ إِلَيْهِ، فَإِنَّ الْقُرْآنَ: إِمَّا خَبَرٌ عَنِ الله، وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ، فَهُوَ التَّوْحِيدُ الْعِلْمِيُّ الْخَبَرِيُّ يعني توحيد الربوبية والأسماء والصفات.

وَإِمَّا دَعْوَةٌ إِلَى عِبَادَتِهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَخَلْعُ كُلِّ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِهِ، فَهُوَ التَّوْحِيدُ الْإِرَادِيُّ الطَّلَبِيُّ يعني توحيد الألوهية.

وَإِمَّا أَمْرٌ وَنَهْيٌ، وَإِلْزَامٌ بِطَاعَتِهِ فِي نَهْيِهِ وَأَمْرِهِ، فَهِيَ حُقُوقُ التَّوْحِيدِ وَمُكَمِّلَاتُهُ.

وَإِمَّا خَبَرٌ عَنْ كَرَامَةِ الله لِأَهْلِ تَوْحِيدِهِ وَطَاعَتِهِ، وَمَا فَعَلَ بِهِمْ فِي الدُّنْيَا، وَمَا يُكْرِمُهُمْ بِهِ فِي الْآخِرَةِ، فَهُوَ جَزَاءُ تَوْحِيدِهِ.

وَإِمَّا خَبَرٌ عَنْ أَهْلِ الشِّرْكِ، وَمَا فَعَلَ بِهِمْ فِي الدُّنْيَا مِنَ النَّكَالِ، وَمَا يَحِلُّ بِهِمْ فِي الْعُقْبَى مِنَ الْعَذَابِ، فَهُوَ خَبَرٌ عَمَّنْ خَرَجَ عَنْ حُكْمِ التَّوْحِيدِ.

فَالْقُرْآنُ كُلُّهُ فِي التَّوْحِيدِ وَحُقُوقِهِ وَجَزَائِهِ، وَفِي شَأْنِ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ وَجَزَائِهِمْ فَـ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ تَوْحِيدٌ، ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ تَوْحِيدٌ، ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ تَوْحِيدٌ، ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ تَوْحِيدٌ، ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ تَوْحِيدٌ. ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ تَوْحِيدٌ، ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ تَوْحِيدٌ مُتَضَمِّنٌ لِسُؤَالِ الْهِدَايَةِ إِلَى طَرِيقِ أَهْلِ التَّوْحِيدِ الَّذِينَ أَنْعَمَ الله عَلَيْهِمْ، ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ الَّذِينَ فَارَقُوا التَّوْحِيدَ). انتهى كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

القسم الأول منها: توحيد الله تعالىٰ في ألوهيته، وهو بمعنىٰ أن يُفرَد الله تعالىٰ بأفعال العباد، أن تكون أفعال العباد كلها لله سبحانه وتعالىٰ وحده لا شريك له، صلاتهم وصيامهم ودعاؤهم ونذرهم وطوافهم واعتكافهم وذبحهم وتقربهم لله سبحانه وتعالىٰ، وهكذا خوفهم ورجاؤهم وتوكلهم ورغبتهم ورهبتهم، كل ذلك لله سبحانه وتعالىٰ وحده، فهذا توحيد الألوهية، أن يجعل العبد كل أفعاله التي هي من العبادات لله سبحانه وتعالىٰ، لا يشرك فيها مع الله أحدا، لا يدعو غير الله، ولا يخاف غير الله كما يخاف الله، ولا يتقرب إلىٰ غير الله بأي شيء من أنواع العبادات، قال الله سبحانه: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ﴾ [سورة النساء:٣٦]، اعبدوا الله أي: اجعلوا كل عباداتكم لله، لا تشركوا به في ذلك أحدا، ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [سورة الإسراء:٢٣]، ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [سورة البينة:٥]، هذا الذي أُمر العباد به أن يخلصوا العبادة لله -جل وعلا- وحده.

ويجب علىٰ العبد أن يتعلم ما هي العبادة، يجب علىٰ العبد أن يعرف ما هي العبادات حتىٰ لا يصرف شيئاً منها لغير الله، فإن الإنسان قد يكون جاهلاً بمعنىٰ العبادة فيفعل بعض الأفعال لغير الله ويخفىٰ عليه أنها عبادة.

والعبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة، فكل قول وكل فعل يحبه الله ويرضاه فهو من العبادات، لا يجوز أن تصرفه لغير الله -جل وعلا-، فإن الإله واحد ولا يجوز للمسلم أن يتخذ إلها مع الله، ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٥١﴾﴾ [سورة النحل:٥١]، ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾﴾ [سورة الإسراء:٢٢]، ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ

ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ﴾ [سورة القصص:٨٨]، فالإله واحد، ﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ﴾ أي في السماوات والأرض ﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ﴾ [سورة الأنبياء:٢٢]، لو كان في السماوات والأرض إله غير الله لفسدت السماوات والأرض ولَمَا استقام أمرهما ولا صلح حالهما، فالإله واحد يجب علىٰ العبد أن يفرده بالعبادة وأن يخلع عبادة ما سواه، وهذا أهم واجب عليك أيها المسلم، خلقك الله لأجله، أوجدك في الحياة لتحقيقه، أن تعبد الله وحده لا شريك له.

سأل النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معاذا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، كما في الصحيحين خ(٢٨٥٦) م(٣٠ - ٤٩-) فقال: «**يَا مُعَاذُ، تَدْرِي مَا حَقُّ اللهِ عَلَىٰ الْعِبَادِ؟**»، قَالَ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «**فَإِنَّ حَقَّ اللهِ عَلَىٰ الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوا اللهَ، وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا**». هذا حق أوجبه الله علىٰ كل مسلم أن يعبدوه سبحانه ولا يشركوا به شيئًا.

وقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ وَحَّدَ اللهَ**» وفي رواية: «**مَنْ قَالَ: لا إله إلا الله، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلَىٰ اللهِ**». [(١)]

هذا هو الذي أوجبه الله علىٰ العبد، أن يوحد الله -جل وعلا-، وأن يخلع كل من سواه، فعبادة العبد بأي نوع من العبادات سواء كان بالصلاة والسجود أو بالذبح أو بالنذر أو بالدعاء أو بالخوف أو الرجاء أو التوكل أو كان بالحلف باللسان أو كان ببعض الألفاظ في اللسان، صرفُها لغير الله ينافي هذا التوحيد، وهذا القسم من التوحيد هو الذي دعت إليه كل الرسل، فكل الرسل بعثهم الله بالدعوة إلىٰ هذا التوحيد،

(١) رواه مسلم (٢٣ -٣٧-)، وأحمد (١٥٨٧٥)، عن طارق بن أشيم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [سورة النحل:٣٦]، اعبدوا الله اجعلوا عبادتكم لله واجتنبوا الطاغوت، والطاغوت هو كلُّ ما يُعبَد من دون الله، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [سورة الأنبياء:٢٥]، هذا الذي أوحاه الله إلىٰ كل الرسل، أنه لا إله إلا هو سبحانه وتعالىٰ، فواجب عبادته وإفراده بذلك، وهذا النوع من التوحيد هو معنىٰ شهادة أن لا إله إلا الله، فمن أتىٰ به فقد حقق شهادة أن لا إله إلا الله.

القسم الثاني من أقسام التوحيد: توحيد الله في ربوبيته، وهو إفراد الله بأفعاله، فنعتقد أنه هو الرب، أنه هو الخالق الرازق المدبر المحيي المميت، الذي يعز من يشاء ويذل من يشاء، الذي يعطي الملك من يشاء وينزعه ممن يشاء، الذي يرفع من يشاء ويخفض من يشاء، كل ذلك من ربوبيته سبحانه، فهو الرب لا رب سواه، وهو الخالق لا خالق غيره، وغير الله لن يخلقوا شيئًا مهما بلغوا، لا رازق إلا الله وغير الله لن يرزق شيئًا، وإن أجرىٰ الله تعالىٰ أسباب الرزق علىٰ يد بعض خلقه لكن الرزَّاق هو الله، والله هو المدبر المتصرف في الكون هو الذي يدبر أمر هذا الكون، ولا أحد يقدر علىٰ مشاركته سبحانه وتعالىٰ في ذلك أو فعل شيء في خلقه سواه سبحانه، قال الله سبحانه: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [سورة الأعراف:٥٤]، وقال الله سبحانه وتعالىٰ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾﴾ [سورة الفاتحة:٢]، ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ

﴿رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [سورة الروم:٤٠]، كل ذلك لله، هو المنفرد به وحده سبحانه دون من سواه.

وهذا النوع من التوحيد فُطر عليه الخلق، هذا النوع من التوحيد كان المشركون الأولون في زمن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقبلَه يقرُّون به في الجملة، ويؤمنون به ولا يخالفون فيه، وقد دل القرآن علىٰ ذلك كثيرا، قال الله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾﴾ [سورة العنكبوت:٦١]، إذا سألتَ المشركين يا رسول الله: من خلق السماوات والأرض؟ ومن سخر الشمس والقمر؟ ليقولن: الله، لا يخالفون في ذلك، ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [سورة العنكبوت:٦٣]، لا يخالفون في ذلك، ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾ [سورة يونس:٣١] لا يخالفون فيه، كانوا يقرون به عمومـًا، ﴿قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [سورة المؤمنون:٨٤-٨٩] هذه الآيات كلها في المشركين، وفيها أنهم كانوا يُقرُّون بهذا التوحيد ولا يخالفون فيه، وهذا في الجملة عمومـًا وإن وُجِدَ من بعضهم شرك في ذلك، إلا أنهم في الأصل كانوا مُقرِّين به.

وهذا النوع من التوحيد لا يكفي في دخول العبد في الإسلام، فقد أخبر الله عن كفار قريش وغيرهم من مشركي العرب أنهم كانوا يقرون به ولم ينفعهم ذلك، ولم يدخلهم في الإسلام.

وفي هذا النوع من التوحيد يخطئ بعض الكُتَّاب اليوم وبعض المؤلفين، ويقولون: إنه هو التوحيد الذي دعت إليه الرسل، وهو التوحيد الذي يَدخل به العبد في الإسلام، وهذا من الخطأ الكبير.

نعم، هو مما دعت إليه الرسل، ولكن النوع الأول الذي هو توحيد الألوهية كان هو المقصود الأعظم للرسل؛ لأن هذا النوع من التوحيد وهو الربوبية لم يخالف فيه كبير أحد، بل الفطرة تدل عليه، وإنما خالف فيه عُتاة الخلق المتجبرون منهم، وكانت مخالفتُهم فيه عن جحود واستكبار مع إقرارهم به في نفوسهم، كفرعون الذي قال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ٢٤﴾ [سورة النازعات:٢٤] فادَّعىٰ الربوبية، وكالنمرود الذي كان ملكا في زمنه وهو الذي حاجَّه إبراهيم، ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ﴾-النمرود- ﴿أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ﴾ [سورة البقرة:٢٥٨] أُتيٰ برجلين من السجن قد حُكم عليهما بالقتل، فعفا عن أحدهما وقتل الآخر، قال: ألم أقل لك أني أحيي وأميت، فهذا أحييته وكان محكوماً عليه بالقتل، وذاك قتلته، ففَلَجَهُ إبراهيم بالحجة، قال له إبراهيم: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ﴾ [سورة البقرة:٢٥٨].

والشاهد من هذا أن هذا النوع من التوحيد لم يخالف فيه إلا عتاةٌ من عتاة الخلق في الأزمنة الأولىٰ، وخالف فيه أناسٌ من عتاة الخلق في هذه الأزمنة كالدهريين

والطبائعيين والشيوعيين وأمثالهم الذين يُكذِّبون بتوحيد الربوبية استكبارا وعنادا ونفوسهم تكذبهم بذلك.

فإذا، هذان قسمان، القسم الأول هو المقصود الأعظم من بعثة الرسل، وهو الذي يدخل به العبد في الإسلام، والقسم الثاني هو أيضـاً مما دعت إليه الرسل، ولكنه لا يكفي وحده في الدخول في الإسلام، فإنه قد أقرَّ به المشركون ولم ينفعهم ذلك.

نسأل الله تعالىٰ التوفيق والسداد.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليما كثيراً.

أيها الناس.

القسم الثالث من أقسام التوحيد؛ توحيد الأسماء والصفات، فالله تعالىٰ له أسماء وله صفات، وتوحيده فيها سبحانه أن نفرده بذلك، أن نفرد الله -جل وعلا- بما سمىٰ أو وصف به نفسه أو سماه أو وصفه به رسوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فما سمىٰ الله به نفسه أو سماه به رسوله أو وصف به نفسه أو وصفه به رسوله فواجب علينا أن نفرده بذلك ولا نُسوِّي به غيره فيه، فإن الله ليس كمثله شيء، كما قال الله سبحانه: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ [سورة الشورىٰ:١١]، إذا، هو منفرد في الأسماء والصفات، وقال الله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰۚ﴾ [سورة النحل:٦٠]، أي ليس لغيره مثل الذي له، وقال الله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ [سورة الأعراف:١٨٠]، أي وليس ذلك لغيره، وقال الله تعالىٰ: ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ٦٥﴾ [سورة مريم:٦٥]، هل تعلم من يساميه ويساويه ويماثله؟ لا يمكن أن يوجد ذلك، وقال الله تعالىٰ في سورة الإخلاص التي هي صفة الله -جل وعلا- كما جاء في الصحيحين(١) عن عائشة في قصة صاحب السرية الذي بعثه الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فكان يصلي بأصحابه إمامًا ويختم الصلاة بـ ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١﴾ [سورة الإخلاص:١]، فَلَمَّا رَجَعُوا ذَكَرُوا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «**سَلُوهُ**

(١) البخاري(٧٣٧٥)، ومسلم(٨١٣ -٢٦٣-).

لِأَيِّ شَيْءٍ يَصْنَعُ ذَلِكَ؟». فَسَأَلُوهُ، فَقَالَ: لِأَنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ، وَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَقْرَأَ بِهَا. فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللهَ يُحِبُّهُ**». فهذه السورة سورة الإخلاص صفة الرحمن، وانظر ماذا قال الله فيها! كيف أفرد نفسه فيها! ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾، هو أحد في أسمائه وفي صفاته وفي ذاته وفي ألوهيته وفي ربوبيته لا يساويه أحد، ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [سورة الإخلاص:١-٤]، ليس له من يكافئه ولا من يساويه -جل جلاله- سبحانه وتعالىٰ، فهذا توحيد الأسماء والصفات نفرد الله -جل وعلا- بما له من الأسماء وبما له من الصفات، فإنه لا يساويه فيها أحد.

ويذكر أهل العلم أن أسماء الله تعالىٰ نوعان:

١- **أسماء لا تطلق إلا علىٰ الله** -جل وعلا- كاسم الجلالة (الله) وكـ(الرحمن) وكـ(الأحد) و(الصمد) ونحوها من الأسماء التي لا تطلق إلا علىٰ الله -جل وعلا- ولا يجوز أن يسمىٰ بها غير الله، فلا يجوز أن يسمىٰ أحد بـ(الرحمن) ولا بـ(الصمد) ولا بـ(الله) ولا بـ(الأحد) هذه أسماء خاصة بالله.

٢- **ومنها أسماء أُطلقت في القرآن علىٰ الله وأُطلقت علىٰ غيره**، سمىٰ الله بها نفسه وسمىٰ بها بعض خلقه، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾ [سورة الشورىٰ:١١]، قال ذلك في نفسه، وقال في الإنسان:﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٢﴾ [سورة الإنسان:٢]، فسمىٰ نفسه بـ(السميع البصير) واطلق علىٰ المخلوق (سميعا بصيرا)، سمىٰ نفسه بـ(الملك) فقال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ﴾ [سورة الحشر:٢٣]، وسمىٰ بعض خلقه

بـ(الملك) ﴿قَالُواْ نَفۡقِدُ صُوَاعَ ٱلۡمَلِكِ﴾ [سورة يوسف:٧٢]، سمىٰ نفسه بـ(العزيز) فقال تعالىٰ: ﴿ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ﴾ [سورة الحشر:٢٣]، وسمىٰ بعض خلقه بـ(العزيز) ﴿قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ﴾ [سورة يوسف:٥١]، سمىٰ نفسه بـ(الرؤوف الرحيم) فقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٤٣﴾ [سورة البقرة:١٤٣]. وقال: ﴿إِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٌ ٧﴾ [سورة النحل:٧]، وأطلق علىٰ بعض خلقه (الرؤوف الرحيم) ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨﴾ [سورة التوبة:١٢٨]، فهذه الأسماء كما قال أهل العلم توحيد الله تعالىٰ فيها بأن تُستعمل في حق الله بالمعنىٰ الذي يليق بالله، وأما إذا استعملت في غيره فهي علىٰ حسب نقص ذلك المخلوق، ففي حق الله تليق بكماله وجلاله، وفي حق المخلوق تناسب عجزه وقصوره، وأما إذا لوحظ في اسم المخلوق المعنىٰ الذي هو في اسم الله فيجب تغييره، ولذا غيَّر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ أبا الحكم حين لوحظ فيه معنىٰ اسم الله تعالىٰ، مع أن غيره من الصحابة كان يسمىٰ بالحكم ولم يغيَّره الرسول عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فلَمَّا وَفَدَ هانئ بن يزيد رضي الله عنه إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ مَعَ قَوْمِهِ سَمِعَهُمْ يُكَنُّونَهُ بِأَبِي الْحَكَمِ، فَدَعَاهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «**إِنَّ اللهَ هُوَ الْحَكَمُ، وَإِلَيْهِ الْحُكْمُ، فَلِمَ تُكَنَّىٰ أَبَا الْحَكَمِ؟**»، فَقَالَ: إِنَّ قَوْمِي إِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ أَتَوْنِي فَحَكَمْتُ بَيْنَهُمْ، فَرَضِيَ كِلَا الْفَرِيقَيْنِ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «**مَا أَحْسَنَ هَذَا، فَمَا لَكَ مِنَ الْوَلَدِ؟**». قَالَ: لِي شُرَيْحٌ وَمُسْلِمٌ وَعَبْدُ اللهِ. قَالَ: «**فَمَنْ أَكْبَرُهُمْ؟**». قُلْتُ: شُرَيْحٌ. قَالَ: «**فَأَنْتَ أَبُو شُرَيْحٍ**».(١)

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٨١١) وأبو داود (٤٩٥٥) من طريق يَزِيدِ بْنِ الْمِقْدَامِ بْنِ شُرَيْحِ بْنِ هَانِئٍ =

فهذا الرجل لما لوحظ في اسمه المعنىٰ الذي هو الحُكم بين الناس غيَّره الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

فهذه الأسماء التي تطلق علىٰ الله وتطلق علىٰ غيره، إذا أُطلقت علىٰ الله فمعناها يليق بجلال الله وكماله سبحانه، وأما إذا أُطلقت علىٰ المخلوق فمعناها يناسب حال المخلوق وضعْفَه وقصوره، أما إذا لوحظ في اسم المخلوق المعنىٰ الذي هو لله فهذا يُغيَّر كما غيَّر النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبا الحكم إلىٰ أبي شريح، وإلا فالأصل هو إفراد الله بما سمىٰ به نفسه أو سماه به رسوله أو وصف به نفسه أو وصفه به رسوله، فكل ما له من الأسماء والصفات لا يماثله أحد فيها لا في لفظها ولا في معناها، فله من لفظها اللفظ الكامل التام وله من معناها المعنىٰ الذي لا يساويه فيه أحد، فهذا القسم الثالث من أقسام التوحيد؛ توحيد الأسماء والصفات، فلا يتم توحيد العبد إلا بهذه الثلاثة من أنواع التوحيد وأقسامه التي دل عليها كلام الله -جل وعلا- في كتابه والتي دعا إليها القرآن من أوله إلىٰ آخره، فهو كله في الدعوة إلىٰ هذه الثلاثة الأقسام فمن حققها وآمن بها نجا في الدنيا والآخرة.

نسأل الله -جل وعلا- أن يعلِّمنا ما ينفعنا وأن ينفعنا بما علمنا وأن يرزقنا علما ينفعنا .

=

الْحَارِثِيِّ، عَنْ أَبِيهِ الْمِقْدَامِ، عَنْ شُرَيْحِ بْنِ هَانِئٍ قَالَ: حَدَّثَنِي هَانِئُ بْنُ يَزِيدَ به. وهذا إسناد حسن، رجاله ثقات غير يزيد بن المقدام فهو صدوق.

اللهم أعنا علىٰ ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.

اللهم إنا نسألك الهدىٰ والتقىٰ والعفاف والغنىٰ.

اللهم آتِ نفوسنا تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها.

اللهم اغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين.

٩ / صفر/ ١٤٤٥هجرية

معنى لا إله إلا اللّه وأركانها وبعض فضائلها

معنى لا إله إلا اللّه وأركانها وبعض فضائلها

إن الحمد لله، نحمده تعالىٰ ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

اعلموا أن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس، كان مما مضىٰ الحديث عنه ذكرُ شيءٍ من فضل توحيد الله تعالىٰ ومنزلته وأهميته، وذكرُ أقسامه التي إذا حققها العبد حقق هذا التوحيد، وإن من المهم معرفته في هذا الباب؛ معرفة كلمة التوحيد وما تضمنته من المعنىٰ العظيم، وما يتعلق بها من الأركان والفضائل.

فكلمة التوحيد هي كلمة الإخلاص وهي: (لا إله إلا الله) التي خلق الله تعالىٰ السماوات والأرض لأجلها، والتي بعث الله تعالىٰ الرسل وأنزل الكتب لأجل إقامة ما تضمنته هذه الكلمة العظيمة، هذه الكلمة هي كلمة الإخلاص لما فيها من الإخلاص لله، وهي كلمة التوحيد لأنها وحَّدت الله تعالىٰ ودلت علىٰ إفراده بالعبادة بأقوىٰ صيغ الحصر وهو الإثبات بعد النفي.

هذه الكلمة أوجب الله تعالىٰ علىٰ خلقه أن يعلموا معناها فإنها أساس الدين وأصل الإسلام، قال الله -سبحانه وتعالىٰ- لنبيه: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا﴾ [سورة محمد:١٩]، اعلم يا رسول الله أنه لا إله إلا الله، وهذا أمر له عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وهو أمر لأمته تبعا له، أمر له وأمر لكل الأمة أن يعلموا أنه: لا إله إلا الله.

[أسماء وأوصاف كلمة التوحيد: لا إله إلا الله]

هذه الكلمة العظيمة وصفها الله تعالىٰ في كتابه بأحسن الوصف، وسماها بأفضل الأسماء:

١- **سَمَّاها الكلمة الطيبة**، فهي أطيب كلمة علىٰ الإطلاق: ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ﴾ [سورة إبراهيم:٢٤].

٢- **وسماها بالعروة الوثقىٰ**، ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [سورة البقرة:٢٥٦]، قال كثير من المفسرين: هي: لا إله إلا الله.

٣- **وسماها بالكلمة العليا** فلا كلمة أعلىٰ من هذه الكلمة، ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ﴾ [سورة التوبة:٤٠].

٤- **وسماها بكلمة التقوىٰ**، ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [سورة الفتح:٢٦].

٥- **وسماها بالكلمة الباقية**، ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [سورة الزخرف:٢٦-٢٨].

٦- **وسماها بالقول الثابت**، ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ﴾ [سورة إبراهيم:٢٧].

٧- **وسماها بالحسنىٰ** لأنه لا أحسن منها، فقال تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾﴾ [سورة الليل:٥-٧]، قال ابن عباس ومجاهد وكثير من المفسرين: هي: (لا إله إلا الله).

٨- **وسماها النبي ﷺ بكلمة الإخلاص**، ففي مسند الإمام أحمد عَنْ بْنِ عَبْدِالرَّحْمَنِ بْنِ أَبْزَىٰ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا أَصْبَحَ يَقُولُ: «**أَصْبَحْنَا**

عَلَىٰ فِطْرَةِ الْإِسْلَامِ، وَكَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ، وَدِينِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمِلَّةِ أَبِينَا إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا، مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ» (١).

فهذه الأوصاف العظيمة وغيرها في القرآن والسنة تدل علىٰ أهمية هذه الكلمة، تدل علىٰ عظمة هذه الكلمة التي هي كلمة الإسلام، كلمة التوحيد، كلمة الإخلاص، التي من قام بها فهو الموحد المخلص لله -سبحانه وتعالىٰ-.

[معنىٰ لا إله إلا الله]

ويجب علىٰ العبد أن يعرف معنىٰ هذه الكلمة، فإن كثيراً من المسلمين يجهل معنىٰ هذه الكلمة، ويُفَسِّرُها بغير تفسيرها، ومعرفةُ معناها من الأهمية بمكان في هذا الدين، وقد بين الله تعالىٰ معناها في كتابه بقوله -جل وعلا-: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [سورة الحج:٦٢]، فالله هو الحق، وعبادته هي الحق، وما دُعي من دون الله وعُبد مما سواه فهو باطل، هذا هو معنىٰ كلمة الإخلاص (لا إله إلا الله)، معناها: لا معبود بحق إلا الله، وكل ما عُبد من دون الله فعبادته باطلة، فـ(لا إله إلا الله)، الإله بمعنىٰ المعبود، فـ(لا إله) أي لا معبود، والمراد بقوله؛ (لا إله) أي لا معبود بحق لا معبود علىٰ وجه صحيح إلا الله -سبحانه وتعالىٰ، وكل ما عُبد من دون الله من الأصنام والأوثان والأحجار والأشجار والجن والملائكة والأنبياء

(١) أخرجه أحمد (١٥٣٦٧) فقال: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ سُفْيَانَ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ بْنُ كُهَيْلٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبْزَى، عَنْ أَبِيهِ، هذا إسناد حسن؛ رجاله كلهم ثقات إلا عبد الله بن عبد الرحمن بن أبزى فهو صدوق.

والرسل والصالحين والأولياء فعبادته باطلة، فلا معبود عبادةً بحق إلا الله –سبحانه وتعالىٰ–، وكل من عبد من دون الله بأي عبادة كانت ظاهرة أو باطنة قولية أو فعليه؛ فعبادته باطلة، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ﴾ [سورة الحج:٦٢]، قال النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ** ... –إلىٰ أن قال– **أَنْتَ الْحَقُّ**». (١) أنت الحق في أسمائك وفي صفاتك وفي أفعالك، وعبادتك هي الحق وكل ما سوىٰ ذلك باطل، ولذا جاء في صحيح البخاري (٣٨٤١) ومسلم (٢٢٥٦) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قَالَهَا الشَّاعِرُ، كَلِمَةُ لَبِيدٍ: أَلاَ كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلاَ اللهَ بَاطِلٌ**».

المشركون الأوائل علموا معنىٰ هذه الكلمة، في حين يجهلها اليوم كثير ممن ينتسب إلىٰ الإسلام، فبعض الناس يفسر (لا إله إلا الله) بقوله: (لا خالق إلا الله، أو لا رازق إلا الله، أو لا مدبر إلا الله، أو لا قادر علىٰ الاختراع إلا الله)، وكل هذا من الخطأ، فليس في كلام الله ولا كلام رسوله ولا في لغة العرب ولا في كلام السلف تفسير الإله بالخالق الرازق، وإنما الإله هو المعبود، وهذه الكلمة أنت تقول فيها: (لا إله إلا الله) أي لا معبود، ولا تقول: (لا رب إلا الله)، فمن الخطأ تفسير هذه الكلمة بمعنىٰ الربوبية كما يفعله كثير من المسلمين.

---

(١) رواه البخاري (٧٩٤٤)، ومسلم (٧٦٩ –١٩٩–)، عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا .

ومن الخطأ أيضا تفسير هذه الكلمة بقول بعض الناس: (لا حاكم إلا الله)، فهذا ليس معنىٰ هذه الكلمة، نعم لا شك أنه لا حاكم إلا الله، ولا رازق إلا الله، ولا خالق إلا الله؛ وكلُّ هذا يجب الإيمان به واعتقاده، لكن ليس هذا هو معنىٰ الكلمة، فهذه الكلمة في الإله، والإله هو المعبود، فلا معبود علىٰ وجه الحق والصدق إلا الله -سبحانه وتعالىٰ-.

ولذا لما كانوا عربا في زمن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فهموا معنىٰ هذه الكلمة وامتنعوا من قولها؛ لأنهم يعلمون أنهم لو قالوها لكفروا بكل آلهتهم، لكفروا باللات والعزىٰ ومناة وسائر الأصنام، ولذا لما قال لهم الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «قولوا: لا إله إلا الله»، قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا﴾ [سورة ص:٥]، أجعل المعبودات معبودا واحدا إن هذا لشيء عجاب، تعجبوا من هذه الدعوة وامتنعوا من قول لا إله إلا الله؛ لأنهم يعلمون معناها.

وهود عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لما قال لقومه: قولوا: لا إله إلا الله، ﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِنَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَحۡدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ [سورة الأعراف:٧٠]، علموا معنىٰ هذه الكلمة، واليوم تجد بعض من ينتسب إلىٰ الإسلام يقول: لا إله إلا الله، وهو يدعو غير الله، يقول: لا إله إلا الله وهو يتقرب إلىٰ غير الله بالذبح أو النذر أو التوسل أو غير ذلك، يقول: لا إله إلا الله وهو يشرك بالله، فهذا ما فهم معنىٰ لا إله إلا الله، ولو فهم معنىٰ لا إله إلا الله لعلم أنه لا يجوز أن يُؤَلَه وأن يُعبَد أحدٌ إلا الله -سبحانه وتعالىٰ-، لو علم معنىٰ لا إله إلا الله لما صرف لغير الله شيئًا من العبادات.

بعض من ينتسب إلىٰ الإسلام اليوم كان المشركون في الزمن الأول أعلم منه بمعنىٰ لا إله إلا الله؛ لأنهم أبوا أن يقولوها حين علموا معناها، وهذا يقولها ويخالفها بأفعاله، أين لا إله إلا الله في حق من يدعو سوىٰ الله؟ أين لا إله إلا الله في حق؟ من يتقرب إلىٰ غير الله بأي نوع من العبادات، أليس يقول لا إله إلا الله؟ فما باله قد جعل إلها آخر مع الله -جل وعلا- يعبده ويتقرب إليه، فلا إله إلا الله هي تحقيق التوحيد، لا إله إلا الله هي توحيد الألوهية أن يُفرَد الله -جل وعلا- بأفعال العباد، فمن الواجب عليك أيها المسلم أن تعلم معنىٰ لا إله إلا الله، فإنه من أوجب العلوم التي أوجبها الله -سبحانه وتعالىٰ- عليك.

[أركان لا إله إلا الله]

لا إله إلا الله، هذه الكلمة العظيمة لها ركنان عظيمان، لا تتحقق إلا بهما، تضمنت هذه الكلمة ركنين هما ركنا التوحيد وهما: (النفي والإثبات).

١- **فالنفي** في قوله: (لا إله) أي أنفي جميع الآلهات لا أثبت إلاهية أيِّ إله.

٢- **والإثبات** (إلا الله) أي إلا الله -سبحانه وتعالىٰ-، أي استثني الله -جل وعلا- هو الذي أثبت له الألوهية، هو الذي أثبت له استحقاق العبادة، وأما غيره من الخلق فلا يستحق الألوهية، فهذه أركان هذه الكلمة: أن تنفي الآلهات بقولك وفعلك، كل الآلهات سوىٰ الله تنفيها لا تثبت منها شيئًا، **فمن صرف عبادة لغير الله** فقد أثبت إلها مع الله.

ومن دعا غير الله فإنه لم ينفِ الألوهية عما سوىٰ الله، بل أثبت إلها مع الله.

من حلف بغير الله معظما له فقد أثبت إلها مع الله يستحق أن يُعظَم كما يعظم الله – جل وعلا–.

من أحب غير الله كمحبته لله أو أشد فقد أثبت إلها مع الله –جل وعلا–.

قال الله عن المشركين أنهم يقولون يوم القيامة: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٩٧ إِذۡ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٩٨﴾ [سورة الشعراء:٩٧-٩٨]. كنا في ضلال حين سوينا غير الله بالله في أي شيء من الأمور، فمن سوَّىٰ غير الله بالله فقد أثبت إلها مع الله.

فلا بد أولاً من نفي الآلهات سوىٰ الله –جل وعلا–، ثم الإثبات في قوله: (إلا الله)، يثبت الإلهية الحق لله –سبحانه وتعالىٰ– وحده، قال الله سبحانه: ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ﴾ [سورة البقرة:٢٥٦]، وهذا النفي هو الكفر بكل ما سوىٰ الله، ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ﴾ [سورة البقرة:٢٥٦]، هذا الذي حقق التوحيد هو الذي حقق معنىٰ لا إله إلا الله، كفر بالطاغوت وآمن بالله، ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ٢٦﴾ [سورة الزخرف:٢٦]، أنا بريء من كل آلهتكم التي تعبدونها من دون الله ﴿إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي﴾ [سورة الزخرف:٢٧]، إلا الذي خلقني فإنه سيهدين، إلا الله –جل وعلا–، ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [سورة النحل:٣٦]، فهذه هي أركان لا إله إلا الله التي يتم بتحقيقها تحقيق هذه الكلمة العظيمة، وقال النبي

عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**مَنْ قَالَ: لا إله إلا الله،** [وفي رواية لمسلم: «مَنْ وَحَّدَ اللهَ»] **وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلَىٰ اللهِ**». (١)

فمن قال: لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله، فهذان هما ركنا هذه الكلمة العظيمة كلمة التوحيد التي هي أعظم كلمة ولا تتحقق إلا بهذين الركنين.

فعلىٰ العبد أن يعلم ذلك وأن يجتهد في تحقيقه، وأن يسعىٰ في تعلمه؛ فإنه أهم ما يتعلمه المؤمن، أقول ما سمعتم.

والحمد لله رب العالمين

(١) رواه مسلم (٢٣ -٣٧-)، وأحمد (١٥٨٧٥)، عن طارق بن أشيم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليما كثيراً.

[بعض فضائل لا إله إلا الله]

أيها الناس، هذه الكلمة العظيمة كلمة التوحيد هي أعظم كلمة يقولها العبد، هي أعظم كلمة يرددها المؤمن، لا كلمة أعظم من هذه الكلمة علىٰ الإطلاق، قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَفْضَلُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لا إله إلا الله وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ**»(١).

هذه الكلمة وردت لها في القرآن والسنة الفضائل الكثيرة في الدنيا والآخرة، ومن تأمَّل ذلك علم ما لها من الأهمية العظيمة، حتىٰ إنَّ النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أخبر أنها أثقل من كل شيء حتىٰ من السماوات والأرض، السماوات السبع بما فيها وبخلقها العظيم، والأرضين السبع بما فيها وبخلقها العظيم، هذه الكلمة أعظم منها وأثقل، جاء في الحديث الذي أخرجه أحمد (٦٥٨٣) وغيره عن عبدالله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، في قصة وصية نوح لولده، قال النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**إِنَّ نَبِيَّ اللهِ نُوحًا** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قَالَ لِابْنِهِ: إِنِّي قَاصٌّ عَلَيْكَ الْوَصِيَّةَ: آمُرُكَ بِاثْنَتَيْنِ، وَأَنْهَاكَ عَنِ اثْنَتَيْنِ،**

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ -رواية أبي مصعب الزهري (٦٢١)- عَنْ زِيَادِ بْنِ أَبِي زِيَادٍ، عَنْ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ الله بْنِ كَرِيزٍ، أن رسول الله ﷺ، قَالَ: فذكره. وهذا مرسل صحيح الإسناد، وله شاهد مرسل عن المطلب بن عبد الله ابن حنطب أخرجه إسماعيل بن جعفر في حديثه (٣٦٩) بسند صحيح، فالحديث حسن من هذين الطريقين.

آمُرُكَ بِلا إله إلا الله، فَإِنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرَضِينَ السَّبْعَ لَوْ وُضِعَتْ فِي كِفَّةٍ، وَوُضِعَتْ لا إله إلا الله فِي كِفَّةٍ: رَجَحَتْ بِهِنَّ لا إله إلا الله، وَلَوْ أَنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرَضِينَ السَّبْعَ كُنَّ حَلْقَةً مُبْهَمَةً -أي حلقة مغلقة لا ينفذ منها شيء- **قَصَمَتْهُنَّ لا إله إلا الله**»، إلىٰ آخر الحديث.

فنوح عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يوصي ولده بهذه الوصية العظيمة أوصاه باثنتين: إحداهما (لا إله إلا الله)، وذكر له ما لها من الفضل العظيم حتىٰ إنَّ السماوات السبع والأرضين السبع بما فيها لو وُضِعَتْ في كِفَّة من الميزان ووضعت هذه الكلمة العظيمة في كفة لثقلت بهن (لا إله إلا الله).

وجاء في حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا عند الإمام أحمد (٦٩٩٤) والترمذي (٢٦٣٩)، في قصة صاحب البطاقة وهو رجل يحاسبه الله يوم القيامة، تعرض عليه سجلات ذنوبه وعددها تسعة وتسعون سجلاً، كل سجل منها مدَّ البصر من الذنوب والخطايا، فإذا عرضت عليه يظن أنه قد هلك، فيقال له: «**أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟**» هذه الذنوب وهذه السيئات هل تنكر منها شيئا؟ يقول: لا يا رب، «**أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُونَ؟**» يقول: لا يا رب ويظن أنه قد هلك، فيقول الله تعالىٰ له: «**إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ**»، فتخرج له بطاقة مكتوب فيها: (لا إله إلا الله)، ويقال له: «**احْضُرْ وَزْنَكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ، قال: فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كَفَّةٍ، وَالْبِطَاقَةُ فِي كَفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ، وَثَقُلَتِ الْبِطَاقَةُ، فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللهِ شَيْءٌ**». طاشت تلك السجلات وخفت، وثقلت لا إله إلا الله، لا يثقل مع اسم

الله شيء، كلمة عظيمة، ومن عظمتها ما لها من المنزلة العظيمة، تطيش هذه السجلات أمام هذه الكلمة إذا قالها العبد بصدق وإخلاص وذل وخضوع وانقياد لا يثقل مع اسم الله شيء، فهذه الكلمة لها فضل عظيم.

أيضا جاء في حديث معاذ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عند أحمد (٢٢٠٣٤) وأبي داود (٣١١٦)، أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لا إله إلا الله دَخَلَ الْجَنَّةَ**». ولذا جاء في حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عند ابن حبان (٣٠٠٤)، قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**لَقِّنُوا مَوْتَاكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَإِنَّهُ مَنْ كَانَ آخِرُ كَلِمَتِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ عِنْدَ الْمَوْتِ، دَخَلَ الْجَنَّةَ يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ، وَإِنْ أَصَابَهُ قَبْلَ ذَلِكَ مَا أَصَابَهُ**». فمن قال هذه الكلمة؟ فهو من أهل الجنة.

وإذا حققها فتحرم عليه النار، فإن الله حرام علىٰ النار من قال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله، ولذا النبي عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ دخل علىٰ عمه أبي طالب وهو في السكرات، فقال له: «**يَا عَمِّ، قُلْ: لا إله إلا الله؛ كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللهِ**»، [1] أبو طالب الذي عاش حياته كلها علىٰ الشرك والكفر لو قال هذه الكلمة قبل موته لنجا من النار.

دخل الرسول عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ علىٰ غلام يهودي وهو في سياق الموت، فقال له: «**يا غلام أسلم**»، جاء في رواية في خارج الصحيح، قال له: «**يا غلام قل لا إله إلا الله**

(١) رواه البخاري (١٣٦٠) ومسلم (٢٤ -٣٩-) عن المسيب بن حزن بن أبي وهب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

كلمة أشهد لك بها عند الله»، فَنَظَرَ إِلَىٰ أَبِيهِ، فَقَالَ أَبُوهُ: أَطِعْ أَبَا الْقَاسِمِ فقال: لا إله إلا الله، فخرج الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وهو يقول: «**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ بِي مِنَ النَّارِ**».(١) أنقذه الله من النار بهذه الكلمة.

هذه الكلمة لو قالها المشرك الذي هو علىٰ الكفر والشرك لعُصِم مالُه ودمُه ولو مات علىٰ ذلك لنجا من النار ولكان من أهل الجنة.

قال النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**مَنْ قَالَ: لا إله إلا الله، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلَىٰ اللهِ**». (٢)

وكان الصحابة يوما في بعض الغزوات كما في الصحيحين خ(٦٨٧٢)، م(٩٦ - ١٥٩- و -١٦٠-)، وكان هناك رجل من المشركين لا يدع للمسلمين شاذَّة ولا فاذَّة إلا اتبعها يضربها بسيفه، فتبعه أسامة ابن زيد يريد قتله فقد أنكىٰ بالمسلمين، فلما وصل إليه ورفع عليه السيف قال: لا إله إلا الله، رجلٌ آذىٰ المسلمين قتل وأكثر من القتل فيهم، فلما وصل إليه هذا الصحابي قال: لا إله إلا الله، فظن أسامة أنه إنما قال: لا إله إلا الله خوفـاً من القتل فقتله، فجاء إلىٰ الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فأخبره، فقال: «**يَا أُسَامَةُ، أَقَتَلْتَهُ بَعْدَمَا قَالَ: لا إله إلا الله؟**»، قال: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّمَا قَالَهَا خَوْفًا مِنَ السِّلَاحِ، قال: «**أَفَلَا شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ حَتَّىٰ تَعْلَمَ أَقَالَهَا أَمْ لَا؟ فَكَيْفَ تَصْنَعُ بِلا إله إلا الله**

---

(١) رواه البخاري (١٣٥٦) عن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) رواه مسلم (٢٣ -٣٧-)، عن طارق بن أشيم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟»، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، اسْتَغْفِرْ لِي. قَالَ: «**وَكَيْفَ تَصْنَعُ بِلا إله إلا الله إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟**». فحكم الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لهذا المشرك الذي كان من المشركين حين قالها؛ بالإسلام.

وهذا بخلاف من يقول هذه الكلمة ممن يدَّعي الإسلام ثم يفعل ما ينافيها وينقضها فإنها لا تنفعه، إذا قالها ثم ارتكب ما يناقضها لا تنفعه، ولكن إذا قالها المشرك والكافر الأصلي ولم يرتكب ما يناقضها فإنها تنفعه وتُدخله في الإسلام وتُنجيه من النار، فإذا ارتكب ما يناقضها فإنه لا نفع لها.

وجاء في الصحيحين(١)، عن البراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رجلاً أتىٰ النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في بعض الغزوات قال: أُقَاتِلُ أَوْ أُسْلِمُ؟ قَالَ: «**أَسْلِمْ ثُمَّ قَاتِلْ**»، فأسلم وشهد الشهادتين ثم قاتل مع الرسول فقتل، فقال الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**عَمِلَ قَلِيلًا وَأُجِرَ كَثِيرًا**»، عمل قليلاً، أسلم في أول المعركة وقتل في أثناء المعركة فكان من أهل الجنة.

هذه الكلمة العظيمة كلمة الإخلاص هي أعظم كلمة علىٰ الإطلاق، وأسعد الناس من يقولها مخلصا في قولها، قال النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حين سأله أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قال: «**أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ: لا إله إلا الله خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ أَوْ نَفْسِهِ**»،(٢) يقولها بإخلاص، يقولها بصدق، هذا أسعد الناس بشفاعة الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حتىٰ لو دخل النار بذنوب

(١) البخاري(٢٨٠٨)، ومسلم(١٩٠٠ -١٤٤-).

(٢) رواه البخاري (٩٩).

ارتكبها فسيخرج منها ولا بد، جاء في الصحيحين[١] عن أنس في حديث الشفاعة الطويل أن الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يقول يوم القيامة: «**يَا رَبِّ، ائْذَنْ لِي فِيمَنْ قَالَ: لا إله إلا الله. فَيَقُولُ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي وَكِبْرِيَائِي وَعَظَمَتِي لَأُخْرِجَنَّ مِنْهَا مَنْ قَالَ: لا إله إلا الله**». فلن يخلد في النار أحد قال: لا إله إلا الله، وإن أصابه قبل ذلك ما أصابه من العذاب بسبب ذنوبه، لكنه لا يُخلد في النار بل مآله إلىٰ الجنة.

فهذه الكلمة لو بقينا نعدد فضائلها لطال بنا المقام، ولكن هذه إشارة إلىٰ بعض الفضائل العظيمة لكلمة التوحيد التي من قالها سعد ونجا في الدنيا والآخرة، وعُصِم مالُه وعصم دمُه، وأَمِن من الخلود في النار يوم القيامة.

فنسأل الله -جل وعلا- أن يعيننا علىٰ ذكره وشكره وحسن عبادته.

اللهم إنا نسألك الهدىٰ والتقىٰ والعفاف والغنىٰ.

اللهم آت نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها.

اللهم اغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين.

ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين.

اللهم اجعل بلدنا هذا آمنا مطمئناً وسائر بلاد المسلمين.

اللهم إنا نعوذ بك من الفتن ما ظهر منها وما بطن.

اللهم من أراد المسلمين بسوء فاجعل كيده في نحره، اللهم قنا وقِ المسلمين من شره.

---

(١) البخاري(٧٥١٠)، ومسلم(١٩٣ -٣٢٦-).

اللهم اغفر لنا ما قدمنا وما أخرنا وما أسررنا وما أعلنا وما أنت أعلم به منا، أنت المقدم وأنت المؤخر وأنت علىٰ كل شيء قدير.

١٦ / صفر/ ١٤٤٥هجرية

شروط لا إله إلا الله

شروط لا إله إلا الله

إن الحمد لله، نحمده تعالىٰ ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

اعلموا أن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس، كان مما تقدم الحديث عنه ذكرُ معنىٰ (لا إله إلا الله) وما دلَّت عليه، وذكرُ أركانها وما تفيده من العلم، وذكرُ شيء من فضائلها، وأنَّ هذه الكلمة هي كلمة الإسلام ويجب علىٰ العبد أن يعرف معناها وأن يحققها في حياته.

وإن مما يجب في هذه الكلمة حتىٰ تكون نافعة للعبد أن يحقق ما دلَّت عليه أدلة الكتاب والسنة من شروطها، فإن هذه الكلمة كلمة الإخلاص لها شروط لا ينتفع بها العبد في الآخرة إلا إذا حقَّق هذه الشروط، وهذه الشروط قد دلت عليها أدلة القرآن والسنة، واشتهرت عند أهل العلم بهذه التسمية، بشروط (لا إله إلا الله)، وإن كان يصح في بعضها أنها أركان؛ لأنها تكون حالَ نطقها مقرونةً بها، ولكنها عُرفت عند العلماء بهذه التسمية، فـ(لا إله إلا الله) هي كلمة الإسلام، إذا قالها الكافر الأصلي نشهد له بالإسلام بذلك، ثم ننظر هل أدَّىٰ شروطها؟ وهل قام بما يجب عليه فيها وابتعد عما يناقضها؟ وإلا لم ينتفع بها.

فمن هذه الشروط:

١ - **العلم بمعناها**، أن يعلم معنىٰ لا إله إلا الله، يعلم معناها نفيـًا وإثباتـًا، فمعنىٰ هذه الكلمة أنه لا معبود بحق إلا الله سبحانه وتعالىٰ، وكل ما عُبد من دون الله فعبادته باطلة بأي نوع من أنواع العبادة، وأيًّا كان هذا المعبود، فهذا هو معنىٰ هذه الكلمة (لا إله) أي لا معبود، (إلا الله) أي إلا الله سبحانه وتعالىٰ هو المعبود الحق، قال الله تعالىٰ لنبيه: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [سورة محمد:١٩]، وهذا من العلم الواجب، أن يعلم الإنسان أنه لا إله إلا الله، بل أخبر الله سبحانه وتعالىٰ أنه أنزل هذا القرآن لـيُعلم أنه لا

إلـه إلا هـو قـال الله تعـالىٰ: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾ [سورة إبراهيم:٥٢]، فمن مقاصد إنزال القرآن أن يعلم الناس أن الله تعالىٰ إله واحد لا ثاني له.

وقال الله سبحانه وتعالىٰ: ﴿وَلَا يَمۡلِكُ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ۝٨٦﴾ [سورة الزخرف:٨٦]، قال أهل العلم ﴿شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ﴾ [سورة الزخرف:٨٦] أي بـ(لا إله إلا الله)، ﴿وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ أي يعلمون بقلوبهم ما نطقت به ألسنتهم، فهؤلاء الذين تنفعهم هذه الكلمة عند الله سبحانه وتعالىٰ، ولذا قال النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كما في صحيح مسلم(٢٦ -٤٣-) عن عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ: «**مَنْ مَاتَ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لا إله إلا الله دَخَلَ الْجَنَّةَ**»، من مات وهو يعلم هذه الكلمة علماً صحيحا دخل الجنة، فإذاً هذا الشرط، وهذا من العلم الواجب علىٰ العبد أن يعلمه، أن يعلم معنىٰ هذه الكلمة، لأن كثيرا من الناس اليوم يقول: (لا إله إلا الله) ولا يعلم معناها، يقول: (لا إله إلا الله) وهو يشرك بالله، ولو علم معنىٰ لا إله إلا الله لما أشرك بالله.

ومن شروطها:

٢- **اليقين**، واليقين هو أَخَصُّ العلم، وهو العلم المستقرُّ في القلب، العلم الذي قد استقر في القلب واطمأن به القلب، فلا يَعرِض له شكٌّ ولا ريب، ولا تُؤَثِّر فيه شبهات، بل هو علمٌ ثابتٌ بأن الله تعالىٰ هو الإله الحق، يقول: لا إله إلا الله مستيقناً بذلك، ليس في قلبه ترددٌ أن الله تعالىٰ هو الإله الحق، وأن كل ما سواه باطل، هذا شأن

المؤمنين قال الله تعالىٰ في صفتهم: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ﴾ [سورة الحجرات:١٥] المؤمنون ليس عندهم ريب في الله -جل وعلا- وأنه الإله الحق، وأنه الذي تجب له العبادة، وأن كل ما سواه باطل.

المنافقون هم الذين يترددون ويشكون ويرتابون، قال الله تعالىٰ عنهم: ﴿إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [سورة التوبة:٤٥] ارتابت قلوبهم أن الله هو الحق، ارتابت قلوبهم أن هذا الإسلام هو الدين الحق، أما المؤمن فليس عنده شك، بل هذا الأمر عنده يقينيٌّ لا يقبل المساومة فيه، ولا يقبل أن يتردد فيه أو أن يتشكك فيه، بل هو قاطع بذلك وهذا عنده من المسلَّمات أن الله تعالىٰ هو الإله الحق، وأن هذا الدين هو الدين الحق، هذا الذي ينتفع بهذه الكلمة، جاء في صحيح مسلم(٢٧ -٤٥-) عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**أَشْهَدُ أَنْ لا إله إلا الله، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، لا يَلْقَىٰ اللهَ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍّ، فَيُحْجَبَ عَنِ الْجَنَّةِ**»، أي لا يمكن أن إنسانًا يلقىٰ الله تعالىٰ بهما وهو غيرُ شاك فيحجب عن الجنة.

وفي صحيح مسلم(٣١ -٥٢-) عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أعطاه نعليه كدليل وإثبات أنه مرسَل من الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حين كان الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حائط للأنصار، فقال: «**يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، اذْهَبْ بِنَعْلَيَّ هَاتَيْنِ، فَمَنْ لَقِيتَ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْحَائِطِ يَشْهَدُ أَنْ لا إله إلا الله مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ، فَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ**»، إذا رأيت

من يشهد أن لا إله إلا الله عن يقين لا يخالطه شك بشِّرْهُ بالجنة، فإذاً لا بد للعبد أن يتيقن أنه لا إله إلا الله.

اليوم يوجد من الملاحدة والزنادقة واللادينيين من يشكك الناس في الله –جل وعلا– وفي استحقاقه للعبادة، يشكك الناس في هذا الدين، والمؤمن لا يقبل ذلك كله، لأن مَن قبل التشكيك في لا إله إلا الله وفي دين الله فليس بمؤمن.

أيضاً من شروط هذه الكلمة:

٣- الإخلاص، الإخلاص لله تعالىٰ في قولها وفي ما دلت عليه، فيقولها بلسانه مخلصاً بها قلبه لله –جل وعلا–، لا يقولها لأجل الناس، لا يقولها خوفاً من شيء، لا يقولها طمعا في شيء من الدنيا، ولكن يقولها خالصاً من قلبه، ثم يكون مخلصاً فيما دلت عليه وفيما تضمنته، فلا يعبد سوىٰ الله، ولا يصرف شيئاً من العبادة لغير الله، بل عبادته خالصة لوجه الله –جل وعلا– قال الله سبحانه وتعالىٰ لنبيه: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ﴾ [سورة الزمر:٢-٣]، فالذي يكون لله والذي يقبله الله هو الدين الخالص، قال الله سبحانه: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [سورة البينة:٥] ومن عبادة الله نطقه بهذه الكلمة وعمله بمقتضاها، فلا بد أن يكون مخلصاً في ذلك.

أبو هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ كما في صحيح البخاري(٩٩) قال: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قال: «**أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ: لا إله إلا الله خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ أَوْ نَفْسِهِ**».

وجاء في الصحيحين عن عتبان بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**إِنَّ اللهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَىٰ النَّارِ مَنْ قَالَ لا إله إلا الله؛ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ**»، [١] لا يريد بها شيئًا آخر، حرمه الله -جل وعلا- على النار، فيجب على المسلم أن يكون مخلصًا لله تعالى في قول هذه الكلمة، وأن يكون مخلصًا لله فيما دلت عليه هذه الكلمة، وفي عمله بمقتضاها فلا يقصد بشيء من عبادته غير الله ولا يريد سواه، فإذا قصد في عبادته سوى الله لم يكن مخلصا في عمله بمقتضى هذه الكلمة، ففي صحيح مسلم (٢٩٨٥) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: أَنَا أَغْنَىٰ الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**».

المنافقون كانوا يقولون: لا إله إلا الله، ولكن لم يخلصوا لله تعالى في قولها، قالوها خوفًا من السلاح، قالوها خوفًا من القتل، لمَّا انتصر النبي عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ ببدر وقَوِيَ المسلمون ظهر النفاق ولم يكن قبل ذلك نفاقٌ، إنما كان مسلم وكافر، كان الكفار ظاهرين لا يخافون، فلما قوي الإسلام خاف بعض الكافرين من صولة المسلمين فأظهروا الإسلام وقالوا: لا إله إلا الله وهم كاذبون في ذلك، فما نفعتهم هذه الكلمة، بل كانوا في الدرك الأسفل من النار، ولهذا لم يخلصوا في عملهم بمقتضاها بل كانوا يراؤون الناس بعباداتهم ويريدون إرضاءهم دون إرضاء الله، كما قال الله

---

(١) رواه البخاري (٥٤٠١)، ومسلم (٣٣ -٢٦٣-) عن عتبان بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

تعالىٰ عنهم: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ١٤٢﴾ [سورة النساء:١٤٢].

أيضـًا من شروط هذه الكلمة.

٤- **الصدق في قولها**، أن يكون صادقـًا في قولها، يقولها بلسانه وقلبه مواطئٌ لذلك، فكما أنه يقولها خالصـًا لوجه الله لا يريد بها شيئـًا من الدنيا، كذلك يقولها صدقـًا من قلبه، فيكون في قلبه صادقا، ليس في قلبه كذب في قولها ولا تكذيب بها بل هو مُصدِّق بـ(لا إله إلا الله) ومصدق بما دلت عليه، ﴿الٓمٓ ١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ٣﴾ [سورة العنكبوت:١-٣]، الله -جل وعلا- يعلم الصادق من الكاذب، فيجب علىٰ المؤمن أن يكون صادقـًا في قول هذه الكلمة، أن يكون مصدقـًا بها.

الله تعالىٰ كذَّبَ المنافقين الذين قالوها كذبـًا ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ [سورة المنافقون:١]، هم شهدوا أن لا إله إلا الله وأتوا يشهدون أن محمداً رسول الله، قال الله سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ١﴾ [سورة المنافقون:١]، كاذبون ليسوا صادقين في قول هذه الكلمة، ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ٨ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ٩ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ

﴿فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ١٠﴾ [سورة البقرة:٨-١٠]، مرض النفاق قالوا هذه الكلمة لأجل المخادعة للرسول وللمؤمنين وليسوا صادقين في قولها.

فيجب علىٰ المسلم أن يكون صادقًا في قول هذه الكلمة، وهذا الذي يكون صادقًا بها هو الذي تنفعه، جاء في مسند الإمام أحمد(١٩٦٨٩) بإسناد صحيح عن أبي موسىٰ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قال: «**أَبْشِرُوا، وَبَشِّرُوا النَّاسَ مَنْ قَالَ: لا إله إلا الله. صَادِقًا بِهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ**»، وفي الصحيحين عن أنس حين ركب معاذ مع النبي عَلَيۡهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ فقال له النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**يَا مُعَاذُ**»، قَالَ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللهِ وَسَعْدَيْكَ -ثَلَاثًا-، قَالَ: «**مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لا إله إلا الله وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ، إِلَّا حَرَّمَهُ اللهُ عَلَىٰ النَّارِ**»، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلَا أُخْبِرُ بِهِ النَّاسَ فَيَسْتَبْشِرُوا؟ -أفلا أبشر الناس بهذا الفضل العظيم أنه من يقول هذه الكلمة صادقًا يحرمه الله علىٰ النار؟- قَالَ: «**إِذَنْ يَتَّكِلُوا**»(١)، خشي الرسول أن يتكل الناس عليها إذا بشَّرهم بذلك فأمره أن لا يبشرهم في ذلك الحين، ثم إن معاذا رضي الله عنه أخبر بها قبل أن يموت خوفًا من الإثم بكتمان العلم.

وفي حديث أبي موسىٰ الذي سبق أمر الرسول عَلَيۡهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ بتبشير الناس: «**أَبْشِرُوا، وَبَشِّرُوا النَّاسَ مَنْ قَالَ: لا إله إلا الله. صَادِقًا بِهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ**».

(١) البخاري (١٢٨)، ومسلم (٣٢-٥٣-) عن أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ.

فإذاً الذي تنفعه هذه الكلمة عند الله -سبحانه وتعالىٰ- هو الذي يقولها صادقًا من قلبه، فهذه أمور لا بد أن تتوفر عند المسلم في قوله لا إله إلا الله حتىٰ ينتفع بها، فنسأل الله تعالىٰ القبول.

والحمد لله رب العالمين.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليما كثيراً.

أيها الناس، أيضـًا من شروط هذه الكلمة.

٥- القبول لها ولما دلت عليه، قبولا منافيا للرد، فيكون المؤمن متقبلاً لذلك ليس راداً له، فمن ردَّ هذه الكلمة أو رد ما دلت عليه من التوحيد فإنه لم يحقق (لا إله إلا الله).

المشركون ردُّوا هذه الكلمة واستكبروا عنها كما أخبر الله تعالىٰ عنهم، ﴿إِنَّهُمۡ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسۡتَكۡبِرُونَ ٣٥﴾ [سورة الصافات:٣٥]، يقول لهم الرسل لا إله إلا الله فيَرُدُّون ذلك ويستكبرون عنه ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ٢٣ ۞ قَٰلَ أَوَلَوۡ جِئۡتُكُم بِأَهۡدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمۡ عَلَيۡهِ ءَابَآءَكُمۡۖ﴾ [سورة الزخرف:٢٣-٢٤]، هل لكم أن آتيكم بشيء هو أفضل مما كان عليه آبائكم؟ ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ٢٤﴾ [سورة الزخرف:٢٤]، لم يقبلوا دعوة الرسل ردوها في وجوههم، ﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ﴾ -أي من قوم صالح- ﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِمَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُمۡ أَتَعۡلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحٗا مُّرۡسَلٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلَ بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ ٧٥ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا بِٱلَّذِيٓ ءَامَنتُم

﴿بِهِۦ كَٰفِرُونَ ۝٧٦﴾ [سورة الأعراف:٧٥-٧٦]، لم يقبلوا دعوة هذا الرسول وما جاء به من الله -جل وعلا-.

فالمؤمن قابلٌ لهذه الكلمة ولما دلت عليه ولما جاء به الرسول، لا يكون في قلبه ردٌّ ولا اعتراض علىٰ ما جاء به الرسول، ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥١﴾ [سورة النور:٥١]، هؤلاء المؤمنون الذين إذا دعوا إلىٰ شيء مما جاء به الرسول آمنوا به وسمعوا وأطاعوا له وقبلوه ولم يردُّوه، كم آيات وكم أحاديث تبين ما جاء عن الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ من القبول وعدم الرد والاعتراض وشهد لهم بالإيمان بذلك؟ لما نزلت الآية التي في آخر سورة البقرة ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُۖ﴾ [سورة البقرة:٢٨٤]، كان هذا حكمًا شديداً أن يحاسب الإنسان علىٰ ما يدور في نفسه: إن تبدوه أو تخفوه يحاسبكم به الله، أتىٰ الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ فقالوا: يا رسول الله أنزلت عليك الصلاة والصيام والجهاد والصدقة وكذا وكذا من العبادات ففعلناها أما هذه الآية فلا نطيقها، لا نطيق أن نحاسب بما يدور في نفوسنا، فعلَّمهم الرسول عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ كيف يكون المؤمن، قال: «**أَتُرِيدُونَ أَنْ تَقُولُوا كَمَا**

قَالَ أَهْلُ الْكِتَابَيْنِ مِنْ قَبْلِكُمْ: سَمِعْنَا، وَعَصَيْنَا؟ بَلْ قُولُوا: سَمِعْنَا، وَأَطَعْنَا، غُفْرَانَكَ رَبَّنَا، وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ»، (١)

أمرهم بالقبول لما جاء عن الله -جل وعلا- وعدم الرد والاعتراض عليه، فهكذا المؤمن الذي يقبل هذه الكلمة كلمة التوحيد ويقبل ما دلت عليه ويقبل ما هو من مقتضياتها من أحكام هذا الدين، فلا يعترض عليها، ولا يكره شيئًا من أحكام الله، ولا يردها.

أيضًا من شروط لا إله إلا الله.

٦- **الانقياد**، فالمؤمن بعد أن يقبل ينقاد بالعمل، لا يكفي أنه يقبل ثم يخالف في العمل، يخالف معنىٰ لا إله إلا الله في أعماله، فيعبد غير الله، ويصرف العبادة لغير الله سبحانه وتعالىٰ، بل هو قابل لذلك منقاد له، يُسْلم وجهه لله، هذا هو الدين الحق الذي قال الله فيه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾ [سورة النساء:١٢٥]، هذا أحسن الدين أن يسلم وجهه لله وأن ينقاد لله، وقال الله تعالىٰ: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ﴾ [سورة الزمر:٥٤]، انقادوا لأوامره ولأحكامه.

وهكذا كما سبق عن الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ كيف انقادوا لأمر الرسول لما أنزله الله -جل وعلا- وإن كان ثقيلاً عليهم، فهكذا يكون المؤمن منقادا لهذه الكلمة فلا يعبد إلا الله، لأنه يقول لا إله إلا الله إذاً ينقاد لما دلت عليه وإلا فكيف يقول لا إله إلا الله وهو

(١) رواه مسلم (١٢٥ -١٩٩-)، عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

يعبد غير الله؟ كيف يقول لا إله إلا الله وهو يناقضها بأفعاله أو بأقواله؟ فلا بد من الانقياد لما دلت عليه لا إله إلا الله.

أيضًا من شروطها.

٧- **المحبة**، المحبة لها، المحبة لهذه الكلمة، والمحبة لله -جل وعلا- ولعبادته، والمحبة لما دلت عليه ولما اقتضته من أحكام الشرع.

المشركون اتخذوا آلهات أحبوهم كمحبة الله فلم يكونوا مؤمنين ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ﴾ [سورة البقرة:١٦٥]، فأحبوا غير الله ولم يحبوا ما دلت عليه هذه الكلمة، ويوم القيامة يقولون حين يدخلون النار﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [سورة الشعراء:٩٧-٩٨]، قال أهل العلم: أي يسوونهم بالمحبة، لم يسووا غير الله بالله في كل شيء، بل كانوا يعتقدون أن الله أعظم، ولكنهم سووهم بمحبتهم لهم كمحبة الله.

فإذاً يجب علىٰ المؤمن أن يكون محبا لهذه الكلمة محبا لما دلت عليه، جاء في الصحيحين عن أنس أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ، وَأَهْلِهِ وَمَالِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**»، (١) ولا يؤمن إلا بمحبته لله ولرسول الله ولما دلت عليه كلمة التوحيد، فهذا مما عده أهل العلم من شروط هذه الكلمة.

(١) رواه البخاري (١٥)، ومسلم (٤٤ -٦٩-) بمجموعهما.

ومما زاده بعض العلماء من شروطها: أن يكفر بكل ما سوىٰ الله، وهذا محتمل أن يُذكَر في الشروط، ومحتمل احتمالا أظهر منه أنه من أركانها كما سبق بيانه أن كلمة التوحيد مبنيَّة علىٰ ركنين: ١-الكفر بما سوىٰ الله ٢-والإيمان بالله -جل وعلا-.

فهذه هي الشروط أو الأمور التي قُيِّدت بها لا إله إلا الله في القرآن والسنة، وكم من إنسان يقولها ويرتكب ما يناقضها، كم من إنسان يقولها ولا ينقاد لها ولا يخلص لله -جل وعلا- في ذلك ولا يكون صادقًا ولا متيقنًا فلا ينتفع بها، وإن كانت قد تنفعه في الدنيا بأن يُحكَم له بالإسلام الظاهر، فيُعصَم ماله ودمه، لكنها لا تنفعه عند الله.

إذ أنَّ هذه الشروط السبعة هي لنفع هذه الكلمة للإنسان في الآخرة عند الله -جل وعلا-، وأما في ظاهر الدنيا فقد ينتفع بها من يقولها وإن لم يحقق هذه الشروط، لأن أكثر هذه الشروط أمور قلبية، لا يمكن أن يطَّلع عليها الناس، فقد يقولها الكاذب وقد يقولها عدم المصدِّق بها قد يقولها عدم الموقن بها، وقد يقولها من ليس محبًا لها، فهذا وإن كان ينتفع بها في الدنيا لكنها لا تنفعه عند الله سبحانه وتعالىٰ.

فعليك أيها المسلم أن تجتهد في تحقيق ما دلت عليه لا إله إلا الله حتىٰ تنتفع بها في كل الأحوال في الدنيا وفي الآخرة.

ولا يجب علىٰ المسلم أن يحفظ هذه الشروط سَرْدا، بل يجب عليه أن يعمل بها، يجب عليه أن تتوفر فيه وإن لم يكن حافظًا لألفاظها.

يجب أن يكون عالمًا بذلك في قلبه، موقنًا بها، مخلصًا لله تعالىٰ في قولها وفيما دلت عليه، مصدقًا بذلك، قابلاً لها ولما دلت عليه، منقاداً لها ولما دلت عليه، محبًا

لهذه الكلمة ولما دلت عليه، بعيداً عن كل ما ينافيها ويناقضها حتىٰ تنفعه عند الله سبحانه وتعالىٰ فيكون من أهل الجنة وينجو من النار إذا حقق ذلك.

وبهذا تعلم أنه ليس كل من قال: (لا إله إلا الله) تنفعه لا إله إلا الله، ليس كل من قال: (لا إله إلا الله) يكون مؤمنًا حقا، فبعض الناس يرىٰ من يرتكب ما يناقض لا إله إلا الله، يرىٰ من يدين بغير ما دلت عليه لا إله إلا الله، كما يفعله الرافضة وغلاة الصوفية الذين نقضوا لا إله إلا الله بأقوالهم وأفعالهم، ثم يقول: هم مسلمون، أو يشهد لهم بالإسلام الحق، وهذا من الخطأ، لأنهم قد نقضوا هذه الكلمة، نقضوا لا إله إلا الله بأفعالهم، وإن ادَّعَوا الإسلام بألسنتهم.

عباد الله، علىٰ المسلم أن يتعلم هذا العلم الذي هو من أهم ما يتعلمه المؤمن ومن أوجب ما أوجبه الله سبحانه وتعالىٰ عليه.

فنسأل الله -جل وعلا- بأسمائه الحسنىٰ وصفاته العلا أن يعيننا علىٰ ذكره وشكره وحسن عبادته.

اللهم اغفر لنا ما قدمنا وما أخرنا، وما أسررنا وما أعلنا، وما أنت أعلم به منا.

اللهم إنا نسألك الهدىٰ والتقىٰ والعفاف والغنىٰ.

اللهم آتِ نفوسنا تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها.

اللهم اغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين.

ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين.

تفسير الشرك وبيان وجوده في هذه الأمة وإيضاح قبحه وأنه أعظم ذنب عُصِيَ اللهُ به

تفسير الشرك...

إن الحمد لله، نحمده تعالىٰ ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

اعلموا أن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس، كنا قد تحدثنا فيما سبق عن فضائل توحيد الله تعالىٰ وأهميته وعن ذكر بعض شروطه وما يتعلق به، ويقابل هذه الحسنة العظيمة وهذا الأمر الجليل الذي

خلق الله تعالىٰ العباد لأجله وهو التوحيد، يقابله أسوأ الذنوب وأقبح الذنوب ألا وهو الشرك بالله -جل وعلا-، فالشرك بالله سبحانه وتعالىٰ نقيض التوحيد، الشرك بالله سبحانه وتعالىٰ هو خلاف توحيد الله -جل وعلا-، وهو أن يُصرف شيء من خصائص الله التي لا تكون إلا له يُصرف لغيره، فكل من صرف شيئًا لغير الله مما لا يكون إلا لله -جل وعلا- فقد وقع في الشرك، قال ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ للنبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كما في الصحيحين: أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ؟ قَالَ: «**أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ**»، [(١)] ندًّا أي مساويًا ومماثلاً، مع أن الله تعالىٰ هو الذي خلقك وأوجدك في هذه الحياة فكيف تجعل له ندًّا.

وكما أن التوحيد يكون في الألوهية والربوبية والأسماء والصفات؛ كذلك الشرك.

فيكون شركًا في الألوهية؛ بأن يصرف الإنسان شيئًا من أعماله لغير الله، هذا الشرك في الألوهية، أن يدعو غير الله، أن يسجد لغير الله، أن يتقرب لغير الله سبحانه وتعالىٰ بأي شيء من العبادات، أن يخاف غير الله كخوفه من الله أو أشد، أن يحب غير الله كمحبته لله أو أشد، أن يحلف بغير الله، كل هذا من الشرك في ألوهيته سبحانه وتعالىٰ.

ويكون الشرك في ربوبيته؛ بأن يعتقد أن غير الله يخلق أو يرزق، أو يعتقد أن غير الله يُدبِّر الكون ويُسَيِّر الأمور فيه، فهذا من الشرك في ربوبيته الذي لم يقع إلا من عتاة الخلق، ووجد من بعض مشركي العرب ولكنه قليل كما أخبر النبي عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ

(١) رواه البخاري (٤٤٧٧)، ومسلم (٨٦ -١٤١-).

حين كانوا بالحديبية ونزل مطر فقال: «**هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟**»، قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**قَالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ؛ فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا،** - والنوء هو النجم أي مطرنا بنجم كذا وكذا- **فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي وَمُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ**»، [(١)] فهذا في زمن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من مشركي العرب وجد من أشرك في الربوبية ونسب إنزال المطر إلىٰ النجوم، ولكن هذا كان قليلاً في أوساطهم، وأكثرُ شركهم هو الشرك في الألوهية.

وهكذا يكون الشرك في أسماء الله تعالىٰ وصفاته؛ بأن يسمي الآلهات بأسماء الله، كما سمىٰ المشركون العزىٰ اشتقاقا من اسم العزيز، واللات اشتقاقا من اسم الله، ومناة اشتقاقا من اسم المنان، وهكذا أن يعتقد أن غير الله يسمىٰ بأسماء الله الخاصة به، أو يكون له المعنىٰ في أسمائه ما لله -جل وعلا- من المعنىٰ في أسمائه.

فكما أن توحيد الله يجب في هذه الأمور؛ كذلك يحرم الشرك في هذه الأمور كلها، وأكثر شرك الناس هو الشرك في العبادة، بأن يصرفوا عباداتهم لغير الله تعالىٰ، سواء كانت عبادة مالية كالنذور والقرابين التي يقربونها لغير الله، أو كانت عبادة قلبية كالخوف والمحبة والرجاء والرغبة والرهبة والتوكل وغيرها، أو كانت من العبادات

---

(١) رواه البخاري (٨٤٦)، ومسلم (٧١ -١٢٥-) عن زيد بن خالد الجهني رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

البدنية كالدعاء والسجود وغير ذلك من العبادات التي لا تكون إلا لله سبحانه وتعالىٰ، فيحرم الشرك بالله، كما أنه يجب توحيد الله سبحانه وتعالىٰ.

والشرك موجود في هذه الأمة، -لا كما يقول بعض دعاة الشرك الذين يُروِّجون له- إن الشرك لا يوجد في الجزيرة العربية بعد بعثة الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، بل هو موجود، وأخبر النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في أحاديث كثيرة أن الشرك يوجد في أمته، وفي الجزيرة العربية، ففي صحيح مسلم (٢٩٠٦ -٥١-) عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ تَضْطَرِبَ أَلَيَاتُ نِسَاءِ دَوْسٍ حَوْلَ ذِي الْخَلَصَةِ**»، وذو الخلصة صنم كان يعبده المشركون قبل بعثة النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وكان هذا الصنم لأهل اليمن، فأرسل النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ جرير بن عبد الله ومن معه من البجليين من أهل ذلك الموضع فحطّموا ذلك الصنم، ولكن الناس سيعيدونه ويعبدونه من دون الله سبحانه وتعالىٰ، (لا تقوم الساعة حتىٰ تضطرب) أي تتحرك (أليات نساء دوس) أي أعجازهن (حول ذي الخلصة) أي يَطُفْنَ به تعبدا من دون الله سبحانه وتعالىٰ.

وهكذا في صحيح مسلم (٢٩٠٧ -٥٢-) عن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا، أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**لَا يَذْهَبُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ حَتَّىٰ تُعْبَدَ اللَّاتُ وَالْعُزَّىٰ**»، سبحان الله! اللات والعزىٰ التي عبدها المشركون قبل الإسلام سيأتي يوم يعبدها الناس، «**لَا يَذْهَبُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ حَتَّىٰ تُعْبَدَ اللَّاتُ وَالْعُزَّىٰ**»، فقالت عائشة: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنْ كُنْتُ لَأَظُنُّ حِينَ أَنْزَلَ اللهُ:﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ

﴿عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ٣٣﴾ [سورة التوبة:٣٣]، أَنَّ ذَلِكَ تامًّا، -كنت أظن ألا يوجد هذا- قال: «**إِنَّهُ سَيَكُونُ مِنْ ذَلِكَ مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ رِيحًا طَيِّبَةً فَتَوَفَّىٰ كُلَّ مَنْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ، فَيَبْقَىٰ مَنْ لَا خَيْرَ فِيهِ، فَيَرْجِعُونَ إِلَىٰ دِينِ آبَائِهِمْ**». يرجعون إلى الشرك بالله سبحانه.

وفي سنن أبي داود وابن ماجه عن ثوبان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ تَلْحَقَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ، وَحَتَّىٰ تَعْبُدَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي الْأَوْثَانَ**»، (١)

سيقع الشرك في هذه الأمة، وهو واقع في هذه الأمة كما أخبر الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أيضًا يقول كما في الصحيحين عن أبي سعيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ**، -أي لتتبعن طرق من كان قبلكم- **شِبْرًا بِشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّىٰ لَوْ سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ**». قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ؟ قَالَ: «**فَمَنْ!؟**»، (٢) فأخبر الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أن هذه الأمة ستتابع من كان قبلها، ومما فعله من كان قبلها الشرك بالله، فسيتابعونهم فيه.

وفي صحيح مسلم(١٤٨ -٢٣٤-) عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ لَا يُقَالَ فِي الْأَرْضِ: اللهُ اللهُ**»، جاء في رواية عند أحمد (١٣٨٣٣)

(١) رواه أبو داود (٤٢٥٢)، وابن ماجه (٣٩٥٢).

(٢) رواه البخاري (٣٤٥٦)، ومسلم (٢٦٦٩ -٦-).

وغيره: «**حَتَّىٰ لَا يُقَالَ فِي الْأَرْضِ: لا إله إلا الله**»، فإذًا هذه أخبار من نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أن الشرك يقع في هذه الأمة، وهو واقع في هذه الأمة، فكم الناس الذين يعبدون الأوثان؟ والوثن هو كل ما عبد من دون الله، سواء كان صنمًا أو حجراً أو شجراً أو مقبوراً أو ملكًا أو نبيًّا أو جنيًّا كل ما عبد من دون الله فهو وثن، أي بالنسبة لعابده، قال النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ**»، [(١)] فمن يعبد القبور هو يعبد الأوثان، كم يُوجَد اليوم من يعبد القبور ممن ينتسب إلىٰ الإسلام؟ كم يوجد في بلاد المسلمين من يدعو المقبورين من دون الله؟ من يذبح لهم؟ من يسألهم حاجته؟ من يسألهم المغفرة للذنوب؟ من يسألهم الرحمة؟ من يستجير بهم؟ من يخاف منهم أشد من خوفه من الله؟ كل هذا من عبادتهم ومن الشرك بالله سبحانه وتعالىٰ.

فالشرك واقع في هذه الأمة كما أخبر الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وأما ما أخرجه الإمام مسلم (٢٨١٢ -٦٥-) عن جابر بن عبدالله رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ**»، فهذا الحديث مما يستدل به من يُرَوِّج الشرك، ويدعو إلىٰ عبادة القبور ويقول:

---

(١) رواه مالك في الموطأ (٨٥)، عن زيد بن أسلم عطاء بن يسار عن النبي ﷺ، وهذا إسناد صحيح علىٰ شرط الشيخين وهو مرسل، وله شاهد عند أحمد (٧٣٥٨)، عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بإسناد جيد، فالحديث صحيح من الطريقين.

إنها ليست بشرك؛ لأن الرسول قال: (إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب) وهذا من الإضلال للناس.

وإلا فهذا الحديث الصحيح ظاهر المعنىٰ ولا إشكال فيه، ومعنىٰ (أن يعبده المصلون في جزيرة العرب) **أي**: أن يعبدوه كلُّهم، لا يمكن هذا أن يرتدَّ أهل الجزيرة جميعًا ويصيرون إلىٰ الشرك بالله هذا لن يكون، فهذه الجزيرة هي مهد الإسلام وقد ثبت فيها الإسلام وأُرْسِيَتْ فيها دعائمه فلا يمكن أن تعود كلُّها بلاد شرك كما كانت قبل بعثة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأيضًا من معنىٰ هذا الحديث عند أهل العلم (إن الشيطان أيس أن يعبده المصلون) **أي**: المصلون في ذلك الزمان في زمن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهم الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ حين رأىٰ الشيطان توحيدهم لله وبغضهم للشرك وإيمانهم العظيم أيس أن يعبدوه، وأن يرجعوا مشركين، فلما ضعُف دين الناس، وضعف تمسُّكُهم بالدين طمع في ذلك وزيَّن لهم الشرك بالله، وهو واقع كما أخبر به الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

فالشرك بالله لا تظن أنه أمر كان وانقضىٰ ولا وجود له، بل إنه يُروَّج له ويدعَىٰ له في كثير من بلاد المسلمين، فكم يجتمع عند القبر الذي يزعمون أنه قبر الحسين في العراق؟ يجتمع الملايين من الناس يطوفون به ويدعونه ويتقربون إليه بسائر القربات، كم يوجد عند كثير من القبور في بلاد المسلمين؟ في مصر واليمن والشام والمغرب وغيرها من البلدان، يُشرَك بالله سبحانه وتعالىٰ، ويُدعَىٰ هؤلاء المقبورون من دون الله -جل وعلا- من قِبل الرافضة أو الصوفية أو من يُزيِّنُون لهم ذلك، فهذا الذنب

العظيم، واقع في هذه الأمة وللأسف كما أخبر الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فيجب الحذر منه.

والحمد لله رب العالمين

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيراً.

أيها الناس، هذا الذنب العظيم وهو الشرك بالله -جل وعلا- هو أقبح الذنوب، **فأعظم ذنب عُصِي الله تعالىٰ به هو الشرك**، يا له من ذنب قبيح، لو تصوَّره المسلم المعظِّمُ لله -جل وعلا- لما سمحت نفسه بأن يقاربه فضلاً أن يفعله، ولذا ربنا -جل وعلا- سماه ظلمًا عظيمًا كما قال عن لقمان أنه قال لابنه: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣﴾ [سورة لقمان:١٣]، أظلم شيء هو الشرك بالله -جل وعلا-، ظلم عظيم ووضع للأمور في غير موضعها.

الشرك بالله مخالفة للحكمة التي خلق الله الخلق لأجلها، مخالفة للحكمة التي بعث الله الرسل وأنزل الكتب من أجلها، فالله -جل وعلا- ما خلق خلقه إلا ليعبدوه وحده لا شريك له، وإلا فهو الغني عنهم ليس بحاجتهم، لم يخلقهم لحاجة ولم يخلقهم ليتعزز بهم ولا ليستكثر بهم ولكنه خلقهم ليبتليهم بتوحيده.

فالذي يشرك بالله خالف الأمر الذي خلقه الله لأجله، ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ٥٧﴾ [سورة الذاريات:٥٦-٥٧]، وإذا خالف الشيء الذي خلقه الله لأجله فهو أضل مخلوق، الذي يشرك بالله هو أضل من البهائم، هو أضل من الأبقار والأغنام والإبل لأنها عرفت الشيء الذي خلقها الله تعالىٰ لأجله وسارت عليه، لكنَّ المشرك ما عرف الشيء الذي خلقه الله لأجله ولذا

قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ١٧٩﴾ [سورة الأعراف:١٧٩]، هم أضل من الأنعام، قال الله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ٦﴾ [سورة البينة:٦]، شر الخليقة شر ما خلق الله -جل وعلا- من أشرك بالله، ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ٢٢﴾ [سورة الأنفال:٢٢]، ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ٥٥﴾ [سورة الأنفال:٥٥]، هم شر الدواب شر المخلوقات حين كفروا بالله وأشركوا به.

لتعلم أن هذا الذنب لا أقبح منه، فهو ذنب عظيم.

إذا كان الشركُ الأصغر أكبرَ من كل الكبائر، أكبر من الزنىٰ والسرقة وشرب الخمر، لأَن يزني الإنسان أو يسرق أو يشرب الخمر ونحوها من المحرمات أهون من أن يحلف بغير الله، أهون من أن يرائي بعمله، ويريد بعمله غير الله، فكيف بالشرك الأكبر، وإنما كان كذلك لأن الشرك اعتداء علىٰ حق الله -جل وعلا-.

الشرك لا يصدر – مع العلم به- إلا من نفس مُسِخَتْ فطرتها، لأن بعض الذنوب يكون لها داعٍ من النفوس يدعو إليها، بعض الذنوب قد تدعو إليها الشهوات قد تدعو إليها الملذات، قد يزني الزاني ويسرق السارق ويشرب الخمر لشهوات تدعوه إلىٰ ذلك، لكن الشرك لا داعي له، لا داعي له إلا فساد المشرك، فساد حاله وقُبْحُ سريرته،

وإلا فكيف يشرك بالله الذي خلقه ورزقه وأوجده ثم أمره أن يعبده؟ فيذهب يصرف العبادة لغيره، أيُّ نفس تطيب بفعل ذلك!؟

نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بيَّن قبح الشرك في الحديث الذي رواه الإمام أحمد والترمذي من حديث الحارث الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ الطويل وفيه: قال النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «إِنَّ اللهَ -عَزَّ وَجَلَّ- أَمَرَ يَحْيَىٰ بْنَ زَكَرِيَّا عَلَيْهِمَا السَّلَامُ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ يَعْمَلَ بِهِنَّ، وَأَنْ يَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهِنَّ، فَجَمَعَ يَحْيَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ حَتَّىٰ امْتَلَأَ الْمَسْجِدُ، فَقَعَدَ عَلَىٰ الشُّرَفِ، فَحَمِدَ اللهَ، وَأَثْنَىٰ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أَمَرَنِي بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ أَعْمَلَ بِهِنَّ، وَآمُرَكُمْ أَنْ تَعْمَلُوا بِهِنَّ؛ أَوَّلُهُنَّ أَنْ تَعْبُدُوا اللهَ لَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَإِنَّ مَثَلَ مَنْ أَشْرَكَ بِاللهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اشْتَرَىٰ عَبْدًا مِنْ خَالِصِ مَالِهِ بِذَهَبٍ أَوْ وَرِقٍ، -أي فضة- فَقَالَ: هَذِهِ دَارِي، وَهَذَا عَمَلِي، فَاعْمَلْ وَأَدِّ إِلَيَّ. فَكَانَ يَعْمَلُ وَيُؤَدِّي إِلَىٰ غَيْرِ سَيِّدِهِ، فَأَيُّكُمْ يَرْضَىٰ أَنْ يَكُونَ عَبْدُهُ كَذَلِكَ؟ وَإِنَّ اللهَ -عَزَّ وَجَلَّ- خَلَقَكُمْ وَرَزَقَكُمْ فَاعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا». [(١)]

انظر كيف الشرك بالله! هل يرضىٰ إنسان لنفسه بذلك؟ لنفرض أن إنسانًا له عامل -ليس عبدا هو يملكه- بل عامل يعمل بالأجرة، أتىٰ به إلىٰ ماله إلىٰ تجارته، قال: هذا مالي اعمل فيه وما خرج من أرباح وأموال أدِّهَا إليَّ، فجعل يعمل في ماله وما خرج من أرباح وأموال يذهب بها إلىٰ غيره، هل يرضىٰ لنفسه ذلك؟ فإذا كان لا يرضىٰ لنفسه

(١) رواه الترمذي (٢٨٦٣)، وأحمد (١٧١٧٠).

ذلك، فكيف يرضىٰ الله الشرك؟ الله خلقك، الله -جل وعلا- رزقك وأوجدك، وأنت عبد لله، قال الله لك: اعمل لي لا تعمل لغيري، فكيف تعمل لغير الله؟ كيف تصرف عبادة منك لمن سوىٰ الله -جل وعلا-؟

ضرب الله هذا المثل أيضـًا في القرآن، قال الله تعالىٰ: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾، هذا مثال قريب منكم ﴿هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم﴾ أي من عبيدكم وأرقائكم ﴿مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[سورة الروم:٢٨]، هذا مثلٌ من أنفسكم: هل لكم من شركائكم من يأخذ أموالكم ويخالطكم فيها ويقاسمكم إياها تستوون أنتم وهم فيها، وهم عبيد لكم، (هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم في سواء) هل يستوي المالك للمال مع عبده المملوك له ويقاسمه فيه، لا شك أن هذا لا يكون، إذاً فكيف تجعل مخلوقـًا من مخلوقات الله مشاركـًا لله تساويه بالله سبحانه وتعالىٰ، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ هو عبد مثلك، ﴿فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ [سورة الأعراف:١٩٤]، ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [سورة الأحقاف:٥]، لو بقيت تدعوه إلىٰ يوم القيامة ما استجاب لك ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾﴾ [سورة

الأحقاف:٥-٦]، يتبرأون منهم ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ﴾ [سورة فاطر:١٤]، هذا حال المشركين: إن دعوتَهُ هذا الذي تشرك به مع الله، إن تدعوهم لا يسمعوا دعائكم، لا يمكن أن يسمعك وهو صنم أو وثن أو ميت مقبور ﴿وَلَوْ سَمِعُوا۟﴾ لو سمعوا فرضاً ﴿مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ﴾ لا يستطيع أن يجيبك ولا أن ينفعك، ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ﴾ [سورة فاطر:١٤] يتبرءون منكم يوم القيامة يصيرون لكم أعداء، ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [سورة الزخرف:٦٧].

فيا عباد الله هذا أقبح ذنب عُصِي الله -جل وعلا- به، الشرك بالله ظلم عظيم، الشرك بالله ذنب قبيح لا يصدر من عاقل فضلا عن أن يصدر من مؤمن يُعظِّم الله -جل وعلا- حق تعظيمه، الشرك بالله ليس هناك دافع يدفع إليه ليس هناك شهوة تدعو إليه، لكن يدعو إليه خُبْثُ السريرة وفساد الحال وانتكاس الفطرة، وإلا فليس هناك داع يدعو إلىٰ الشرك بالله سبحانه وتعالىٰ.

فيجب علىٰ المسلم أن يعلم ذلك وأن يتعلمه حتىٰ لا يقع فيه، يجب أن يتعلم الشرك وأن يحذر منه حتىٰ لا يقع فيه، فيعصي الله تعالىٰ بهذا الذنب العظيم الذي سيأتي معنا -إن شاء الله- بيان ضرره وخطره في أدلة القرآن والسنة.

وواجب علىٰ المسلمين أن يحذروا من هذا الأمر، وواجب علىٰ ولاة أمر المسلمين أن يمنعوا أماكن الشرك وأن يمحوها إذا كانت موجودة وأن يبعدوا

المسلمين عنها، كما كان الأمراء والخلفاء الصالحون يفعلون، فكُلُّ سبب قد يدعو إلىٰ الشرك يزيلونه.

عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ رأىٰ الناس يجتمعون عند شجرة قال ما هذه الشجرة؟ قالوا: يقولون هذه الشجرة التي بايع النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ الناس تحتها، فأمر عمر بقطعها؛ لئلا يعظمها الناس فيقعوا في الشرك بالله -جل وعلا- بتعظيمهم لهذه الشجرة. (١)

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٢/ ٧٦) وابن أبي شيبة في المصنف (٧٥٤٥) من طريقين عن ابْنِ عَوْنٍ، عَنْ نَافِعٍ، قَالَ: بَلَغَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ أَنَّ نَاسًا يَأْتُونَ الشَّجَرَةَ الَّتِي بُويِعَ تَحْتَهَا، قَالَ: فَأَمَرَ بِهَا فَقُطِعَتْ. وهذا إسناد رجاله ثقات إلا أنه منقطع بين نافع وعمر.

وقد ذكر هذا عن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ كثير من العلماء منهم: شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُٱللَّهُ فقال في اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ١٤٤): (وأمر عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بقطع الشجرة التي توهموا أنها الشجرة التي بويع الصحابة تحتها بيعة الرضوان. لما رأى الناس ينتابونها ويصلون عندها، كأنها المسجد الحرام، أو مسجد المدينة). وكذلك في نفس المصدر (٢/ ٢٧٤) وفي مجموع الفتاوى (٢٧/ ١٧١).

وقال ابن القيم رَحِمَهُٱللَّهُ في كلام له مفيد حول هذا الموضوع في كتابه "إغاثة اللهفان" (١/ ٢٠٩-٢١٠): (والمقصود: أن الناس قد ابتلوا بالأنصاب والأزلام. فالأنصاب للشرك والعبادة، والأزلام للتكهن، وطلب علم ما استأثر الله به. هذه للعلم، وتلك للعمل، ودين الله سبحانه وتعالى مضاد لهذا وهذا، والذي جاء به رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم إبطالهما، وكسر الأنصاب والأزلام.

فمن الأنصاب ما قد نصبه الشيطان للمشركين: من شجرة، أو عمود أو وثن، أو قبر أو خشبة، أو غير ذلك. والواجب هدم ذلك كله، ومحو أثره كما أمر النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم عليا رضى الله عنه بهدم القبور المشرفة وتسويتها بالأرض. كما روى مسلم في صحيحه عن أبي الهياج الأسدي قال: قال لي عليٌّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «أَلاَ أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟ أَنْ لا أَدَعَ تِمْثَالاً إلا طمسته ولا قبراً مشرفاً إلا سَوَّيْتُهُ».

=

=

وعمَّى الصحابة بأمر عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قبر دانيال، وأخفوه عن الناس. ولما بلغه أن الناس ينتابون الشجرة التي بايع تحتها رسولُ الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أصحابه أرسل فقطعها. رواه ابن وضاح في كتابه فقال: سمعت عيسى بن يونس يقول: أمر عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بقطع الشجرة التي بويع تحتها النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فقطعها، لأن الناس كانوا يذهبون فيصلون تحتها فخاف عليهم الفتنة.

قال عيسى بن يونس: وهو عندنا من حديث ابن عون عن نافع: أن الناس كانوا يأتون الشجرة، فقطعها عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

فإذا كان هذا فِعْلُ عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالشجرة التي ذكرها الله تعالى في القرآن، وبايع تحتها الصحابة رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، فماذا حكمه فيما عداها من هذه الأنصاب والأوثان، التي قد عظمت الفتنة بها، واشتدت البلية بها؟.

وأبلغ من ذلك: أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم هدم مسجد الضرار.

ففي هذا دليل على هدم ما هو أعظم فساداً منه، كالمساجد المبنية على القبور. فإن حكم الإسلام فيها أن تهدم كلها، حتى تسوى بالأرض، وهي أولى بالهدم من مسجد الضرار. وكذلك القباب التي على القبور يجب هدمها كلها، لأنها أسست على معصية الرسول، لأنه قد نهى عن البناء على القبور كما تقدم. فبناءٌ أُسِّسَ على معصيته ومخالفته بناء غير محترم. وهو أولى بالهدم من بناء الغاصب قطعـًا.

وقد أمر رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بهدم القبور المشرفة كما تقدم.

فهدم القباب والبناء والمساجد التي بنيت عليها أولى وأحرى، لأنه لعن متخذي المساجد عليها ونهى عن البناء عليها فيجب المبادرة والمساعدة إلى هدم ما لعن رسولُ الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فاعلَه ونهى عنه. والله عز وجل يقيم لدينه وسنة رسوله من ينصرهما ويذب عنهما. فهو أشد غيرة وأسرع تغييراً.

وكذلك يجب إزالة كل قنديل أو سراج على قبر، وطفيه. فإن فاعل ذلك ملعون بلعنة رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم. ولا يصح هذا الوقف ولا يحل إثباته وتنفيذه). انتهى.

وهذا من أهم الواجبات ومن أعظم الواجبات علىٰ ولـي أمـر المسـلمين أن يحـارب مظـاهر الشـرك وأن يسـعىٰ في إزالتهـا وألَّا يُبْقِـي لهـا أثـراً حتـىٰ لا يُفـتَن بهـا الجهلـة مـن المسلمين.

نسأل الله -جل وعلا- بأسمائه الحسنىٰ وصفاته العلا أن يعيننـا علـىٰ ذكـره وشـكره وحسن عبادته.

اللهم إنا نسألك الهدىٰ والتقىٰ والعفاف والغنىٰ.

اللهم آتِ نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها.

اللهم اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا، وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار.

اللهم اغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين.

ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين.

والحمد لله رب العالمين.

٣٠/ صفر/ ١٤٤٥هجرية

التحذير من الشرك وبيان خطره

التحذير من الشرك وبيان خطره

إن الحمد لله، نحمده تعالىٰ ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

اعلموا أن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس، كان مما مضىٰ الحديث عنه بيانُ معنىٰ الشرك بالله سبحانه وتعالىٰ، وبيان قبحه وإساءة فاعله، وأنه موجود في هذه الأمة كما أخبر به نبينا عَلَيۡهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ،

واعلموا أن هذا الذنب الذي هو الشرك بالله بصرف شيء من عبادة الله سبحانه وتعالىٰ لغير الله هو أكبر الذنوب علىٰ الإطلاق، هو أكبر الكبائر وأعظم المحرمات، هو أظلم الظلم، وما عُصِي الله -جل وعلا- بذنب أكبر من هذا الذنب، وما فعلته أمة من الأمم إلا أهلكها الله تعالىٰ في الدنيا -في الغالب-، إضافة إلىٰ ما ينتظرها مما أعده لها من العذاب في الآخرة.

هذا الذنب أخبرنا نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أنه يهلك صاحبه في الدنيا والآخرة، ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ**»، **وذكر منها**: «**الشِّرْكَ بِاللهِ**»[1]، ذكر أوَّلها الإشراك بالله سبحانه وتعالىٰ، والموبقات أي المهلكات؛ لأنها تهلك صاحبها في الدنيا بما يترتب عليها من العقوبات، فالمشرك حلال الدم والمال، إذا دُعِي إلىٰ الإسلام فلم يجب وقوتل أبيح ماله ودمه، فهذا الذنب يهلكه في الدنيا، وكذلك يهلكه في الآخرة بعذاب الله في النار، فهو من الموبقات العظيمة.

هذا الذنب هو أكبر الكبائر، جاء في الصحيحين عن أبي بكرة رضي الله عنه أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ**». ثَلَاثًا، قَالُوا: بَلَىٰ يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ:

(١) البخاري(٢٧٦٦)، ومسلم(٨٩ -١٤٥-).

«**الْإِشْرَاكُ بِاللهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ**». وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَّكِئًا، فَقَالَ: «**أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ**»(١)، فهو أكبر الكبائر.

وهو أظلم الظلم، سماه الله تعالىٰ في كتابه ظلماً عظيماً، فقال عن لقمان وهو يوصي ولده: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣﴾ [سورة لقمان:١٣].

ولما نزل قول الله سبحانه وتعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾ [سورة الأنعام:٨٢]، أي لم يخلطوا توحيدهم بالظلم الذي هو الشرك ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٨٢﴾ [سورة الأنعام:٨٢]، جاء الصحابة إلىٰ النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قالوا: يا رسول الله أينا لم يظلم نفسه؟ فقال عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**لَيْسَ ذَلِكَ، إِنَّمَا هُوَ الشِّرْكُ، أَلَمْ تَسْمَعُوا مَا قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ**: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣﴾ [سورة لقمان:١٣]»(٢)، فالشرك بالله سبحانه وتعالىٰ ظلم عظيم.

الشرك بالله أعظم ذنب عُصِي الله سبحانه وتعالىٰ به، جاء في الصحيحين عن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ أن رجلاً أتىٰ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، فقال: يا رسول الله أي الذنب أعظم؟ ما هو أعظم الذنوب؟ قال: «**أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ**»(٣)، الله -جل وعلا- الذي خلقك وأوجدك في هذه الحياة فأعظم الذنوب أن تجعل له نداً، أن تجعل له مساوياً يساويه، تصرف له شيئاً من العبادات، فهذا أعظم الذنوب.

---

(١) البخاري(٢٦٥٤)، ومسلم (٨٧ -١٤٣-).

(٢) **متفق عليه**، البخاري(٣٤٢٩) ومسلم(١٢٤ -١٩٧-) عن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ.

(٣) البخاري(٤٤٧٧)، ومسلم(٨٦ -١٤١-).

ومن ضرر هذا الذنب وخطره:

أن الله تعالىٰ لا يغفره إلا بتوبة صادقة قبل الموت، ومن مات ولم يتب منه فلا يغفره الله له، كلُّ الذنوب مُعرَّضة لمغفرة الله، معرضة لمحو الله تعالىٰ لها، إلا الإشراك بالله -جل وعلا- فلا يُغفر إلا بتوبة صادقة قبل الموت، قال الله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [سورة النساء:٤٨]، فالله -جل وعلا- لا يغفر الشرك به ويغفر ما دون ذلك من الذنوب لمن شاء من عباده سبحانه وتعالىٰ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾.

جاء في صحيح مسلم(٢٦٨٧ -٢٢-) عن أبي ذر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**قال الله -عز وجل- مَنْ لَقِيَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطِيئَةً** -بقرابها أي بملئها أو ما يقارب ملئها- **لَا يُشْرِكُ بِي شَيْئًا، لَقِيتُهُ بِمِثْلِهَا مَغْفِرَةً**»، فكل الذنوب عُرضَة للمغفرة إلا هذا الذنب الذي استثناه الله -جل وعلا- في الآية وفي هذا الحديث القدسي: (من لقيني بقراب الأرض خطيئة) ولو بملئها أو ما يقارب ملئها، لكن (لا يشرك بي شيئًا)، اجتنب الشرك وابتعد عنه (لقيته بمثلها مغفرة)، وبنحوه حديث أنس عند الترمذي(٣٥٤٠) وفيه يقول الله -عز وجل-: «**يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا، ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً**»، فإذاً هو ذنبٌ لا يُغفَر، لعظمة هذا الذنب لشدته وخطورته لا يغفر الله تعالىٰ لمن صدر منه إلا إذا تاب

توبة صادقة إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ قبل أن يموت، فإذا تاب فالتوبة تهدم ما قبلها وإذا لم يتب ومات علىٰ ذلك فهو في خسران عظيم والعياذ بالله، خسران وأيُّ خسران؟

جاء في سنن أبي داود(٤٢٧٠) ومستدرك الحاكم(٨٠٣٢) وغيرهما عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**كُلُّ ذَنْبٍ عَسَىٰ اللهُ أَنْ يَغْفِرَهُ، إِلَّا مَنْ مَاتَ مُشْرِكًا**»، فكلُّ ذنب عسىٰ الله أن يغفره، أي أنه يُرجَىٰ من الله تعالىٰ مغفرته إلا من مات مشركًا بالله -جل وعلا-، فهذا الذنب لا سبيل للمغفرة إليه مع أن الله هو الغفور الرحيم الذي وسعت مغفرته ورحمته كل شيء، ولكن هذا الذنب استثناه الله تعالىٰ لعظمته.

هذا الذنب يُحبط جميع أعمال العبد، لو بقي الإنسان عابداً لله طيلة حياته، لو بقي مقيمًا للصلاة مؤدِّيًا للزكاة صائمًا مؤديًا للحج متصدقًا فاعلاً للخيرات، ثم أشرك بالله -جل وعلا- هُدمت جميع هذه الأعمال، ولا تساوي شيئًا عند الله وإن كثُرت، ولا يقبل الله -جل وعلا- منها شيئًا، فأشقىٰ الناس هومن يشرك بالله، الذي يُتعِب نفسه في العمل وربما قضىٰ سنين طويلة وهو يعمل الطاعات يظن أنها تُنجِّيه من عذاب الله فإذا به يهدمها جميعًا بالإشراك بالله، قال الله تعالىٰ لنبيه الذي هو أكثر الناس أعمالاً وللأنبياء من قبله -عليهم الصلاة والسلام-: ﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٦٥﴾ [سورة الزمر:٦٥]، هذا خطاب للرسول وللأنبياء من قبله -عليهم الصلاة والسلام-، ﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ﴾ إن حصل منك

الشرك ﴿لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٦٥﴾ [سورة الزمر:٦٥]، وقال الله تعالىٰ بعد أن ذكر جماعةً من الأنبياء: ﴿وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٨٨﴾ [سورة الأنعام:٨٨]، بعد أن قص الله علينا خبر جماعة من أنبيائه في سورة الأنعام قال: ﴿وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ﴾ لو حصل منهم الشرك، وهم معصومون من الشرك لا يمكن أن يوجد شرك من الأنبياء لكن (لو أشركوا) علىٰ سبيل الفرض ﴿لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٨٨﴾، فالشرك بالله -جل وعلا- يحبط جميع الأعمال، ولا يبقىٰ معه من الأعمال شيء.

الله سبحانه وتعالىٰ يقول في الكفار: ﴿وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا ٢٣﴾ [سورة الفرقان:٢٣]، لا ينفعهم شيئًا يقول الله سبحانه وتعالىٰ: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوۡمٍ عَاصِفٖۖ لَّا يَقۡدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ١٨﴾ [سورة إبراهيم:١٨]، أعمالهم كرماد عصفت به الرياح الشديدة فتطاير يمينا وشمالا لم يبقَ منه شيء، فهكذا أعمال المشركين، ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ٣٩﴾ [سورة النور:٣٩]، الذين كفروا أعمالهم كسراب والسراب هو الشيء الذي يخيل للإنسان في شدة الحر والرمضاء أنه ماء فإذا وصل إليه لم يجده شيئًا، (كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتىٰ إذا جاءه لم يجده شيئًا ووجد الله عنده فوفَّاه حسابه والله سريع

الحساب)، وهكذا يقول نبينا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، قال الله -عز وجل-: «**أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**»(١)، فالله -جل وعلا- أغنى الشركاء عن الشرك ومن عمل عملاً أشرك فيه مع الله -جل وعلا- أحدا تركه الله وأحبط عمله ولم يقبل منه شيئًا، أقول ما سمعتم.

والحمد لله رب العالمين

(١) رواه مسلم(٢٩٨٥) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلىٰ عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليما كثيراً.

أيها الناس.

الإشراك بالله يوجب لصاحبه النار خالداً مخلداً فيها أبداً، الإشراك بالله يُحرِّم علىٰ فاعله الجنة فمن أشرك بالله -جل وعلا- فهو من أهل النار الخالدين فيها أبد الآبدين، لو بقي عابداً لله -جل وعلا- طيلةَ حياته ثم أشرك بالله كان من أهل النار، قال الله سبحانه وتعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ٧٢﴾ [سورة المائدة:٧٢]، فمن يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة وأوجب له النار ﴿بَلَىٰۚ مَن كَسَبَ سَيِّئَةٗ﴾، السيئة هنا هي الشرك ﴿بَلَىٰۚ مَن كَسَبَ سَيِّئَةٗ وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٨١﴾ [سورة البقرة:٨١].

﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ لأن الذي يدعو مع الله إلاها آخر مشرك بالله، ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ٦٨ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ٦٩﴾، يخلد في العذاب مهانا غير مكرم، قال الله: ﴿إِلَّا

مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [سورة الفرقان:٦٨-٧٠].

جاء في صحيح مسلم(٩٣ -١٥١-) أن رجلاً أتىٰ النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا الْمُوجِبَتَانِ؟ -أي ما هما الخصلتان اللتان توجب الجنة والنار؟- فَقَالَ: «مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ»، فمن مات يشرك بالله -جل وعلا- شيئًا وجبت له النار، وجاء في الصحيحين عن أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لِأَهْوَنِ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا: لَوْ كَانَتْ لَكَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، أَكُنْتَ مُفْتَدِيًا بِهَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ. فَيَقُولُ: قَدْ أَرَدْتُ مِنْكَ أَهْوَنَ مِنْ هَذَا، وَأَنْتَ فِي صُلْبِ آدَمَ؛ أَنْ لَا تُشْرِكَ وَلَا أُدْخِلَكَ النَّارَ فَأَبَيْتَ إِلَّا الشِّرْكَ»(١).

أبيتَ إلا أن تشرك فوجبت لك النار، وهذا وعدٌ من الله أن من لا يشرك بالله لا يدخله النار دخولا يُخلَّد فيها، (أردت منك ما هو أهون من ذلك ألا تشرك بي شيئًا ولا أدخلك النار)، فالذي يموت وهو مشرك بالله تعالىٰ استوجب عقوبة الله، وجبت له النار كما أخبر به الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ولو كان شركًا يسيرا في نظره، جاء في أثرٍ عن سلمان الفارسي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عند ابن أبي شيبة(٣٣٠٣٨) والإمام أحمد في الزهد (٨٤) بإسناد صحيح، [وهو محتمل أنه أخذه عن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أو أخذه من أخبار من تقدم حين

(١) البخاري(٦٥٥٧)، ومسلم(٢٨٠٥ -٥١-).

كان علىٰ الملل السابقة لأنه في أمر غيبي] قال رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «دَخَلَ رَجُلٌ الْجَنَّةَ فِي ذُبَابٍ، وَدَخَلَ النَّارَ رَجُلٌ فِي ذُبَابٍ» قَالُوا: وَكَيْفَ ذَلِكَ؟ قَالَ: مَرَّ رَجُلَانِ عَلَىٰ قَوْمٍ لَهُمْ صَنَمٌ لَا يَجُوزُهُ أَحَدٌ حَتَّىٰ يُقَرِّبَ لَهُ شَيْئًا، [يعني: يُقدِّم له أيَّ شيء يتقرب به إلىٰ الصنم تعظيماً لهذا الصنم] فَقَالُوا لِأَحَدِهِمَا: قَرِّبْ قَالَ: لَيْسَ عِنْدِي شَيْءٌ فَقَالُوا لَهُ: قَرِّبْ وَلَوْ ذُبَابًا فَقَرَّبَ ذُبَابًا، فَخَلَّوْا سَبِيلَهُ " قَالَ: " فَدَخَلَ النَّارَ، وَقَالُوا لِلْآخَرِ: قَرِّبْ وَلَوْ ذُبَابًا قَالَ: مَا كُنْتُ لِأُقَرِّبَ لِأَحَدٍ شَيْئًا دُونَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ. قَالَ: (فَضَرَبُوا عُنُقَهُ» قَالَ: «فَدَخَلَ الْجَنَّةَ).

فهذا رجل وجبت له النار بذباب قدَّمه لغير الله تعظيماً، كيف من يُقدَّم القرابين؟ من يذبح الذبائح؟ وينذر النذور للأصنام أو للأولياء المقبورين أو للجن والشياطين، يتقرب إلىٰ غير الله -جل وعلا- بالقرابين.

فإذاً هذا ذنب عظيم يوجب لصاحبه أن يخاف علىٰ نفسه منه، فالأنبياء خافوا من الشرك، والرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ خافه علىٰ الأمة، يقول الله تعالىٰ عن نبيه إبراهيم الذي كسر الأصنام بيده وحطمها بنفسه عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ قال الله سبحانه وتعالىٰ عنه، أنه قال: ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ٣٥﴾ [سورة إبراهيم:٣٥]، هذا كان دعاء إبراهيم، ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ ءَامِنٗا وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ٣٥﴾ [سورة إبراهيم:٣٥]، جنّبنا عبادة الأصنام، ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضۡلَلۡنَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِۖ﴾ [سورة إبراهيم:٣٦]، هذه الأصنام أظلت أُمما من الناس، فيخاف إبراهيم

علىٰ نفسه وعلىٰ ذريته من عبادة الأصنام، وهو إمام الموحدين في زمنه الذي كسَّر الأصنام بيده ولكن يخاف الشرك، فمن يأمن الشرك علىٰ نفسه بعد نبي الله إبراهيم؟

وجاء في مسند الإمام أحمد(٢٣٦٣٠) عن محمود بن لبيد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ**». قَالُوا: وَمَا الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**الرِّيَاءُ، يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: إِذَا جُزِيَ النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمُ، اذْهَبُوا إِلَىٰ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاءُونَ فِي الدُّنْيَا، فَانْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً**»، هذا الذنب وهو الرياء أن يعمل الإنسان العمل لله ولكن يشرك غير الله مع الله، يعمله لله ويريد أن يمدحه الناس علىٰ العمل، يعمل العمل لله سبحانه وتعالىٰ وهو مُسلِم ولكنه يريد من الناس الثناء، يريد من الناس أن ينظروا إليه وأن يذكروه بذلك العمل، إذاً حصل شرك في النية، هذا الذنب أخوف ما خافه الرسول عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ علىٰ هذه الأمة، كيف بمن يجعل العبادة كلها خالصة لغير الله لا ينوي بها وجه الله؟ كيف بمن يقرب القرابين ويستغيث بغير الله ابتداءً، ويدعو غير الله استقلالا؟

إذا كان الرسول خاف هذا الذنب، فكيف بما هو أعظم منه من الشرك.

ولذا كان من وصية الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لجماعة من الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ ألا يفعلوا الشرك مهما بلغ الحال، جاء في حديث أبي الدرداء رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عند البخاري في الأدب المفرد(١٨)، وجاء عن جماعة من الصحابة كأبي ذر وعبادة بن الصامت وغيرهم رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**لا تشرك بالله شيئًا وإن قُطِّعتَ أو حُرِّقتَ**»، لا تشرك بالله شيئًا أيَّ شركٍ كان، ولو قُطِّع جسدك قطعةً قطعةً، ولو أحرقت

بالنار فلا تشرك بالله، فمهما كان عذاب الدنيا سيزول، لكن عذاب الآخرة للمشركين لا يزول ولا ينقضي ولا ينتهي ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ [سورة النساء:٥٦]، فإذا كان كذلك فهذا يوجب علىٰ الإنسان أن يخاف علىٰ نفسه من الشرك بالله، وأن يتعلم ذلك، وأن يجتهد في معرفته حتىٰ لا يقع فيه؛ فيهلك في الدنيا وفي الآخرة.

نسأل الله -جل وعلا- أن يعصمنا وإياكم وجميع المسلمين من الشرك به سبحانه وتعالىٰ.

اللهم اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وكفِّر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار.

ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين.

اللهم ربنا اغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين.

ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

والحمد لله رب العالمين

١٤ / ربيع الأول/ ١٤٤٥هجرية

أقسام الشرك

أقسام الشرك

إن الحمد لله، نحمده تعالىٰ ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

اعلموا أن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس، سبق الحديث فيما مضىٰ عن تفسير الشرك بالله سبحانه وتعالىٰ، وبيان خطره وضرره علىٰ العبد في الدنيا والآخرة، وأنه يجب الحذر منه، وإن مما ينبغي معرفته أن يعرف الإنسان أقسام الشرك التي ذكرها أهل العلم، ودلَّت عليها أدلة القرآن والسنة، فقد ذكر أهل العلم أن الشرك ينقسم إلىٰ قسمين: شرك أكبر، وشرك أصغر.

١- **شرك أكبر**، يُعرف معناه من اسمه، أي أنه شرك كبير عظيم.

٢- **وشرك أصغر**، أي هو دون ذلك، وكلاهما من أكبر الذنوب وأعظمها، بل هما أكبر الذنوب الشرك الأكبر والشرك الأصغر.

فالشرك الأكبر فسَّره النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، حين سأله رجل: أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ؟ قال: «**أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ**»[(١)].

فهذا هو الشرك الأكبر أن يجعل الإنسان لله ندًّا أي شريكًا مساويًا يدعوه كما يدعو الله ويخافه كما يخاف الله ويرجوه كما يرجو الله ويحبه كما يحب الله، أو يجعل له شيئًا من خصائص الألوهية والربوبية التي لا تكون إلا لله سبحانه وتعالىٰ، فهذا من الشرك الأكبر.

والشرك الأصغر ما كان دون ذلك، وهو عند أهل العلم: ما ورد في القرآن أو السنة تسميته شركًا من الأقوال أو الأفعال أو الاعتقادات التي لا تكون مقتضية لخروج

(١) رواه البخاري(٤٤٧٧)، ومسلم(٨٦ -١٤١-) عن ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

فاعلها من الإسلام، فما سماه الشارع شركًا مما قد يكون وسيلة أو ذريعة إلىٰ الشرك الأكبر، وليس مقتضيا لخروج فاعله عن ملة الإسلام فهو من الشرك الأصغر.

فهذه أقسام الشرك، وكلا القسمين يكون باللسان، ويكون بالقلب، وقد يكون بالجوارح.

فالشرك الأكبر قد يكون باللسان، كشرك الدعاء لغير الله، فمن دعا غير الله بلسانه واستغاث بغير الله سبحانه وتعالىٰ فقد وقع في الشرك الأكبر، كما قال الله سبحانه: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ﴾ أي في السفن ﴿دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [سورة العنكبوت:٦٥] أي يشركون في دعاء غير الله.

ومن الشرك الأكبر باللسان، أن يحلف بغير الله معظمًا لهذا الغير كتعظيم الله أو أشد فهذا يسميه العلماء شركًا أكبر، وإن كان الشرك الأكبر في الحقيقة هو في تعظيم غير الله كتعظيم الله أو أشد، وأما حلفُهُ فالأصل فيه أنه شرك أصغر، لكن لما اقترن به هذا التعظيم الذي هو شرك أكبر سُمي شركًا أكبر.

وقد يكون الشرك باللسان من الشرك الأصغر، كالحلف بغير الله، أو يقول: (ما شاء الله وشاء فلان) أو يقول: (لولا الله وفلان) أو يقول: (أنا بالله وبفلان) ونحو ذلك مما يجري علىٰ اللسان من إشراك غير الله مع الله –جل وعلا– في شيء من الأشياء، فهذا الأصل فيه أنه من الشرك الأصغر الذي هو أعظم من كل الكبائر.

وقد يكون الشرك الأكبر بالقلب، كأن يحب غير الله كمحبة الله، ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [سورة البقرة:١٦٥] فهذا فِعْلُ المشركين

أحبوا الأنداد والآلهات كمحبتهم لله، فمن أحب أحداً من المخلوقين كمحبته لله أو أشد فهو مشرك شركـًا أكبر، أو يخاف من غير الله كخوفه من الله أو أكثر، ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ﴾ أي يخوفكم بأوليائه ﴿فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٧٥﴾ [سورة آل عمران:١٧٥]، فإن كنتم من أهل الإيمان فلا تخافوا غير الله كما تخافون الله.

من الشرك الأكبر في القلب، أن يرائي الإنسان بجميع أعماله، تكون كل أعماله التي يعملها يريد بها غير وجه الله، هذا لا يكون من مسلم أن يريد بكل أعماله الرياء، يعمل لأجل الدنيا لا يعمل لأجل الله، فهذا حتىٰ ولو عمل الصالحات وهو يريد بها غير وجه الله فهو واقع في الشرك الأكبر.

وقد يكون الشرك بالقلب شركـًا أصغر، كيسير الرياء، كمن يرائي ببعض الأعمال، أو يخالطه الرياء أثناء بعض الأعمال وقد كان في أوله خالصـًا لله، أو أن يريد الإنسان ببعض أعماله الصالحة الدنيا فهذا من الشرك الأصغر، فليحذر الإنسان علىٰ نفسه منه، فهو أكبر من القتل وأكبر من الزنا وأكبر من شرب الخمر، الشرك الأصغر أكبر من كل هذه الكبائر، ولكنه سمي (أصغر) بالنسبة لما قبله من الشرك الأكبر.

هكذا أيضـًا يكون الشرك الأكبر بالجوارح، والأصل في شرك الجوارح أنه من الشرك الأكبر، كأن يسجد لغير الله، أو يذبح لغير الله، أو يقرب القرابين والنذور لغير الله، فهذا الأصل فيه أنه من الشرك الأكبر.

وهكذا من الشرك الأكبر شرك الطاعة مع الاعتقاد، كما قال الله سبحانه وتعالىٰ عن المشركين من اليهود والنصارىٰ: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ﴾ الأحبار هم العلماء والرهبان هم العُبَّاد ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [سورة التوبة:٣١] وتفسير الآية عند أهل العلم أنهم اتخذوهم أربابا في طاعتهم لهم في تحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحل الله، فهم لم يسجدوا لهم ولم يدعوهم من دون الله ولم يستغيثوا بهم، ولكنهم أطاعوهم في تحريم الحلال وتحليل الحرام.

فمن أطاع المخلوق -سواء كان عالمـًا أو عابداً أو سلطانـًا أو مَلِكـًا- من أطاعه في تحريم ما أحل الله، دعا إلىٰ تحريم شيء حلال، أو تحليل ما حرَّم الله، دعا إلىٰ تحليل شيء حرمه الله، فمن أطاعه مع علمه بتبديله للدين واعتقاده ما فعله من التحليل والتحريم، أي اعتقد أن ما حرَّمه هذا الشخص فهو الحرام، وما أحلَّه هذا الشخص فهو الحلال، مع علمه أن حكم الله بخلاف ذلك، فهذا مشرك شركا أكبر.

فإذا دعا أحدٌ من الملوك أو العلماء أو العُبَّاد إلىٰ تحريم الحلال وتحليل الحرام، فمن أطاعه باعتقاده بأن اعتقد ما قاله هذا المُبدِّل لدين الله مع علمه بتبديله للدين، فهذا شرك أكبر، لأنه جعله مُشرِّعـًا مع الله جعل له حق التشريع الذي لا يكون إلا لله سبحانه وتعالىٰ.

وأما إن أطاعه بعمله وتابعه في ذلك العمل مع اعتقاده أن الحلال هو ما أحله الله والحرام هو ما حرمه الله ولكن تابعه في ذلك العمل فهو عاص لله تعالىٰ بحسب ذلك العمل الذي تابعه فيه إن كان كفرا أو دونه[1].

فهذا من أقسام الشرك بالله: شركُ الطاعة والمتابعة لمن يحرِّم حلالاً أو يُحلُّ حرامًا، فكل هذه من أقسام الشرك.

فليحذر المسلم من الوقوع في ذلك فإن كلا الشركين من أخطر ما يكون علىٰ العبد، نسأل الله تعالىٰ العصمة من الزلل، ومن الشرك به سبحانه وتعالىٰ.

والحمد لله رب العالمين

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في مجموع الفتاوىٰ (٧/ ٧٠): (وَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا - حَيْثُ أَطَاعُوهُمْ فِي تَحْلِيلِ مَا حَرَّمَ اللهُ وَتَحْرِيمِ مَا أَحَلَّ اللهُ يَكُونُونَ عَلَىٰ وَجْهَيْنِ:

(**أَحَدُهُمَا**): أَنْ يَعْلَمُوا أَنَّهُمْ بَدَّلُوا دِينَ اللهِ فَيَتْبَعُونَهُمْ عَلَىٰ التَّبْدِيلِ فَيَعْتَقِدُونَ تَحْلِيلَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَتَحْرِيمَ مَا أَحَلَّ اللهُ اتِّبَاعًا لِرُؤَسَائِهِمْ مَعَ عِلْمِهِمْ أَنَّهُمْ خَالَفُوا دِينَ الرُّسُلِ فَهَذَا كُفْرٌ وَقَدْ جَعَلَهُ اللهُ وَرَسُولُهُ شِرْكًا - وَإِنْ لَمْ يَكُونُوا يُصَلُّونَ لَهُمْ وَيَسْجُدُونَ لَهُمْ - فَكَانَ مَنْ اتَّبَعَ غَيْرَهُ فِي خِلَافِ الدِّينِ مَعَ عِلْمِهِ أَنَّهُ خِلَافُ الدِّينِ وَاعْتَقَدَ مَا قَالَهُ ذَلِكَ دُونَ مَا قَالَهُ اللهُ وَرَسُولُهُ؛ مُشْرِكًا مِثْلَ هَؤُلَاءِ.

وَ(الثَّانِي): أَنْ يَكُونَ اعْتِقَادُهُمْ وَإِيمَانُهُمْ بِتَحْرِيمِ الْحَرَامِ وَتَحْلِيلِ الْحَلَالِ ثَابِتًا لَكِنَّهُمْ أَطَاعُوهُمْ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ كَمَا يَفْعَلُ الْمُسْلِمُ مَا يَفْعَلُهُ مِنْ الْمَعَاصِي الَّتِي يَعْتَقِدُ أَنَّهَا مَعَاصٍ؛ فَهَؤُلَاءِ لَهُمْ حُكْمُ أَمْثَالِهِمْ مِنْ أَهْلِ الذُّنُوبِ.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليما كثيراً.

أيها الناس، أيضـًا مما ينبغي معرفته، والمسلم بحاجة إليه؛ معرفة الفرق بين الشركين في الأحكام، فما سبق هو فرق بين الشركين في التعريف والضابط والحقيقة، ومما ينبغي معرفته معرفة الفرق بين أحكام الشرك الأكبر والشرك الأصغر، فكلاهما له أحكام في الدنيا وفي الآخرة، **فمن أحكام الشرك الأكبر:**

١ - أنه صاحبه يَخرُج من الإسلام، فالمشرك شركـًا أكبر لا يكون مسلمـًا، بل يكون كافرا مشركـًا بالله سبحانه وتعالىٰ، كما دلت علىٰ ذلك الأدلة.

وأما صاحب الشرك الأصغر فإنه لا يكفر بفعله، بل لا يزال مسلمـًا وقع منه هذا الذنب العظيم الذي يجب عليه أن يبادر إلىٰ الله تعالىٰ بالتوبة منه.

من أحكام الشركين أيضـًا:

٢ - أن الشرك الأكبر يبيح المال والدم ولا يبقىٰ لماله ولا لدمه عصمة، فالمشركون شركـًا أكبر قاتلهم الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واستباح دماءهم وأموالهم، لأن الله خلق الخلق لعبادته خلق الخلق لتوحيده فمن لم يَقُمْ بهذا الأمر الذي خلقه الله لأجله لا بقاء له في هذه الحياة، بل يكون دمه حلالاً وماله مباحـًا، لأن المال مال الله لا يجوز أن يبقىٰ في يد من يحارب به رب العالمين.

وأما الشرك الأصغر فلا يكون كذلك، فلا يبيح دمـًا ولا مالاً.

من أحكام الشرك الأكبر أيضـًا:

٣- أنه يحبط جميع الأعمال، فمن وقع منه الشرك الأكبر فإنها تحبط سائر أعماله ولو كانت كثيرة، لا ينتفع بشيء منها، مهما عمل من الطاعات ومهما تقرب إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ ولكنه يفعل الشرك الأكبر لا ينفعه عمل، ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [سورة الفرقان:٢٣]، وقال الله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [سورة الزمر:٦٥]، فالشرك الأكبر يحبط سائر أعمال العبد ولا ينتفع منها بشيء.

وأما الشرك الأصغر فإنه يحبط العمل الذي خالطه والذي قارنه، فعَمَلٌ عمله الإنسان رياء هذا لا يقبله الله، وهكذا عملٌ عمله الإنسان لإرادة الدنيا هو حابط لا يقبله الله، فالشرك الأصغر يحبط العمل الذي خالطه وقارنه.

هكذا من أحكام الشرك الأكبر:

٤د- أنه لا يغفره الله -جل وعلا- في حق من مات عليه، فمن مات علىٰ الشرك الأكبر ولم يتب منه فلن يغفر الله تعالىٰ له هذا الذنب ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [سورة النساء:٤٨].

وأما الشرك الأصغر؛ فمن أهل العلم من رأىٰ إلحاقه بالشرك الأكبر، وأن الله تعالىٰ لا يغفره، وأنه لابد أن يُعذَّب عليه، ومن أهل العلم من ألحقه بسائر الكبائر وأنه تحت

مشيئة الله، فهذا خطير علىٰ الإنسان أن يحصل منه رياء أو أن يحصل منه عمل لإرادة الدنيا، يعمل عملاً صالحًا لإرادة مال أو لإرادة وظيفة أو لإرادة منصب وجاه بين الناس، قد ألحقه كثير من أهل العلم بالشرك الأكبر الذي لا يغفره الله.

وهكذا من أحكام الشرك الأكبر:

٥- أن من مات عليه مخلد في النار، والجنةُ عليه حرام، ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ٧٢﴾ [سورة المائدة:٧٢]. والشرك الأصغر ليس كذلك، ولو عُذِّب صاحبه في النار لا يخلد فيها.

إذاً فمن مات بريئًا من الشركين وجبت له الجنة، ومن مات علىٰ الشرك الأكبر وجبت له النار، ومن مات علىٰ الشرك الأصغر ولم يكن عنده شرك أكبر فلا يخلد في النار وإن دخلها. وكلُّ هذا يوجب للإنسان أن يحذر من الشرك بالله تعالىٰ أكبره وأصغره لأنه ذنب عظيم كما تقدم بيان قُبْحِه ومَضرَّته علىٰ العبد في الدنيا والآخرة. فنسأل الله -جل وعلا- أن يعيننا علىٰ ذكره وشكره وحسن عبادته.

اللهم أعنا علىٰ ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.

اللهم إنا نسألك الهدىٰ والتقىٰ والعفاف والغنىٰ.

اللهم آت نفوسنا تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها.

اللهم اغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين.

ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

والحمد لله رب العالمين - ٢١ / ربيع الأول/ ١٤٤٥هجرية

أمور تنافي التوحيد (١)

الحلف بغير الله وقول: ما شاء الله وشئت، ونحوها

إن الحمد لله، نحمده تعالىٰ ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

اعلموا أن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس، كان مما مضىٰ الحديث عنه بيانُ أهمية توحيد الله سبحانه وتعالىٰ، وبيانُ أقسامه وشيءٍ مما يتعلق به، وهكذا بيان خطر الشرك وضرره علىٰ الناس، وأنه سبب للهلاك في الدنيا وفي الآخرة.

وهناك أمور تنافي توحيد الله سبحانه وتعالىٰ من الأقوال والأفعال، ومعرفتُها من العلم الذي يجب علىٰ الإنسان أن يتعلمه؛ لأنه أساس الدين، والتنبيهُ علىٰ الأقوال والأفعال التي تخالف توحيد الله سبحانه وتعالىٰ هو من صميم دعوة الرسل -عليهم الصلاة والسلام- فقد كانت دعوتهم عليهم الصلاة والسلام في التحذير مما ينافي توحيد الله سبحانه وتعالىٰ، وهذه الأمور منها ما ينافي التوحيد منافاة كُلِّيَّة ويُخرج صاحبه من الإسلام، ومنها ما ينافي كمال التوحيد الواجب ويُنقص الإيمان.

فمن الأمور التي تنافي التوحيد وهو من أكثرها فُشُوًّا بين الناس:

الحلف بغير الله سبحانه وتعالىٰ:

وغير الله يشمل كل من سوىٰ الله، سواء كان يحلف بالملائكة، أو بالأنبياء والرسل، أو بالآباء والأمهات، أو يحلف ببعض المخلوقات كالكعبة وغيرها، فالحلف بغير الله سبحانه وتعالىٰ ينافي توحيد الله -جل وعلا-.

والسبب في ذلك أن الحلف فيه تعظيم فالحالف لا يحلف بشيء إلا وهو يعظمه؛ لأن الحلف توكيد للأمر الذي يحلف عليه، فهو يريد أن يُصدِّقه الناس في ذلك الشيء الذي يحلف عليه، فمعناه أنه يذكر في حلفه ما هو مُعظَّم عنده، ولذا كان الحلف لا يكون إلا بالله -بأسمائه وصفاته- ولا يكون الحلف بغيره؛ لأن التعظيم الذي هو

عبادة لا يكون إلا لله سبحانه وتعالىٰ، فلهذا الأمر وهو ما في الحلف من التعظيم كان الحلف بغير الله سبحانه وتعالىٰ شركًا، لأنه تعظيم لغير الله بما لا يكون إلا لله.

والأصل في الحلف بغير الله أنه من الشرك الأصغر الذي هو أعظم الذنوب سوىٰ الشرك الأكبر، فإذا صحب هذا الحلف تعظيم لغير كتعظيم الله أو أشد كما يفعل بعض المشركين يحلف ببعض الآلهات معظما لها كتعظيم الله، فهذا من الشرك الأكبر الذي يُخرِج صاحبه عن الإسلام.

وقد جاء في الشريعة النهي عن أشياء كثيرة من الحلف بغير الله سبحانه وتعالىٰ، فنهىٰ النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عن الحلف بالكعبة، جاء عند الإمام أحمد (٢٧٠٩٣) والنسائي (٣٧٧٣) عَنْ قُتَيْلَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا امْرَأَةٍ مِنْ جُهَيْنَةَ، أَنَّ يَهُودِيًّا أَتَىٰ النَّبِيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فَقَالَ: إِنَّكُمْ تُشْرِكُونَ؛ تَقُولُونَ: وَالْكَعْبَةِ. -فسمىٰ اليهودي هذا الفعل شركًا ممن يقول: (والكعبة) أي يحلف بالكعبة- فَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَحْلِفُوا أَنْ يَقُولُوا: وَرَبِّ الْكَعْبَةِ.

وهكذا جاء عند أحمد(٥٣٧٥) وأبي داود(٣٢٥١) والترمذي(١٥٣٥) وغيرهم أن ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا سمع رجلاً يحلف بالكعبة، فقال له ابن عمر: لا تحلف بالكعبة فإني سمعت النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يقول: «**مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ أَشْرَكَ**».

هكذا نهاهم الرسول عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ أن يحلفوا بالآباء أو بالأمهات، جاء في الصحيحين عن ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: أَدْرَكَ النبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ فِي رَكْبٍ وَعُمَرُ يَحْلِفُ بِأَبِيهِ -وكان حديث عهد بالإسلام- فقال له النبي

عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**إِنَّ اللهَ -عَزَّ وَجَلَّ- يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللهِ أَوْ لِيَصْمُتْ**». قَالَ عُمَرُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: فَوَاللهِ مَا حَلَفْتُ بِهَا مُنْذُ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ذَاكِرًا وَلَا آثِرًا.[1] أي أنه امتثل الأمر ولم يعُدْ إلىٰ ذلك.

وهكذا جاء عند أبي داود (٣٢٤٨) والنسائي(٣٧٦٩) عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لَا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، وَلَا بِأُمَّهَاتِكُمْ، وَلَا بِالْأَنْدَادِ، وَلَا تَحْلِفُوا إِلَّا بِاللهِ، وَلَا تَحْلِفُوا باللهِ إِلَّا وَأَنْتُمْ صَادِقُونَ**»، فنهاهم الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أن يحلفوا بالآباء أو بالأمهات، ومثله أن يحلف الإنسان بأولاده أو برأس أولاده أو بقبيلته أو بعشيرته، كل ذلك مما ينافي توحيد الله سبحانه وتعالىٰ.

وهكذا نهاهم الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أن يحلفوا بالأنداد أي بالآلهات التي كانوا يعظمونها كما في حديث أبي هريرة المتقدم: «**لَا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، وَلَا بِأُمَّهَاتِكُمْ، وَلَا بِالْأَنْدَادِ**».

وجاء في صحيح مسلم(١٦٤٨ -٦-) عن عبد الرحمن بن سمرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لَا تَحْلِفُوا بِالطَّوَاغِي ، وَلَا بِآبَائِكُمْ**». الطواغي والطواغيت هي الآلهات التي كانوا يعبدونها من دون الله، لأنهم طغوا فيها أي جاوزا فيها الحد، فكانوا من تعظيمهم لها يحلفون بها، حتىٰ إن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حذَّرهم من الحلف بهذه

(١) رواه البخاري(٦١٠٨)، ومسلم(١٦٤٦ -١-). و قَوْلُهُ: «ذَاكِرًا» أَيْ عَامِدًا، قَائِلًا لَهَا مِنْ قِبَلِ نَفْسِي، ولَيْسَ هُوَ من الذّكر ضد النسْيَان. وقَوْلُهُ: «وَلَا آثِرًا» بِالْمَدِّ وَكَسْرِ الْمُثَلَّثَةِ أَيْ حَاكِيًا عَنِ الْغَيْرِ، أَيْ مَا حَلَفْتُ بِهَا وَلَا حَكَيْتُ ذَلِكَ عَنْ غَيْرِي.

الآلهات وأمَر مَن فعل ذلك أن يُجدد إسلامه، كما جاء في الصحيحين عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَنْ حَلَفَ مِنْكُمْ فَقَالَ فِي حَلِفِهِ: بِاللَّاتِ وَالْعُزَّىٰ. فَلْيَقُلْ: لا إله إلا الله**».(١) أي إذا حلف بهذه الآلهة فقد كفر، ولذا أمره الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يقول: لا إله إلا الله، مُجدِّداً للإسلام.

يبين ذلك ما أخرجه الإمام النسائي وغيره أن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كُنَّا نَذْكُرُ بَعْضَ الْأَمْرِ، وَأَنَا حَدِيثُ عَهْدٍ بِالْجَاهِلِيَّةِ، فَحَلَفْتُ بِاللَّاتِ وَالْعُزَّىٰ، فَقَالَ لِي أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بِئْسَ مَا قُلْتَ، ائْتِ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبِرْهُ، فَإِنَّا لَا نَرَاكَ إِلَّا قَدْ كَفَرْتَ. فَأَتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ لِي: «**قُلْ: لا إله إلا الله، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ. ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَتَعَوَّذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَاتْفُلْ عَنْ يَسَارِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَلَا تَعُدْ لَهُ**»(٢). فقال له أصحابه: (ما نراك إلا قد كفرت).

ولذا أمره الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بكلمة التوحيد التي تنفي هذه الآلهات من دون الله سبحانه وتعالىٰ، كم من الناس اليوم من يحلف بالآلهات؟ من يحلف بالأولياء؟

---

(١) رواه البخاري(٦٣٠١)، ومسلم (١٦٤٧ –٥–).

(٢) أخرجه النسائي (٣٧٧٦) فقال أَخْبَرَنَا أَبُو دَاوُدَ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا زُهَيْرٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ، عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ. وهذا إسناد رجاله ثقات إلا أن فيه عنعنة أبي إسحاق السبيعي وهو مدلس، أبو داود هو الحراني سليمان بن سيف، والحسن بن محمد هو ابن أعين، وزهير هو ابن معاوية، وقد أخرجه النسائي (٣٧٧٧) من طريق يُونُس بْنِ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُصْعَبُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: حَلَفْتُ بِاللَّاتِ وَالْعُزَّى، فَقَالَ لِي أَصْحَابِي: بِئْسَ مَا قُلْتَ: قُلْتَ هُجْرًا ... الحديث. وهذه الطريق فيها تصريح أبي إسحاق بالتحديث ولكنه لم يذكر اللفظ المذكور: (ما نراك إلا قد كفرت).

من يحلف بالمقبورين؟ بل مستعد أن يحلف بالله كذبا ولا يحلف بهؤلاء كذبا، إذا طُلب منه الحلف بالله وكان كاذبا قد يحلف، لكن إذا قيل له احلف بهذه الآلهة، احلف بالأولياء، -مع أن أَمْرَه بذلك لا يجوز لأنه من الشرك- يمتنع أشد الامتناع؛ لأنه يعظمها أشد من تعظيم الله، فهذا قد وقع في الشرك الأكبر.

هكذا نهىٰ النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عن الحلف بالأمانة وتبرأ ممن فعل ذلك، ففي حديث بريدة عند أحمد(٢٢٩٨٠) وأبي داود(٣٢٥٣) أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَنْ حَلَفَ بِالْأَمَانَةِ فَلَيْسَ مِنَّا**». أي يأتي بالأمانة في سياق الحلف في سياق اليمين؛ لأن الأمانة مخلوق، فكيف يحلف بمخلوق، ويترك الحلف بالخالق؟

هكذا نبينا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حذَّرَنا من الحلف بملة غير الإسلام، كما يقول بعض الناس: إنه بريء من الإسلام إن فعل كذا وكذا، أو يقول عن نفسه: إنه يهودي أو نصراني إذا فعل كذا وكذا، فهذا مع أنه حَلِفٌ بغير الله، أيضـًا تضمن البراءة من ملة الإسلام، ولذا جاء في الصحيحين عن ثابت بن الضحاك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَنْ حَلَفَ بِمِلَّةٍ غَيْرِ الْإِسْلَامِ كَاذِبًا فَهُوَ كَمَا قَالَ**»[(١)].

أي قال عن نفسه: هو يهودي أو هو نصراني، وأكَّد بهذا الحلف علىٰ أمر من الأمور وهو كاذب فيه فهو كما قال، هو يهودي أو نصراني (من حلف بملة غير الإسلام كاذبـًا فهو كما قال).

(١) رواه البخاري(٦١٠٥)، ومسلم(١١٠ -١٧٦-).

وجاء عند أحمد(٣٢٠٠٦) والنسائي(٣٧٧٢) عن بريدة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**مَنْ حَلَفَ أَنَّهُ بَرِيءٌ مِنَ الْإِسْلَامِ. فَإِنْ كَانَ كَاذِبًا فَهُوَ كَمَا قَالَ**، - أي بريء من الإسلام- **وَإِنْ كَانَ صَادِقًا لَمْ يَعُدْ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ سَالِمًا**». حتىٰ لو كان صادقاً وقد تبرأ من الإسلام في حلفه فلن يعود إلىٰ الإسلام سالماً.

كم من الناس اليوم من يحلف بمثل هذا اليمين؟ من يقول عن نفسه: إنه يهودي أو نصراني أو كذا وكذا من الألفاظ، أو هو بريء من الإسلام إن لم يكن هذا الأمر كذا وكذا، فإن كان كاذباً في ذلك الحلف فهذا خطير عليه لأنه أقرَّ علىٰ نفسه بالكفر، وإن كان صادقاً فقد أتىٰ أمراً محرماً عظيماً ولن يرجع إلىٰ الإسلام سالماً.

فالحلف بغير الله بكل صوره محرم منهي عنه، فلا تحلف بغير الله لا بالآباء ولا بالأمهات ولا بالأولاد ولا بالكعبة ولا بالطواغيت ولا بالأمانة ولا بملة غير الإسلام ولا تحلف بالشرف ولا بالعيش والملح ولا بالحياة ولا بالصداقة ولا بنحو ذلك مما يجري علىٰ ألسنة الناس وهو ينافي توحيد الله سبحانه وتعالىٰ.

أقول ما سمعتم، والحمد لله رب العالمين

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيراً.

أيها الناس، إن مما ينافي التوحيد أيضـًا:

تسوية غير الله بالله في المشيئة ونحوها من الأمور.

بأن يجعل الإنسان مشيئة أحد من الناس كمشيئة الله، مع أن الإنسان له مشيئة فالله تعالىٰ أثبت له المشيئة في كتابه، ولكن لا يجوز أن تُقرَن مشيئة الإنسان بمشيئة الله، فلا يجوز أن يقال: (ما شاء الله وشاء فلان)، أو (ما شاء الله وشئت يا فلان)، أو (إذا شاء الله وشئت)، أو (إذا شاء الله وشاء فلان سيكون كذا وكذا)، كل ذلك مما نهىٰ عنه النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ففي مسند الإمام أحمد(٢٧٠٩٣) وسنن النسائي(٣٧٧٣) عن قتيلة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أَنَّ يَهُودِيًّا أَتَىٰ النَّبِيَّ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: (إِنَّكُمْ تُنَدِّدُونَ)، هذا اليهودي سمع بعض الصحابة يقول هذه الكلمة، وكان هذا اليهودي عنده علم من الكتب السابقة، فقال: (إِنَّكُمْ تُنَدِّدُونَ) أي تجعلون لله ندًّا (تَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ)، فَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَقُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ شِئْتَ.

وهكذا عند أحمد(٢٣٣٤٧) وأبي داود(٤٩٨٠) عن حذيفة أن النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لَا تَقُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ، وَشَاءَ فُلَانٌ. وَلَكِنْ قُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ شَاءَ فُلَانٌ**».

وهكذا جاء عند أحمد(٣٢٤٧) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَجُلًا، قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا شَاءَ اللهُ، وَشِئْتَ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَجَعَلْتَنِي وَاللهَ**

عَدْلًا، بَلْ مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ». جعلتني مساويـًا لله؟ تقرن مشيئتي بمشيئة الله بل ما شاء الله وحده.

وقد تبين من هذه الأحاديث أن هذه اللفظة لها ثلاثة أحوال:

الحال الأولىٰ: أن تكون محرمة ومن الشرك بالله، ومن التنديد أي مِنْ جَعْلِ ندٍّ مع الله -جل وعلا- وهو: أن يَقرِن مشيئة غير الله بمشيئة الله بالواو (ما شاء الله وشاء فلان)؛ لأن هذه الواو تقتضي المشاركة والمساواة، أي أن تكون مشيئة فلان من الناس مساوية لمشيئة الله، فهذا لا يجوز؛ لأن مشيئة الله تعالىٰ لا تساويها مشيئة.

والحال الثانية: أن يكون هذا اللفظ جائزاً، وهو: أن يعطفه عليه بثم (ما شاء الله ثم شاء فلان)، وثم تفيد التأخير، أي أن مشيئة فلان مؤخرة عن مشيئة الله، وهذا جائز.

والحال الثالثة: وهو الكمال والأفضل أن يقول: (ما شاء الله وحده) فيجعل المشيئة لله تعالىٰ وحده، وليس معنىٰ هذا أن المخلوق ليس له مشيئة، بل له مشيئة لكنه لا يقرنها بمشيئة الله في اللفظ.

فإذا كان هذا في المشيئة نهىٰ عنه الرسول عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وسماه تنديداً، فكيف بما هو أكثر من ذلك؟ كما قال الإمام ابن القيم رحمه الله: (كيف بمن يقول: أنا متوكل علىٰ الله وعليك؟)، التوكل أعظم من المشيئة فكيف يقرن غير الله بالله تعالىٰ في التوكل عليه، أو يقول: (أنا في حسب الله وحسبك)، والحسب هو الكفاية، أو يقول: (ما لي إلا الله وأنت)، أو يقول: (الله لي في السماء وأنت لي في الأرض)، أو يقول: (هذا من

الله ومنك) أو (هذا من بركة الله وبركتك)، أو يقول: (أنا أرجو الله وأرجو فلانـًا)، كل ذلك كالمشيئة بل أشد[1].

(١) قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «زاد المعاد» (٢/ ٣٢٢): (وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ: «**لَا تَقُولُوا: مَا شَاءَ الله وَشَاءَ فُلَانٌ، وَلَكِنْ قُولُوا: مَا شَاءَ الله ثُمَّ مَا شَاءَ فُلَانٌ**». وَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: مَا شَاءَ الله وَشِئْتَ، فَقَالَ: «**أَجَعَلْتَنِي لله نِدًّا؟ قُلْ مَا شَاءَ الله وَحْدَهُ**».

وَفِي مَعْنَى هَذَا الشِّرْكِ الْمَنْهِيِّ عَنْهُ قَوْلُ مَنْ لَا يَتَوَقَّى الشِّرْكَ: أَنَا بِالله وَبِكَ، وَأَنَا فِي حَسْبِ الله وَحَسْبِكَ، وَمَا لِي إِلَّا الله وَأَنْتَ، وَأَنَا مُتَوَكِّلٌ عَلَى الله وَعَلَيْكَ، وَهَذَا مِنَ الله وَمِنْكَ، وَالله لِي فِي السَّمَاءِ وَأَنْتَ لِي فِي الْأَرْضِ، وَوَالله وَحَيَاتِكَ، وَأَمْثَالُ هَذَا مِنَ الْأَلْفَاظِ الَّتِي يَجْعَلُ فِيهَا قَائِلُهَا الْمَخْلُوقَ نِدًّا لِلْخَالِقِ، وَهِيَ أَشَدُّ مَنْعًا وَقُبْحًا مِنْ قَوْلِهِ مَا شَاءَ الله وَشِئْتَ.

فَأَمَّا إِذَا قَالَ: أَنَا بِالله ثُمَّ بِكَ، وَمَا شَاءَ الله ثُمَّ شِئْتَ، فَلَا بَأْسَ بِذَلِكَ كَمَا فِي حَدِيثِ الثَّلَاثَةِ: «**لَا بَلَاغَ لِيَ الْيَوْمَ إِلَّا بِالله ثُمَّ بِكَ**». وَكَمَا فِي الْحَدِيثِ الْمُتَقَدِّمِ الْإِذْنُ أَنْ يُقَالَ: مَا شَاءَ الله ثُمَّ شَاءَ فُلَانٌ). وانظر أيضا «زاد المعاد» (٢/ ٤٢٩)، و«إغاثة اللهفان» (٢/ ٢٣٣).

وقال في «الجواب الكافي» ص(١٣٤): (وَمِنْ ذَلِكَ (أي من الشرك) قَوْلُ الْقَائِلِ لِلْمَخْلُوقِ: مَا شَاءَ الله وَشِئْتَ، كَمَا «ثَبَتَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ لَهُ رَجُلٌ: مَا شَاءَ الله وَشِئْتَ، فَقَالَ: «**أَجَعَلْتَنِي لله نِدًّا؟ قُلْ مَا شَاءَ الله وَحْدَهُ**». هَذَا مَعَ أَنَّ الله قَدْ أَثْبَتَ لِلْعَبْدِ مَشِيئَةً، كَقَوْلِهِ: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ٢٨﴾ [سُورَةُ التَّكْوِيرِ: ٢٨].

فَكَيْفَ بِمَنْ يَقُولُ: أَنَا مُتَوَكِّلٌ عَلَى الله وَعَلَيْكَ، وَأَنَا فِي حَسْبِ الله وَحَسْبِكَ، وَمَا لِي إِلَّا الله وَأَنْتَ، وَهَذَا مِنَ الله وَمِنْكَ، وَهَذَا مِنْ بَرَكَاتِ الله وَبَرَكَاتِكَ، وَالله لِي فِي السَّمَاءِ وَأَنْتَ فِي الْأَرْضِ. أَوْ يَقُولُ: وَالله، وَحَيَاةِ فُلَانٍ، أَوْ يَقُولُ نَذْرًا لله وَلِفُلَانٍ، وَأَنَا تَائِبٌ لله وَلِفُلَانٍ، أَوْ أَرْجُو الله وَفُلَانًا، وَنَحْوُ ذَلِكَ.

فَوَازِنْ بَيْنَ هَذِهِ الْأَلْفَاظِ وَبَيْنَ قَوْلِ الْقَائِلِ: مَا شَاءَ الله وَشِئْتَ. ثُمَّ انْظُرْ أَيُّهُمَا أَفْحَشُ، يَتَبَيَّنْ لَكَ أَنَّ قَائِلَهَا أَوْلَى بِجَوَابِ النَّبِيِّ ﷺ لِقَائِلِ تِلْكَ الْكَلِمَةِ، وَأَنَّهُ إِذَا كَانَ قَدْ جَعَلَهُ نِدًّا لِله بِهَا، فَهَذَا قَدْ جَعَلَ مَنْ لَا يُدَانِي رَسُولَ الله ﷺ فِي شَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ - بَلْ لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ مِنْ أَعْدَائِهِ - نِدًّا لِرَبِّ الْعَالَمِينَ).

فإذا كان الرسول عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ نهىٰ عن قرن مشيئته هو عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بمشيئة الله وهو خير خلق الله، فكيف يأتي إنسان يقول لأحد من الناس غير الرسول قد يكون من عصاة الناس يقول له ذلك: (أنا متوكل علىٰ الله وعليك)، أو (أنا في حسب الله وحسبك)، أو (ما لي إلا الله وأنت)؛ فهذا قد جعل غير الله مشاركـًا لله سبحانه وتعالىٰ في هذه الأمور، وكما نهىٰ الرسول عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عن المشيئة فهذه أولىٰ بالنهي منها.

هذه أمور تنافي توحيد الله سبحانه وتعالىٰ مما يجري علىٰ ألسنة كثير من الناس ويجب عليهم اجتنابه والحذر منه، ولها بقية بإذن الله تعالىٰ في ذكر الأمور التي تنافي التوحيد من الأقوال والأفعال.

وفي ختام هذا المقام لا ننسىٰ أن ننبه إخواننا المسلمين علىٰ ما يحصل لإخوانهم المسلمين في بلاد فلسطين من اعتداء اليهود وظلمهم وتآمرهم علىٰ قتل المسلمين، وقد يتعاون اليهود مع أعوان لهم من الشيعة الرافضية في بلد فلسطين لضرب المسلمين من أهل السُّنَّة، ولتمكين الرافضة وأمثالهم من ذلك البلد، والضحية هم الشعوب المسلمة الذين يُقصفون ويُضربون ويُعتدىٰ عليهم بأشد أنواع الاعتداء في أيامنا هذه، فلا يغفل المسلم عن دعائه لإخوانه المسلمين في كل أحواله في سجوده وبين الأذان والإقامة وفي خلوته، عسىٰ الله تعالىٰ أن يستجيب دعاءه وأن يفرج عنهم.

وأيضـًا هذه الحوادث -وأمثالُها كثيرٌ- تكشف للمسلمين شدة عداوة اليهود وسائر الكافرين للمسلمين، فوالله لا يريدون بقاء الإسلام، ولا يريدون دوام الخير لأهله، بل

يريدون طمسَه، ومحوَ أثرِه من أرجاء المعمورة، فكيف بعد ذلك يثق بهم المسلم أو يحبهم أو يدعو لمؤاخاتهم أو للتطبيع معهم أو للمحبة لهم؟ كل ذلك مما هو مخالف لكلام الله، ومخالف لكلام رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، بل مخالف للعقل السليم، إذ كيف يدعو إنسان لمحبتهم أو القرب منهم؛ وهم في غاية الحقد والعداوة للمسلمين، كيف يدعو إلىٰ ذلك وهم أَلَدُّ الأعداء؟

فنسأل الله -جل وعلا- القوي العزيز بقوته وعزَّته أن ينتقم من اليهود المعتدين.

اللهم عليك بهم يا قوي يا متين. **اللهم** عليك بهم فإنهم لا يعجزونك. **اللهم** انتقم منهم وأَخُذْهُم أخذ عزيز مقتدر.

اللهم ادفع عن عبادك المسلمين المستضعفين. **اللهم** أنجِ المسلمين المستضعفين في كل مكان. اللهم أنجِ المسلمين المستضعفين في كل مكان.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين. **اللهم** أذل الكفر والكافرين.

اللهم من أراد المسلمين بسوء فاجعل كيده في نحره، **اللهم** قنا وقِ المسلمين من شره.

اللهم اغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين.

ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين.

والحمد لله رب العالمين.

٢٨ / ربيع الأول/ ١٤٤٥هجرية

أمور تنافي التوحيد٢

دعاء غير اللّه، وسب الدهر والريح، ونحوها من المخلوقات

إن الحمد لله، نحمده تعالىٰ ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

اعلموا أن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس، كان مما تقدم الحديث عنه ذكرُ بعض الأمور التي تنافي توحيد الله سبحانه وتعالىٰ والتي يكون فاعلها مخالفًا لهذا الأمر العظيم.

وإنَّ مما ينافي توحيد الله سبحانه وتعالىٰ أيضًا:

دعاء غير الله سبحانه وتعالىٰ في أمور لا يقدر عليها إلا الله، دعاء غير الله علىٰ وجه التعبُّد، يتعبد بدعاء غير الله ويتذلل في ذلك، وهكذا إذا كان في أمور خارجة عن قدرة المخلوق ولا يقدر عليها إلا الله سبحانه وتعالىٰ، فإن دعاء غير الله فيها ينافي توحيد الله تعالىٰ بل هو من الشرك الأكبر، وهذا هو أصل شرك الناس، وأكثر ما يدخل الشرك علىٰ الناس من هذا الباب الخطير، وهو باب دعاء غير الله -جل وعلا-، لأن الدعاء عبادة لله سبحانه وتعالىٰ، دعاء الله عبادة من أعظم العبادات، جاء في سنن أبي داود(١٤٧٩) والترمذي(٣٢٤٧) عن النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ**». ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي﴾ أي عن دعائي ﴿سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ٦٠﴾ [سورة غافر:٦٠]، فالدعاء لله تعالىٰ عبادة عظيمة، وإذا كان كذلك أن الدعاء عبادة، فإن صرف العبادة لغير الله شرك، ولذا نهىٰ الله سبحانه أن يُدعَىٰ غيرُه فقال الله سبحانه وتعالىٰ: ﴿وَلَا تَدۡعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَۖ فَإِن فَعَلۡتَ فَإِنَّكَ إِذٗا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٠٦ وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يُرِدۡكَ بِخَيۡرٖ فَلَا رَآدَّ لِفَضۡلِهِۦۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ١٠٧﴾ [سورة يونس:١٠٦]، ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ

ٱللَّهُۚ قُلۡ أَفَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنۡ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلۡ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوۡ أَرَادَنِي بِرَحۡمَةٍ هَلۡ هُنَّ مُمۡسِكَٰتُ رَحۡمَتِهِۦۚ قُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُۖ عَلَيۡهِ يَتَوَكَّلُ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [سورة الزمر:٣٨]، فلا يقدر علىٰ كشف هذه الأمور إلا الله، لا يقدر علىٰ كشف الكروب وتنفيسها إلا الله سبحانه وتعالىٰ، ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [سورة النمل:٦٢]، ولذا نهىٰ الله أن يُدعىٰ غيره ﴿وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا ﴿١٨﴾﴾ [سورة الجن:١٨]، لا تدعوا أحداً مع الله، لا ملكًا مقربًا، ولا نبيًا مرسلاً، ولا من الجن والشياطين، ولا من الأولياء والصالحين، ولا من سائر المخلوقين، ﴿فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا ﴿١٨﴾﴾.

أخبر الله تعالىٰ أن من دعا غير الله فهو كافر ﴿وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [سورة المؤمنون:١١٧]، فسمىٰ الله الداعين لغيره كافرين، وأخبر الله تعالىٰ أن هذا فعل المشركين ﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [سورة العنكبوت:٦٥] أخلصوا في الدعاء لله إذا ركبوا الفلك أي السفن في البحر وهاجت الرياح واشتدت الأمواج توجهوا إلىٰ الله ﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ إِذَا هُمۡ يُشۡرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [سورة العنكبوت:٦٥]، يشركون بدعاء غير الله مع الله، بعد أن أخلصوا

الدعاء لله تعالىٰ وقت الشدائد، وعلموا أنه لا ينجيهم إلا الله فلما نجوا إلىٰ البر وصاروا في الرخاء أشركوا مع الله غيره في الدعاء، فهذا فعل المشركين.

ولذا بيَّن الله تعالىٰ في كتابه قُبْحَ هذا الأمر -دعاء غير الله تعالىٰ- وأن الداعي لا يحصل علىٰ شيء ولا يستفيد منهم شيئًا بل لا يحصل له إلا الضرر، أخبر الله تعالىٰ أن من يفعل ذلك فهو أضل الناس وأخسر الناس ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ۝٥ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ۝٦﴾ [سورة الأحقاف:٥-٦]، تأمل كيف أخبر الله عن حال هؤلاء، ﴿وَمَنْ أَضَلُّ﴾ أي لا أحد أضل من هؤلاء ﴿مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ﴾، فلو بقي يدعوه من اليوم إلىٰ يوم القيامة لم يستجب له، لأنه غافل عن دعائه، لا يسمعه ولا يعرفه ولو سمعه لم يقدر أن يصنع له شيئًا، ومع ذلك إذا حشر الناس يوم القيامة كانوا لهم أعداء، فهذا الذي دعوته في الدنيا من دون الله يعاديك يوم القيامة ويتبرأ منك ويردُّ اللائمة عليك، ﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ۝٦﴾ [سورة الأحقاف:٦]، يكفرون بعبادتهم لهم ودعائهم لهم من دون الله سبحانه.

وقال الله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ۝١٣﴾ [سورة فاطر:١٣]، القطمير هو الغشاء الأبيض الرقيق الذي يكون علىٰ نواة التمر، فهذا الذي تدعوه من دون الله لا يملك هذا القطمير، ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ

سَمِعُواْ مَا ٱسْتَجَابُواْ لَكُمْۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ [سورة فاطر:١٤]، إن دعوته في الدنيا لن يسمعك، ولو سمع -علىٰ سبيل الفرض والتقدير- لا يملك لك شيئًا، ﴿وَلَوْ سَمِعُواْ مَا ٱسْتَجَابُواْ لَكُمْۖ﴾ [سورة فاطر:١٤]. قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْۖ﴾ [سورة الأعراف:١٩٤]، هم عباد أمثالكم، وخلْقٌ من خلق الله كمثلكم، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْۖ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ [سورة الأعراف:١٩٤]، فإذاً كل هذه الآيات يبيِّن الله تعالىٰ فيها قُبْحَ هذا الفعل، وأنه لا ينسجم مع دليل ولا مع عقل ولا مع فطرة، بل الأدلة تأباه، والعقل الصحيح يأباه، والفطرة السليمة تأباه، كلُّها تأبىٰ دعاء غير الله.

هذا الأمر الذي صار اليوم ضاربًا بأطنابه في أوساط هذه الأمة، والذي هو أكثر شرك الناس اليوم، صاروا يدعون غير الله ويسمونه توسلاً، يدعون الأولياء الذين يزعمون أنهم أولياء، يدعون المقبورين، يدعون الأنبياء، يدعون الملائكة، ويسمون هذا توسلاً، ويزعمون أنهم يتوسلون بهؤلاء الذين يدعونهم إلىٰ الله، وقد أجمع العلماء علىٰ أن من جعل بينه وبين الله وسائط يتوكل عليهم ويدعوهم ويسألهم أنه كافر، فهذا الذي جعل بينه وبين الله وسائط ارتكب ما هو كفر بإجماع أهل العلم.

كم لهذا الأمر اليوم من دُعاة ومُزيِّنين؟ كم تجري هذه الكلمات علىٰ ألسن كثير من الناس؟ يدعون غير الله سبحانه وتعالىٰ بها، **فمنهم** من يدعو الرسول وتراه يقول كثيراً:

(يا رسول الله)، إذا حصل له أمر دعا الرسول. **ومنهم** من يدعو الحسين، وإذا حصل له أمر قال: (يا حسين). **ومنهم** من يدعو بعض الأولياء المقبورين. **منهم** من يدعو بعض الملائكة، وهكذا عَدَّد في حال الناس كثيراً من ذلك، دخل الشيطان علىٰ بني آدم من هذا الباب أعظم مدخل، فزيَّن لهم الشرك في صورة التوسل بالصالحين إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ، فوقعوا في الشرك الأكبر الذي وقع فيه كفار قريش الذين قال الله سبحانه وتعالىٰ عنهم أنهم قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ﴾ أي ما نعبد هذه الآلهات ﴿إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [سورة الزمر:٣]، فهم لم يعبدوا هذه الآلهات لذاتها ولكنهم عبدوها لتقربهم إلىٰ الله، فمن دعا غير الله ليقربه إلىٰ الله فقد وافق المشركين في شركهم والعياذ بالله.

ومن دعاء غير الله تعالىٰ الذي هو شرك: الاستعاذة بغير الله أو الاستغاثة بغير الله فإن هذه عبادات ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ [سورة الأعراف:٢٠٠]، أمر الله بالاستعاذة به، وهكذا الاستغاثة لا تكون إلا بالله سبحانه ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [سورة الأنفال:٩]، ﴿وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ﴾ [سورة الأحقاف:١٧]، والاستعاذة: هي طلب دفع الضر قبل أن يقع، يستعيذ ليدفع عنه الضر والشر قبل أن يقع، والاستغاثة: طلب رفع الضر بعد وقوعه، فيستغيث ليرفع ما وقع به من الشر، فمن استعاذ بغير الله أي طلب من غير الله أن يعيذه وأن يدفع عنه شراً يتوقع حصوله، أو استغاث بغير الله بأن سأل من غير الله أن يرفع عنه ضُراً أصابه وبلاءً نزل به؛ فقد وقع في الشرك، كما كان المشركون يستعيذون بالجن، أخبر الله تعالىٰ عنهم

بقوله: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦﴾ [سورة الجن:٦]، رجال من الإنس يخافون من الجن ويعظمونهم، فكانوا يستعيذون بهم وكانوا إذا نزلوا واديًا أو صحراء في ليل أو نحو ذلك وهم مسافرون قالوا: (نعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه)، قال الله تعالىٰ: ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦﴾، قال بعض المفسرين: زادت الإنسُ الجنَ رهقًا أي تعاليًا وكبراً وتعاظمًا حين رأوا أن بني آدم يخافونهم ويستعيذون بهم تعظَّموا في أنفسهم. وقال بعض أهل العلم: ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦﴾ أي: زادت الجنُّ الإنسَ رهقًا أي خوفًا وذعراً، فكم من الناس من يستعيذ بالجن ومن يخافهم حتىٰ يبلغ في خوفه منهم أن يستعيذ بهم ويدعوهم من دون الله تعالىٰ.

وهكذا الاستغاثة إذا نزل به بلاء، فكم من أناس يدعون المرضىٰ وأصحاب الابتلاءات ومن نزلت بهم الكروب إلىٰ التمسح بالمقبورين أو التقرب لهم بالقربات أو دعائهم من دون الله، فيستغيثون بهم من دون الله سبحانه وتعالىٰ، وهذا هو الشرك بعينه، وهو موجود اليوم بكثرة في أوساط من يدَّعي الإسلام، ليس أمراً مفقوداً -وللأسف- بل موجود بكثرة وله من يزيِّنُه ومن يدعو إليه ومن يلبس علىٰ الناس فيه، وهو عين شرك المشركين الذين نزل القرآن فيهم.

عباد الله، هذا الأمر العظيم يجب علىٰ الإنسان أن يتعلمه وأن يحذر من الوقوع فيه؛ فإنه من الشرك الصريح بالله -جل وعلا-، ولذا نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ علَّمه الصغير والكبير، علَّمه المتعلم والجاهل، وكان يحرص علىٰ تعليمهم هذا الأمر لما يعلم

عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من سرعة اتباع الناس للشيطان فيه، جاء في سنن الترمذي(٢٥١٦) عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال له: «**يَا غُلَامُ، إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَىٰ أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَىٰ أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ**». فعلَّم الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ هذا الغلام ابن عمه عبدَالله بن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ هذه العقيدة العظيمة، وحذَّره من دعاء غير الله: بسؤال غير الله والاستعانة بغير الله وكلُّها من الدعاء.

هكذا جاءه يوماً أعرابي كما في سنن أبي داود(٤٠٨٤) اسمه جابر بن سُليم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: رَأَيْتُ رَجُلًا يَصْدُرُ النَّاسُ عَنْ رَأْيِهِ، لَا يَقُولُ شَيْئًا إِلَّا صَدَرُوا عَنْهُ -أي كلما قال قولاً امتثلوه- ، قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: هَذَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قُلْتُ: أَنْتَ رَسُولُ اللهِ؟ قَالَ: «**أَنَا رَسُولُ اللهِ الَّذِي إِذَا أَصَابَكَ ضُرٌّ فَدَعَوْتَهُ كَشَفَهُ عَنْكَ، وَإِنْ أَصَابَكَ عَامُ سَنَةٍ فَدَعَوْتَهُ أَنْبَتَهَا لَكَ، وَإِذَا كُنْتَ بِأَرْضٍ قَفْرَاءَ أَوْ فَلَاةٍ فَضَلَّتْ رَاحِلَتُكَ فَدَعَوْتَهُ رَدَّهَا عَلَيْكَ**». انظر كيف يعلِّم الرسول هذا الأعرابي في حدود علمه وفي حدود ما يفهم، هو يفهم الزرع ويفهم الإبل ويفهم المطر والقحط، فعلَّمه أن يدعو الله بخطاب يناسب حاله وفهمه، قال: (أنا رسول الله الذي) أي الله -جل وعلا- هو الذي (إذا أصابك ضُرٌّ -أي مرض أو بلاء أو فقر أو شدة- فدعوته كشفه عنك، -رفع عنك الضر- وإذا أصابك عام سنة -أي قحط وجّدْب وقلة مطر وعدم نبات- فدعوت الله

أنبتها لك، وإذا كنت في صحراء أو فلاة من الأرض فضلت راحلتك -ضاعت ناقتك- فدعوته ردها إليك)، فعلمه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التوحيد في أهم أبوابه وهو دعاء الله تعالىٰ، وعلمه بأمور يفهمها ويستوعبها ويدركها عقله، والمهم أن يعلمه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذلك وكان من أهم ما علمه هذه العبادة العظيمة وأنها لا تصرف إلا لله.

فإذا نزل بك الضر، وأصابتك الشدائد، وأصابتك الأمراض، أو ضاع مالك وفُقِد شيء مما تملك؛ الجأ الىٰ الله، لا تلجأ إلىٰ غير الله، ولا تدعُ غير الله -جل وعلا-، فهذا هو التوحيد لله سبحانه وتعالىٰ.

نسأل الله تعالىٰ أن يستعملنا في طاعته، والحمد لله رب العالمين.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم تسليمًا كثيراً.

أيها الناس، من الأمور التي تنافي التوحيد أيضًا: **أن يعترض الإنسان علىٰ الله تعالىٰ بالسب والتقبيح لبعض المخلوقات**، وقد ورد في الأدلة أمثلة من ذلك، فقد جاء في الصحيحين عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ؛ يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ، بِيَدِي الْأَمْرُ، أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ**».[(١)]

وجاء في رواية لمسلم(٢٢٤٦ -٥-): «**لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ**». وفي رواية لمسلم(٢٢٤٦ -٤-): «**لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: يَا خَيْبَةَ الدَّهْرِ**».

وهكذا جاء في سنن أبي داود(٥٠٩٧) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**الرِّيحُ مِنْ رَوْحِ اللهِ تَأْتِي بِالرَّحْمَةِ وَتَأْتِي بِالْعَذَابِ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهَا فَلَا تَسُبُّوهَا، وَسَلُوا اللهَ خَيْرَهَا وَاسْتَعِيذُوا بِاللهِ مِنْ شَرِّهَا**».

فهذه الأحاديث فيها أمثلة علىٰ المراد، نهىٰ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن سب الدهر، والدهر هو الحياة هو الأيام والليالي، ونهىٰ نبي الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عن سب الريح؛ لأن الدهر والريح من مخلوقات الله، والله تعالىٰ هو الذي يُسيِّرها، وهو خالقها ومدبرها، فالسَّبُّ لها في الحقيقة اعتراض علىٰ الله تعالىٰ.

(١) رواه البخاري(٤٨٢٦)، ومسلم(٢٢٤٦ -٢-).

قال أهل العلم: فمن سب هذه الأمور ونحوها من المخلوقات وأراد به سَبَّ الله والاعتراض عليه سبحانه وتعالىٰ كفر؛ لأنه في الحقيقة يسب الله –جل وعلا–.

ومن سب هذه الأمور واعتقد أنها مشاركة لله تعالىٰ أو أنها هي الفاعلة وهي المُحْدِثة للأشياء، يقول: هذه الريح هي التي فعلت أو هي التي دمرت أو هي التي أغرقت، أو الدهر هو الذي فعل بنا وهو الذي أوصلنا إلىٰ هذا الأمر وهو الذي نشكو منه، فهذا قد أشرك بالله –جل وعلا–؛ لأنه اعتقد أن غير الله يفعل، وأن لغير الله تعالىٰ تصرفًا كما كان المشركون يعتقدون أن الدهر هو الذي يهلكهم، ﴿وَقَالُواْ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ [سورة الجاثية:٢٤]، فمن كان كذلك فقد أشرك بالله –جل وعلا– غيره.

ومن سب هذه الأمور تسخطًا وعدم رضًا بما أجراه الله تعالىٰ بها فقد اعترض علىٰ أمر الله، ووقع في أمر محرم، وكم تسمع اليوم من الناس من يسب الحياة؟ من يسب الدهر؟ من يسب العيش؟ من يسب الوضع الذي هو فيه؟ أو يسب بعض مخلوقات الله من شمس وقمر وريح وأمثالها!؟، فهذا أقل أحواله أن يكون مرتكبًا لأمر محرم؛ لأن فيه اعتراضًا علىٰ الله تعالىٰ في تسيير هذه المخلوقات وتدبيرها.

فهذه من الأمور التي تخالف توحيد الله تعالىٰ، والتي يجب توحيد الله –جل وعلا– فيها، فيعتقد المؤمن أن الله تعالىٰ هو خالقها ومسيِّرُها ومُدبِّرُها، وأنه لا تَصَرُّف لها إلا

بأمر الله ولا تعمل شيئًا، بل هي مُسيَّرة لله سبحانه وتعالىٰ، وتسيير الله تعالىٰ لها كله خير وحكمة منه سبحانه وتعالىٰ قد لا يعلمها العباد.

فلا يجوز الاعتراض عليها بالسب أو الاعتراض علىٰ ما جعله الله تعالىٰ بها، فإن ذلك كما سبق ينافي توحيد الله -جل وعلا- وأقل أحواله أن يكون أمراً محرمًا.

فنسأل الله -جل وعلا- بأسمائه الحسنىٰ وصفاته العلىٰ أن يعيننا علىٰ ذكره وشكره وحسن عبادته.

اللهم إنا نسألك الهدىٰ والتقىٰ والعفاف والغنىٰ.

اللهم آتِ نفوسنا تقواها وزكِّها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها.

اللهم أعز الإسلام، اللهم أعز الإسلام والمسلمين.

اللهم أذل الكفر والكافرين.

اللهم عليك باليهود والنصارىٰ المعتدين، اللهم عليك بهم وبمن أعانهم علىٰ المسلمين.

اللهم عليك باليهود والنصارىٰ ومن تآمر معهم علىٰ المسلمين، اللهم عليك بهم يا قوي يا عزيز.

اللهم شتت شملهم وفرق جمعهم واجعل الدائرة عليهم، وسلط عليهم من لا يرحمهم.

اللهم أنجِ المستضعفين من المسلمين في كل مكان.

اللهم أنجِ المستضعفين من المسلمين في كل مكان.

اللهم أنجِ المستضعفين من المسلمين في فلسطين.

اللهم اجعل لهم من كل هم فرجًا، ومن كل ضيق مخرجًا، ومن كل عسر يسرا، ومن كل بلاء عافية.

اللهم فرج ما نزل بهم من ضيق وكرب يا أرحم الراحمين.

اللهم إنه قد تآمر عليهم أهل الكفر فكن لهم معينًا ونصيراً، اللهم كن لهم معينًا ونصيراً، اللهم انصرهم أنت نِعم المولىٰ ونِعم النصير

اللهم أطعم جائعهم، واكس عاريهم، واشفِ مرضاهم، وعافِ مبتلاهم، وفرِّج عنهم ما نزل بهم يا أرحم الراحمين.

اللهم اغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين.

والحمد لله رب العالمين.

١٢ / ربيع الآخر/ ١٤٤٥هجرية

أمور تنافي التوحيد٣

الاستسقاء بالنجوم، إضافة النعم إلى غير الله، تسمية غير الله

إن الحمد لله، نحمده تعالىٰ ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ۝١٠٢﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝١﴾ [النساء:١].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ۝٧١﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

اعلموا أن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس، كان مما مضىٰ الحديث عنه ذكرُ بعض الأمور التي تنافي توحيد الله سبحانه وتعالىٰ، سواء ما كان منها ينافيه منافاة كلية ويجعل العبد خارجًا عن الإسلام، أو ما كان ينافيه منافاة جزئية بأن يكون قد وقع في الشرك الأصغر، أو أن يكون قد خالف كمال التوحيد الواجب الذي أمر الله سبحانه ورسوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ به.

عباد الله، وإن من الأمور المنافية لتوحيد الله سبحانه وتعالىٰ والتي كان عليها أهل الجاهلية:

الاستسقاء بالنجوم، الذي أخبر عنه النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في حديث أبي مالك الأشعري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الذي أخرجه الإمام مسلم(٩٣٤ -٢٩-) أن نبينا صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ لَا يَتْرُكُونَهُنَّ**: -وذكر منها- **الِاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ**».

فالاستسقاء بالنجوم معناه طلب السقيا منها، طلب المطر من النجوم، أو إضافة نزول المطر ونسبته إلىٰ هذه النجوم، كما أخبر عنه نبينا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في الأحاديث، وفسَّر ذلك بأنه إضافة نزول المطر إلىٰ هذه النجوم، قال زيد بن خالد الجهني رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كما في الصحيحين: صَلَّىٰ بِنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالْحُدَيْبِيَةِ فِي إِثْرِ السَّمَاءِ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلِ -أي علىٰ إثر مطر، والمطر يسمىٰ سماء لأنه نازل منها-، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَىٰ النَّاسِ. فَقَالَ: «**هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟**»، قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «**قَالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ:**

مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا -أي بنجم كذا وكذا-، **فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ**»(١).

وجاء في صحيح مسلم(٧٣ -١٢٧-) عن ابن عباس أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**أَصْبَحَ مِنَ النَّاسِ شَاكِرٌ، وَمِنْهُمْ كَافِرٌ، قَالُوا: هَذِهِ رَحْمَةُ اللهِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَقَدْ صَدَقَ نَوْءُ كَذَا وَكَذَا**». قَالَ: فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ {فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ}، حَتَّىٰ بَلَغَ {وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ}.

فنبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فسَّر ذلك بإضافة نزول المطر إلىٰ هذه النجوم كما كان يعتقده الجاهلية، وكلُّه من الشرك بالله، **فالاستسقاء بمعنىٰ طلب السقيا من النجوم** هذا شرك أكبر في ألوهية الله -جل وعلا.

والاستسقاء بمعنىٰ إضافة المطر إلىٰ هذه النجوم، كما كان أهل الجاهلية يعتقدون أن هذه النجوم هي التي تنزل المطر، هذا شرك بالله في ربوبيته.

فإذا أضاف نزول المطر إلىٰ النجم واعتقد أنه فاعل ومُؤثِّر في ذلك كان هذا شركًا أكبر في الربوبية؛ لأن إنزال المطر من خصائص الله -جل وعلا- لا يقدر علىٰ إنزال المطر إلا الله، فإضافة ذلك إلىٰ النجوم شرك بالله -جل وعلا-.

(١) البخاري(٨٤٦)، ومسلم(٧١ -١٢٥-).

وإذا اعتقد أن الله هو المنزِّل للمطر وهو الفاعل لـذلك، ولكـن اعتقـد أن ظهـور هـذا النجم أو سقوط هذا النجم سبب في ذلك، فهذا شـرك أصـغر؛ لأن الله تعـالىٰ لـم يجعـل هذه النجوم سبباً في نزول المطر.

بل اختار بعض العلماء أنه يَحرُم هذا اللفظ مطلقًا، وإن كان يعتقد أن الله تعـالىٰ هـو الفاعل، وأن هذه النجوم ليست سببًا، وإنما يتكلم بهذا اللفظ ويقول: (مطرنا بنجم كذا وكذا) علىٰ سبيل العادة، أي أن العادة جرت أن هذا النجم إذا وُجد نزل المطر، فكرهوا هذا اللفظ: (مطرنا بنجم كذا)، من أهل العلم من كرهه ومنهم من حرَّمه، لما فيه من مشابهة المشركين ولما فيه من نسبة النعمة إلىٰ غير الله، وإن لم يعتقد ما يعتقده الكفار.

فإذاً، هذا الأمر وهو نسبة نزول المطر إلىٰ النجوم مما نهىٰ عنه النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وأخبر أنه ينافي التوحيد وأنه من أمر الجاهلية.

أيضـًا من الأمور التي تنافي التوحيد وهو متعلق بالذي قبله لكنه أَعَمُّ منه:

نسبة النعم وإضافتها مطلقـًا إلىٰ غير الله، فالله -جل وعلا- هو المنعم، والله -جل وعلا- هو المتفضل، فنسبة النعم وإضافتها إلىٰ غير الله سبحانه ينافي ذلك، ولذا جاء في الحديث المتقدم حديث زيد بن خالد وحديث ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ إنكار الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ علىٰ من أضاف نعمة نزول المطر إلىٰ النجوم، وأنزل الله سبحانه وتعالىٰ في ذلك: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ۝٨٢﴾ [سورة الواقعة:٨٢]، فسَّر أهل العلم هذه الآية: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾ [سورة الواقعة:٨٢] أي شكركم للنعمة، تجعلون حظَّكم من

الشكر أنكم تكذبون بنعم الله، وتكذيبهم بنعم الله ليس بمعنىٰ إنكارها بل بمعنىٰ نسبتها وإضافتها إلىٰ غير الله، كما قال الله سبحانه: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [سورة النحل:٨٣]، يعرفون نعمة الله أي يقرون بها وأن الله تعالىٰ هو المنعم، ﴿ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ ومعنىٰ قوله: ﴿ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ أي بنسبتها وإضافتها إلىٰ غير الله، ﴿وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾﴾.

فالواجب علىٰ العبد أن يضيف نعم الله إلىٰ الله -جل وعلا-، فإن الله تعالىٰ أنكر في كتابه الكريم علىٰ من أضاف النعم إلىٰ غيره، قال الله تعالىٰ عن قارون الذي أهلكه الله تعالىٰ أنه لما ذُكِّر بالنعمة قال: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ [سورة القصص:٧٨]، هذا المال وهذا الرزق الكثير أوتيته بذكائي وخبرتي ومعرفتي بأسباب الرزق، فأنكر إضافة النعمة إلىٰ الله -جل وعلا- فأهلكه الله وماله، وسلبه ذلك المال.

وأخبرنا نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عن ثلاثةٍ من بني إسرائيل كما في الصحيحين عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**أَبْرَصَ وَأَقْرَعَ وَأَعْمَىٰ**»، أبرص في جلده، وأقرع في شعره ليس له شعر، وأعمىٰ، أزال الله تعالىٰ عنهم هذه العيوب، وأعطاهم المال الكثير وكانوا فقراء، أعطىٰ الأبرص مالاً كثيراً من الإبل ، وأعطىٰ الأقرع من البقر، وأعطىٰ الأعمىٰ من الغنم، فأما الأول والثاني فلم يوفّقوا في إضافة النعمة إلىٰ الله، ولذا لما أتىٰ المَلَكُ الذي أرسله الله إلىٰ الأبرص في صورة رجلٍ يسأله قال له: «**رَجُلٌ مِسْكِينٌ، قَدِ انْقَطَعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي، فَلَا بَلَاغَ لِي الْيَوْمَ إِلَّا بِاللهِ ثُمَّ بِكَ، أَعْطِنِي بَعِيرًا أتبلَّغ به في سَفَرِي**»، وله وادٍ من الإبل، «**قال: الْحُقُوقُ كَثِيرَةٌ اذْهَب إِلَىٰ غَيْرِي**»، فقال له: «**أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ**

يَقْذَرُكَ النَّاسُ، فَقِيرًا فَأَعْطَاكَ اللهُ؟»، ذكّره بنعمة الله عليه، وهو ملَك في صورة رجل، «فَقَالَ: إِنَّمَا وَرِثْتُ هَذَا الْمَالَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ». هذا المال جاءني أبًّا عن جد، لم أعرف الفقر ولم أكن يومًا فقيراً، نسي نعمة الله عليه، قال له: «إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللهُ إِلَىٰ مَا كُنْتَ». فدعا عليه أن يرده الله إلىٰ الحال التي كان عليها، وأتىٰ الأقرع قال له مثل ذلك، فرد عليه بمثل هذا الرد، وأتىٰ الأعمىٰ فقال له مثل ذلك، قال: «قَدْ كُنْتُ أَعْمَىٰ فَرَدَّ اللهُ بَصَرِي، وَفَقِيرًا فَقَدْ أَغْنَانِي، فَخُذْ مَا شِئْتَ، فَوَاللهِ لَا أَجْهَدُكَ الْيَوْمَ بِشَيْءٍ أَخَذْتَهُ لِلَّهِ. فَقَالَ: أَمْسِكْ مَالَكَ؛ فَإِنَّمَا ابْتُلِيتُمْ، -هذا ابتلاء واختبار- فَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنْكَ وَسَخِطَ عَلَىٰ صَاحِبَيْكَ»[(١)].

رضي الله عنك بشكرك للنعمة ونسبتها إلىٰ الله -جل وعلا-، وسخط علىٰ صاحبيك اللذَينِ لم يضيفا النعمة إلىٰ الله سبحانه، فسخط الله عليهم وذهب مالهم؛ فإنه دعاء الملك كان مُعلَّقا بشرط، فيقع الجواب بوقوع شرطه؛ والشرط هنا واقع وهو: (إن كنت كاذبًا) وهو فِعلا كاذب، فإذًا الدعاء واقع (صيَّرك الله إلىٰ ما كنت)، ردك الله إلىٰ الحال التي كنت عليها.

فالواجب إضافة النعم إلىٰ الله سبحانه، وكم يتساهل الناس في ذلك في كثير من النعم، سواء في المال ترىٰ من يضيفه إلىٰ ذكائه، أو إلىٰ معرفة العامل الذي معه، أو إلىٰ فطنته وخبرته، وهكذا يضيف النصر علىٰ الأعداء إلىٰ أسباب مادية، انتصرنا بقوتنا أو

(١) البخاري(٣٤٦٤)، ومسلم(٢٩٦٤ -١٠).

بخبرتنا أو بشجاعتنا، أو يضيف الشفاء إلىٰ غير الله تعالىٰ إما إلىٰ طبيب وإما إلىٰ دواء، أو يضيف الرزق إلىٰ غير الله سبحانه وتعالىٰ، إلىٰ شيء من الأسباب التي قد لا تكون صحيحة.

والواجب هو إضافة النعم إلىٰ الله -جل وعلا-، وعلىٰ الإنسان أن يُعَوِّد نفسه علىٰ ذلك، فإذا حصل له خير، قال: هذا بفضل الله، هذا بمعونة الله، هذا بتوفيقٍ من الله -جل وعلا-، لولا الله ما حصل لنا ذلك، كم علَّم النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصحابة ذلك، كان يحفر الخندق عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وهو يقول: «**وَاللهِ لَوْلَا اللهُ مَا اهْتَدَيْنَا وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا**»[(١)]، لولا الله ما حصل لنا هذا، لولا الله ما انتصرنا، لولا الله ما جاءنا هذا الرزق، لولا الله ما حصل لنا هذا الشفاء، ولا سيما إذا كان إضافة ذلك إلىٰ أسباب خفية غير ظاهرة، فإنه لا يجوز إضافة ذلك إلىٰ غير الله بل هو من الشرك، كمن يضيف ذلك إلىٰ أسباب غير معلومة، لولا الولي الفلاني، أو لولا جاه فلان، أو نحو ذلك من الأمور، فإضافة النعم إلىٰ الله -جل وعلا- هو الذي يجب علىٰ المسلم، وأما إضافتها إلىٰ غير الله سبحانه وتعالىٰ فهذا ينافي التوحيد، قد ينافي أصل التوحيد ويوقع في الشرك الأكبر، وقد ينافي كماله الواجب.

أيضـًا من الأمور التي تنافي التوحيد وهي تتعلق بالألفاظ:

(١) رواه البخاري(٤١٠٤)، ومسلم (١٨٠٣ -١٢٥-).

تعظيم غير الله -جل وعلا- بالأسماء التي لا تكون إلا لله، هناك أوصاف وأسماء قد يطلقها بعض الناس علىٰ مخلوقين، علىٰ بعض الملوك أو الرؤساء أو الكبراء وهي مما لا يكون إلا لله سبحانه، جاء في الصحيحين عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ أَخْنَعَ اسْمٍ عِنْدَ اللهِ** -بمعنىٰ أوضع اسم وأحقر اسم عند الله -جل وعلا-، **رَجُلٌ تَسَمَّىٰ مَلِكَ الْأَمْلَاكِ**»[1]، وجاء في رواية لمسلم(٢١٤٣ -٢١-): «**أَغْيَظُ رَجُلٍ عَلَىٰ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَخْبَثُهُ، وَأَغْيَظُهُ عَلَيْهِ رَجُلٍ كَانَ يُسَمَّىٰ مَلِكَ الْأَمْلَاكِ؛ لَا مَلِكَ إِلَّا اللهُ**»، قال أهل العلم: ومثل ذلك: (حاكم الحُكّام)، و(سلطان السلاطين)، و(قاضي القضاة)، ونحو ذلك من الأسماء التي لا تكون إلا لله -جل وعلا-.

فتعظيم المخلوق بذلك نهىٰ عنه الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، بل قد يوقع هذا في الغلو والتعظيم لهذا المخلوق بما لا يكون إلا لله، حتىٰ بلغ الحال ببعض الناس أنه كما يسمي بعض الملوك بهذه الأسماء قد ينحني له بالركوع أو السجود كما ينحني لله، أو يعظِّمُه كما يعظم الله -جل وعلا-، وهذا ينافي توحيد الله سبحانه وتعالىٰ، وعدّ أهل العلم ذلك من الأمور التي تنافي توحيد الله سبحانه وتعالىٰ، فالواجب ألا يُعَظَّم المخلوقون مهما كانوا ملوكًا رؤساء علماء كبراء بالألفاظ التي لا تكون إلا لله سبحانه وتعالىٰ. أقول ما سمعتم، والحمد لله رب العالمين.

***

(١) البخاري(٦٢٠٦)، ومسلم(٢١٤٣ -٢٠-).

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليما كثيراً.

أيها الناس، أيضـًا من الأمور التي تنافي توحيد الله -جل وعلا-:

الاعتراض علىٰ قضاء الله -جل وعلا- بكلمة لو، فَقَدَرُ الله تعالىٰ من أفعاله، وأفعالُه -جل وعلا- من ربوبيته، ولا يجوز للإنسان أن يعترض علىٰ أفعال الله التي هي من خصائص ربوبيته -جل وعلا-، بل الواجب أن يُسَلِّم لقدر الله وأن يستجيب لذلك، ولذا نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ حذَّرنا من ذلك، وأخبرنا أن ذلك يفتح عمل الشيطان، جاء في صحيح مسلم(٢٦٦٤ -٣٤-) عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَىٰ اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ، احْرِصْ عَلَىٰ مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجِزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ** -بعد أن تبذل الأسباب، بعد الحرص علىٰ ما ينفع والاستعانة بالله وعدم العجز، بعد هذه الأمور إن أصابك شيء مما تكره ومما لا تريد- **فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا. وَلَكِنْ قُلْ: قَدَّرَ اللهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ. فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ**».

كم من إنسان تنزل به مصيبة؟ يحصل له بلاء فيلوم نفسه: لو أني فعلت هذا الشيء، لو أني اتخذت هذا الشيء، فيَضَلُّ كذلك حتىٰ يأتيه الندم وتحصل له الحسرة ويدخل عليه الشيطان.

قد يعترض علىٰ قضاء الله -جل وعلا- ولماذا الله قدَّر عليَّ ذلك، فيفتح عمل الشيطان، ومِن هنا يبدأ عمل الشيطان، فيتسلط عليه الشيطان بمثل هذه الوساوس، فإن أصابك شيء ردَّ الأمر إلىٰ الله -جل وعلا- لأنك لا تملك شيئًا بعد الوقوع، والذي تملكه أنك تبذل السبب قبل أن يقع الشيء فإذا وقع فليس لك إلا أن ترد الأمر إلىٰ الله، سواء كان في موت أو في مرض أو في مصيبة تنزل بك أو في بلاء يحصل عليك رد الأمر إلىٰ الله سبحانه، اجتهد قبل أن يقع الأمر في بذل السبب بما تستطيع من الأسباب الشرعية فإن لم يُقَدِّر الله تعالىٰ ذلك الأمر وقدَّر خلافه فاعلم أن لله الحكمة البالغة، ولا تعترض علىٰ قضاء الله وقدره بعد ذلك بـ (لو) التي تفتح عمل الشيطان.

انظر ماذا ذكره الله عن المنافقين حين خرج الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ والصحابة إلىٰ أُحد ومعهم أناس من المنافقين، فرجع ثلث الجيش، رجع نحو ثلاث مئة رجل مع عبد الله ابن أبي ابن سلول، وهذه مصيبة عظيمة علىٰ المسلمين، ومع ذلك خرجوا وقاتلوا المشركين وقُتل سبعون من خيار الصحابة، قال المنافقون كما ذكر الله عنهم يُندِّمون المؤمنين: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ وَقَعَدُواْ لَوۡ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ﴾ [سورة آل عمران:١٦٨]، انظر كيف اعترضوا علىٰ أمر الله ﴿لَوۡ أَطَاعُونَا﴾ أي في عدم الخروج إلىٰ أُحد ﴿مَا قُتِلُواْۗ﴾ تنديمًا للمؤمنين وتحسيراً لهم، وهكذا لما كان المنافقون في بعض الغزوات واشتد الحال بالمسلمين قال بعض المنافقين: ﴿لَوۡ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٞ مَّا قُتِلۡنَا هَٰهُنَاۗ﴾ [سورة آل عمران:١٥٤]، لو كان لنا من الأمر شيء لرجعنا بيوتنا ولما حضرنا

هذا الموضع مع محمد وأصحابه، قال الله لهم: ﴿قُل لَّوۡ كُنتُمۡ فِي بُيُوتِكُمۡ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَتۡلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمۡۖ﴾ [سورة آل عمران:١٥٤]، أي لخرجوا من بيوتهم وبرزوا إلىٰ المضاجع التي يُقتلون فيها، يذمهم الله علىٰ هذا الاعتراض علىٰ أمره وعلىٰ قدره سبحانه وتعالىٰ.

فيا أيها المسلم لو أصابك شيء من البلاء والمصائب والمكروه لا تُندِّم نفسك ولا تتحسر ولا تفتح باب الشيطان بـ(لو)، بل سلِّم لأمر الله وارضَ بقضاء الله فهذا هو الواجب عليك.

أيضـًا مما ينافي التوحيد:

أن يعلِّق الإنسان دعاءه لله تعالىٰ بالمشيئة ولا يجزم في ذلك، وكأنه يعتقد أن الله تعالىٰ له مُكرِه، أو أن الله تعالىٰ يَعظُم عليه بعض الأمور، ولذا نبينا عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ حذَّرنا من ذلك كما في الصحيحين عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قال: «**لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ وَلَكِنْ لِيَعْزِمِ الْمَسْأَلَةَ، وَلْيُعَظِّمِ الرَّغْبَةَ فَإِنَّ اللهَ لَا مُكْرِهَ لَهُ**». وفي رواية: «**فَإِنَّ اللهَ لَا يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ**»(١).

بعض الناس إذا دعا لا يجزم بدعائه بل يُعلِّق ذلك بالمشيئة كما مثَّل في الحديث (اللهم اغفر لي إن شئت)، (اللهم ارحمني إن شئت)، ومثله ما يجري علىٰ ألسن

(١) البخاري(٧٤٧٧)، ومسلم(٢٦٧٩ -٨-).

الناس اليوم كثيراً، يقول أحدهم للآخر: (جزاك الله خيراً إن شاء)، أو (حفظك الله إن شاء الله)، وهذه (إن شاء الله) في الدعاء منهي عنها، فـ(إن شاء الله) تكون في الأمور التي تُخبر بها خبراً، أو في الأمور التي تَعِدُ بها وعداً، ونحو ذلك، أما الدعاء والسؤال لله فلماذا تُقَيِّدُه بمشيئة الله؟ هل لله مُكرِه حتىٰ تقيِّد ذلك بمشيئته؟ أو هل الله يعظُم عليه بعض الأشياء.

فإن هذا كما قال أهل العلم **يوهم** أن تعالىٰ له مُكره، **ويوهم** أيضًا أن الله تعالىٰ تَعظُم عليه بعض الأمور، يسأل الله شيئًا ثم يقول: (إن شئت) كأن هذا الأمر كبير أو عظيم بالنسبة لله، ومعلوم أن كل أمر يسير علىٰ الله -جل وعلا-، أيضًا **يوهم** أن هذا الداعي ليس عنده رغبة فيما عند الله ولذا يعلِّق بالمشيئة كأنه مستغنٍ عن الله وعن عطاء الله فيقول: (إن شئت فأعطني) وإن لم تشاء فكأنه يقول: (لا حاجة لي به)، وهو وإن لم يُرِدْ ذلك ولم يكن هذا في نيته، لكن هذا اللفظ يوهم هذه المحاذير فلذا نهىٰ عنه الرسول عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فإذا دعوتَ الله فاجزم في الدعاء، إذا دعوتَ الله عَظِّم الرغبة فيما عند الله -جل وعلا-، وأظهر الفقر والحاجة لما عند الله سبحانه، لا تكن كأنك مستغنٍ عن الله وكأنه لا حاجة بك إلىٰ عطاء الله سبحانه وتعالىٰ.

أيوب عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كما في صحيح البخاري(٣٣٩١) قال عنه نبينا عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**بَيْنَمَا أَيُّوبُ يَغْتَسِلُ عُرْيَانًا، خَرَّ عَلَيْهِ رِجْلُ جَرَادٍ مِنْ ذَهَبٍ** -أي جماعة وطائفة من الجراد، رِجْلُ الجراد أي مجموعة منها التي تطير سويًا-، **فَجَعَلَ يَحْثِي فِي ثَوْبِهِ، فَنَادَاهُ رَبُّهُ: يَا أَيُّوبُ، أَلَمْ أَكُنْ أَغْنَيْتُكَ عَمَّا تَرَىٰ؟ قَالَ: بَلَىٰ يَا رَبِّ، وَلَكِنْ**

لَا غِنَىٰ لِي عَنْ بَرَكَتِكَ». لا غنىٰ بي عن فضلك وبركتك وما عندك، فالمؤمن فقير إلىٰ الله -جل وعلا- محتاج إليه، ففي دعائه يُظهِر فقره وحاجته وعدم استغنائه عن الله سبحانه وتعالىٰ، فإذا دعوت لنفسك أو دعوت لغيرك من الناس فلا تعلِّق ذلك بالمشيئة التي توهم ما سبق من المحاذير.

فنسأل الله -جل وعلا- بأسمائه الحسنىٰ وصفاته العلىٰ أن يعلمنا ما ينفعنا وأن ينفعنا بما علمنا.

اللهم اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا علىٰ القوم الكافرين.

اللهم أعنا علىٰ ذكرك وشكرك وحسن عبادتك. اللهم أعز الإسلام والمسلمين. اللهم أذل الشرك والمشركين.

اللهم عليك باليهود والنصارىٰ ومن أعانهم علىٰ المسلمين. اللهم عليك بهم فإنهم لا يعجزونك يا قوي يا متين. اللهم اجعل بأسهم بينهم. اللهم سلط بعضهم علىٰ بعض. اللهم اكفِ المسلمين شرهم بما شئت يا رب العالمين.

اللهم إنهم قد طغوا وبغوا واعتدوا علىٰ عبادك فأْخُذهُم أخذ عزيز مقتدر. اللهم أخذهم أخذ عزيز مقتدر.

اللهم أنجِ المستضعفين من المسلمين في فلسطين. اللهم أنجِ المستضعفين من المسلمين في كل مكان. اللهم اجعل لهم فرجًا ومخرجًا مما نزل بهم يا رب العالمين. اللهم إنهم مغلوبون فانتصر لهم. اللهم إنهم مغلوبون فانتصر لهم.

اللهم انتصر لهم أنت نعم المولىٰ ونعم النصير. اللهم صل علىٰ محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

٢٦ / ربيع الآخر/ ١٤٤٥هجرية

أمور تنافي التوحيد٤

الذبح والنذر والسجود لغير الله، والتبرك بالمخلوقين

إن الحمد لله، نحمده تعالىٰ ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

اعلموا أن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس، كان مما مضىٰ الحديث عنه ذكرُ بعض الأمور التي تنافي توحيد الله سبحانه وتعالىٰ إما منافاة كلية وإما منافاة جزئية، وإن من الأمور التي تنافي توحيد الله سبحانه وتعالىٰ أيضًا، ويَقَعُ مرتكبها في الشرك بالله -جل وعلا- لهو:

الذبح لغير الله سبحانه وتعالىٰ كائنًا من كان، فإن الذبح عبادةٌ لله أمر الله سبحانه وتعالىٰ بها نبيه وهو أمرٌ لأمته، فقال تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾ [سورة الكوثر:١-٣]، صلِّ لربك، وانحر لربك، وقال الله تعالىٰ لنبيه: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝١٦٣﴾ [سورة الأنعام:١٦٢-١٦٣]، (قل إن صلاتي ونسكي)، والنسك هو الذبح، وخَصَّه بعض المفسرين بالذبح في الحج تقربًا إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ، فالصلاة والنسك الذي هو الذبح لا تكون إلا لله سبحانه وتعالىٰ لا شريك له.

والذبح عبادة قرنها الله تعالىٰ بالصلاة وأمر بها كما أمر بالصلاة، فإذا صرف الإنسان هذه العبادة لغير الله سبحانه وتعالىٰ وقع في الشرك، ولذا جاء في صحيح مسلم(١٩٧٨-٤٤-) عن علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ**». واللعن هو الطرد والإبعاد من رحمة الله، فمن ذبح لغير الله فهو ملعون.

وجاء في الصحيحين عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لَا فَرَعَ وَلَا عَتِيرَةَ**»(١). أي أنَّ الإسلام نفىٰ هذه الأمور التي كانت في الجاهلية، والفَرَع هو أول النِّتَاج، أي أول ما تنتجه الناقة ونحوها يذبحونه للآلهة، يتقربون به إليها، والعتيرة هي الذبيحة التي تُذبح في رجب، فقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**لَا فَرَعَ وَلَا عَتِيرَةَ**». أي هذه أمور مما كان عليه أهل الجاهلية ونفاه الإسلام ونهىٰ عنه.

وهكذا حذَّر نبينا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ من الذبح علىٰ الأوثان، والأوثان اسم شامل لكل ما يُعبَد من دون الله، سواء كان صنمـًا أو حجراً أو شجراً أو قبراً.

جاءه رجلٌ كما في سنن أبي داود(٣٣١٣) عن ثابت بن الضحاك، فقال يا رسول الله إِنِّي نَذَرْتُ أَنْ أَنْحَرَ إِبِلًا بِبُوَانَةَ -أي مَوضِع-، قال: «**هَلْ كَانَ فِيهَا وَثَنٌ مِنْ أَوْثَانِ الْجَاهِلِيَّةِ يُعْبَدُ؟**». [أي هذا الموضع الذي تريد أن تنحر فيه، هل هو موضع ينحر فيه المشركون لأوثانهم؟] قَالُوا: لَا. قَالَ: «**هَلْ كَانَ فِيهَا عِيدٌ مِنْ أَعْيَادِهِمْ؟**». قَالُوا: لَا. قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَوْفِ بِنَذْرِكَ**».

ما دام أن هذا الموضع لا يُذبَح فيه لغير الله وليس فيه عيد من أعياد الجاهلية يجتمعون فيه علىٰ بعض بدعهم، فأوفِ بنذرك.

فإذاً هذه العبادة العظيمة لا يجوز التقرب بها لغير الله، لا يجوز أن تُفعَل علىٰ وجه التعبد والتقرب إلا لله -جل وعلا-، ومن فعلها لغير الله فقد أتىٰ أمراً عظيمـًا ولو كان

(١) البخاري (٥٤٧٣)، ومسلم (١٩٧٦ -٣٨-).

الذي يذبحه يسيراً، ولو ذبح دجاجة أو حمامة لغير الله فقد وقع في الشرك الأكبر، فقد جاء عند الإمام أحمد في الزهد (٨٤) وابن أبي شيبة (٣٣٠٣٨) عن سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: (دَخَلَ رَجُلٌ الْجَنَّةَ فِي ذُبَابٍ، وَدَخَلَ النَّارَ رَجُلٌ فِي ذُبَابٍ. -قَالُوا: وَكَيْفَ ذَلِكَ؟- قَالَ: مَرَّ رَجُلَانِ عَلَىٰ قَوْمٍ لَهُمْ صَنَمٌ لَا يَجُوزُهُ أَحَدٌ حَتَّىٰ يُقَرِّبَ لَهُ شَيْئًا، فَقَالُوا لِأَحَدِهِمَا: قَرِّبْ قَالَ: لَيْسَ عِنْدِي شَيْءٌ فَقَالُوا لَهُ: قَرِّبْ وَلَوْ ذُبَابًا فَقَرَّبَ ذُبَابًا، فَخَلَّوْا سَبِيلَهُ. قَالَ: فَدَخَلَ النَّارَ، وَقَالُوا لِلْآخَرِ: قَرِّبْ وَلَوْ ذُبَابًا، قَالَ: مَا كُنْتُ لِأُقَرِّبَ لِأَحَدٍ شَيْئًا دُونَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ. قَالَ: فَضَرَبُوا عُنُقَهُ، فَدَخَلَ الْجَنَّةَ).

فدخل الجنة رجل في ذباب امتنع من تقريبه لغير الله، ودخل النار رجل ذباب قرَّبه لغير الله. فكلُّ من قرب القرابين ونحر النحائر وذبح الذبائح لغير الله -جل وعلا- فقد أتىٰ ما ينافي توحيد الله -جل وعلا- ووقع في الشرك.

وهذا يدخل فيه صورٌ كثيرة كما تقدم بعضه في هذه الأدلة، فيدخل فيه ما يُذبح علىٰ الأصنام، وما يُذبح علىٰ القبور، وما يُذبح علىٰ الأوثان تقرُّبًا لها، كلُّ هذا ذبح لغير الله.

يشمل أيضـًا الذبيحة التي يُهَلُّ عليها بغير اسم الله -جل وعلا-، ولذا حرم الله هذه الذبائح ما ذُبح علىٰ الأنصاب وما أُهِلَّ به لغير الله، ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾ [سورة المائدة:٣]، ما ذبح علىٰ الأنصاب أي علىٰ القبور أو الأوثان أو الأصنام، كلُّه مما حرَّمه الله سبحانه وتعالىٰ.

هكذا يشمل ما يُذبح لدفع شرِّ الجن كما يفعله بعض الناس إذا بنىٰ بيتًا، أو حفر بئراً، أو اتخذ موضعًا، بدأ بذبيحة في ذلك المكان، وربما أراق الدم علىٰ أركانه وأطرافه؛ خشيةَ أن تصيبه الجن بشيء من المكروه، فيذبح هذه الذبيحة لإرضائهم، فهذا من الشرك بالله.

يدخل فيه أيضا -كما قال أهل العلم-، من يذبح في وجوه السلاطين والملوك ونحوهم تقربًا إليهم، يستقبلهم بالذبيحة في وجوههم لا لقصد الإكرام، ولا لقصد الأكل، ولكن لقصد التقرب والتزَلُّف والتعظيم لمن يستقبله، أما لو ذبح لكبير أو لصغير إكرامًا له لقصد الأكل فهذا مشروع، لكن المنهي عنه أن يذبح تعظيمًا كما نراه ونسمعه مما يفعله بعض الناس إذا نزل به بعض الملوك أو السلاطين نحر النحيرة في وجهه، يذبحها مستقبلاً له بين يديه تعظيمًا وتقربًا.

هكذا أيضا قال أهل العلم: يدخل في ذلك ما يُذبح لإرضاء الخصوم تقربًا إليهم، كما يحصل في بعض الأماكن من البلاد اليمنية مما يسميه بعض الناس بالعقير أو الهَجَر، إذا اختصم اثنان أو قبيلتان ففي الصلح بينهم يأتي المعتدِي بذبيحة يذبحها أمام وجه المعتدَىٰ عليه، يقصد بذلك إرضائه والتقرب إليه.

فكلُّ هذا من الذبح لغير الله الذي ينافي توحيد الله سبحانه وتعالىٰ، وهو كثير في أوساط الناس، فيجب علىٰ المسلم أن يُخْلِصَ هذه العبادة كما أمره الله سبحانه وتعالىٰ لله، لا شريك له في ذلك، لا يجعل أحداً يشارك الله تعالىٰ في هذا الأمر وفي هذه العبادة.

أيضـًا مما ينافي توحيد الله -جل وعلا-:

نذر شيء من الأموال لغير الله، **كَمَن** ينذر شيئًا من ماله لبعض الأولياء المقبورين، **وكمن** ينذر شيئًا من ماله لمواضع الشرك وإقامة البدع، **وكمن** ينذر شيئًا من ماله لقصد فلان من الناس تعظيمـًا له أو ينذر عند رأسه، كلُّ هذا فِعلُ المشركين، هم الذين كانوا يجعلون من أموالهم لغير الله، قال الله تعالىٰ عنهم: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة النحل:٥٦] أي الأصنام والمعنىٰ لما لا يعلمون استحقاقه لذلك، ﴿نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ [سورة النحل:٥٦]، أي من الأموال، قال الله تعالىٰ: ﴿تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [سورة النحل:٥٦]، وقال الله سبحانه: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ﴾ [سورة الأنعام:١٣٦]، أي مما خلق ﴿مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا﴾ [سورة الأنعام:١٣٦] من الحرث أي الزروع، والأنعام أي الإبل والبقر والغنم نصيبـًا، ﴿فَقَالُوا هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَائِنَا﴾ [سورة الأنعام:١٣٦]، هذا الزرع لله، وهذا الزرع للشركاء، هذه الأنعام لله وهذه الأنعام للشركاء، ﴿ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَائِهِمْ﴾ أي إذا تلف شيء مما جعلوه للشركاء عوضوه من النصيب الذي جعلوه لله، ﴿ فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ﴾، ما جعلوا للأصنام والأوثان ، ﴿فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾ [سورة الأنعام:١٣٦].

فكثير من المسلمين ينذر النذور الباطلة، ويوقف الأوقاف الباطلة، علىٰ مكان شركي، أو علىٰ هذا الولي المقبور، يجعل هذه الأرض أو هذا الزرع وقفـًا للضريح

الفلاني، فهذا الوقف باطل، لا ينعقد ولا يصح، بل هو ملك لورثته يتصرفون فيه كما يتصرفون في سائر تركته؛ لأنه نذرٌ علىٰ شيء حرام من أول أمره فلم يصح ولم ينعقد.

ومن صنع بعضُ أوليائه من أهله وأقاربه ذلك فواجب عليه تغييره، إن شاء غيَّره إلىٰ ما فيه طاعة لله كعمارة مسجد أو إصلاحه أو إصلاح طريق أو إعانة ابن السبيل أو الفقراء أو نحو ذلك، وإن شاء جعله من سائر ماله الذي يقتسمه ورثته.

فالنذر لغير الله بشيء من الأموال مما ينافي توحيد الله سبحانه، ومما كان يفعله المشركون؛ لأن النذر عبادة فلا يجوز أن تصرف هذه العبادة لغير الله.

وقد مدح الله تعالىٰ من يوفون بنذورهم ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا ٧﴾ [سورة الإنسان:٧]، ﴿وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوۡ نَذَرۡتُم مِّن نَّذۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُهُۥۗ﴾ [سورة البقرة:٢٧٠]، فقرن الله تعالىٰ هذه النذور بالنفقات، وهذا كله يدل علىٰ أن النذر من العبادات، والعبادات لا يجوز صرفها لغير الله، وقال النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كما في البخاري(٦٦٩٦) عن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا: «**مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللهَ فَلْيُطِعْهُ** -أي: نَذَرَ نَذْرَ طاعة، فهو عبادة-، **وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَهُ فَلَا يَعْصِهِ**». لا يجوز أن يفي بالنذر الذي في معصية، وإن كان نذراً لله، إذا نذر لله علىٰ معصية لا يجوز أن يفي بتلك المعصية، فكيف بالنذر إذا كان يعقده من أوله لغير الله؟ فهذا مما ينافي توحيد الله سبحانه ومما لا يجوز للمسلم أن يفعله.

فلا يجوز للمسلم أن يجعل نذراً لمن يسميهم بالأولياء المقبورين، ولا نذراً لبعض الصالحين يتقرب به إليهم، ولا نذراً لأماكن البدع والمحرمات أو لأماكن الشركيات، ولذا الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ سأل ذلك الرجل حين نذر أن ينحر إبلاً ببوانة؟ «**هل فيها وثن من أوثان الجاهلية؟ هل فيها عيد من أعيادهم؟**» فإذا كان كذلك فلا يجوز أن تفي بهذا النذر؛ لأنه معصية لله سبحانه وتعالىٰ.

أقول ما سمعتم، والحمد لله رب العالمين.

***

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيراً.

أيها الناس، أيضًا مما ينافي توحيد الله سبحانه:

السجود والركوع لغير الله تحيةً وإكرامًا لذلك الغير؛ وكان هذا في الشرائع الماضية جائزا، أن يُفعَل السجود علىٰ وجه التحية والإكرام، قال الله عن يوسف: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًاۖ﴾ [سورة يوسف:١٠٠]، أي تحية وإكراماً، وهذا كان في الشرائع الماضية، وأما في هذه الشريعة فقد نُسخ ذلك ونُهي عنه.

وهكذا السجود لغير الله تعبُّداً منهيٌّ عنه حتىٰ في الشرائع الماضية، وإنما كان الذي يجوز لهم سجود التحية، فالسجود إذاً إما أن يكون للتعبد وهذا محرَّم في كل الشرائع كما قال الله سبحانه وتعالىٰ عن هدهد سليمان أنه أنكر سجود ملكة سبأ وقومها للشمس: ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [سورة النمل:٢٤]، وإما أن يكون سجود تحية وإكرام، وقد كان جائزاً في الشرائع الماضية، ثم حُرِّم في هذه الشريعة، ولذا جاء في حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عند الترمذي (١١٥٩) وبنحو حديث معاذ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عند أحمد (٢١٩٨٦) وحديث عبدالله بن أبي أوفىٰ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عند أحمد (١٩٤٠٣) وفيه قصة رجوع معاذ من اليمن أو من الشام حين أراد أن يسجد للرسول

عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لما رأىٰ النصارىٰ يسجدون لبطارقتهم وأساقفتهم، قال: عزمت في نفسي إذا رجعت أن أسجد للرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فقال له النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**لَوْ كُنْتُ آمِرًا أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ لَأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا**».

وجاء في حديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عند أحمد (١٢٦١٤) أيضاً في قصة ذلك البعير الذي صار مسعوراً فجاء الأنصارُ إلىٰ الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يخبرونه، فقام النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فدخل عليه البستان، قالوا: يا رسول الله إنه قد صار كالكَلْب الكَلِب لا تدنُ منه لا يصبْك بسوء، فدخل الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فلما رآه ذلك البعير خَرَّ ساجداً بين يديه، فقال الأنصار يا رسول الله هذه بهيمة لا تعقل تسجد لك فنحن أحق بالسجود لك، قال: «**لَا يَصْلُحُ لِبَشَرٍ أَنْ يَسْجُدَ لِبَشَرٍ، وَلَوْ صَلَحَ لِبَشَرٍ أَنْ يَسْجُدَ لِبَشَرٍ لَأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا**».

فالسجود والانحناء تعظيماً أو تحيةً محرَّم ومما ينافي توحيد الله تعالىٰ، حتىٰ إن الطيور تنكر هذا الشيء المحرم، والهدهد لما طار من بيت المقدس إلىٰ جهة اليمن فرأىٰ هذا الأمر أنكره، وهو طائر من الطيور، فلما تفقد سليمان الطير لم ير الهدهد

﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ۝٢٠ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ
عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ۝٢١ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ
أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ۝٢٢ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً
تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ۝٢٣ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ
لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ

﴿٢٤﴾ [سورة النمل:٢٠-٢٤]، حكم عليهم بالضلال، ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [سورة النمل:٢٥]، فأرسل إليهم سليمان ودعاهم إلىٰ الإسلام فأسلموا.

فكان الكفار يسجدون للشمس تعظيمًا وتعبداً، ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [سورة فصلت:٣٧]، اسجدوا لله الذي خلق هذه المخلوقات.

ولذا نهىٰ الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عن الصلاة حين طلوع الشمس حتىٰ ترتفع وحين تقترب من الغروب حتىٰ تغرب؛ لأجل أن هذا الوقت يسجد فيه الكفار للشمس، فأراد الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ألا يشابههم المسلمون ولو في الصورة، ولو لم يقصدوا سجوداً للشمس، ولو كانوا يُصلُّون ويسجدون لله نهاهم عن الصلاة في هذين الوقتين لئلا يشابهوا المشركين في صورة عبادتهم، فلا يجوز السجود لغير الله تعبداً وتعظيمًا، ولا يجوز السجود لغير الله تحية وإكراما، كما يفعل بعض الجهلة إذا حيًّا بعض الملوك أو الرؤساء ينحني له، أو يسجد بين يديه، كل ذلك مما هو منافٍ لتوحيد الله سبحانه ومما هو من ذرائع الشرك.

أيضًا مما ينافي توحيد الله تعالىٰ:

طلب البركة من بعض المخلوقات، أن يتبرك بمخلوق كما كان المشركون يتمسَّحون بالأصنام وبالأحجار وبالأشجار يطلبون منها البركة، ولذا جاء في سنن الترمذي(٢١٨٠) عن أبي واقد الليثي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ خرج إلىٰ حنين، وحنين كانت بعد فتح مكة بأيام قليلة في شهر شوال وفتح مكة كان في رمضان، وخرج مع النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ألفان ممن أسلموا يوم فتح مكة لم يمض علىٰ إسلامهم إلا وقت يسير نحو الشهر، ما زالوا يجهلون بعض الأشياء ويحتاجون إلىٰ تعليم، فمروا في الطريق بشجرة للمشركين يعلِّقون أسلحتهم بتلك الشجرة يسمونها ذات أنواط، يعتقدون أن تعليق سيوفهم وأسلحتهم بتلك الشجرة يجعلها أقوىٰ وأمضىٰ مما إذا لم تُعلَّق فيها، فبعض هؤلاء الصحابة الذين هم حديثو عهد بالإسلام قالوا: يَا رَسُولَ اللهِ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ، أي اجعل لنا شجرة نعلق بها الأسلحة لتكون قوية كما يفعل هؤلاء، قال: «**الله أكبر** -وفي رواية-: **سُبْحَانَ اللهِ إِنَّهَا السَّنَن، قُلْتُمْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَىٰ**: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ۝١٣٨﴾ [سورة الأعراف:١٣٨]، **لَتَرْكَبُنَّ سُنَّةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ**». فشبه الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ طلب هؤلاء الذين طلبوا شجرة يتبركون بها بطلب المشركين إلها مع الله، ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [سورة الأعراف:١٣٨].

فلا يجوز طلب البركة من مخلوق لا من صنم ولا من تراب قبر ولا من تراب موضع، كما يتبرك أناس من الجهلة بأتربة بعض القبور؟ وهذا موجود وبكثرة في

أوساط ملايين ممن ينتسب إلىٰ الإسلام، كم يتبرك من أناس بتربة كربلاء؟ بل الرافضة يعتقدون أن صلاتهم في أي موضع تكون علىٰ هذه التربة؛ و لذا يحملونها معهم طلبًا للبركة، وبعض الناس يأكل من أتربة بعض القبور ويتمسح بها يطلب البركة، والبركة لا تطلب من المخلوق إنما تطلب من الله، ولذا جاء في الصحيحين عن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ حين قبَّل الحجر الأسود تأسيًا برسول الله الذي قبَّله في طوافه، قال وهو يقبِّله: (وَاللهِ، إِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ، وَلَوْلَا أَنِّي رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يُقَبِّلُكَ مَا قَبَّلْتُكَ)(١).

وهكذا كم من المسلمين من يعتقد البركة في بعض الأشجار، كما في الشجرة التي بايع تحتها نبينا عَلَيۡهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ الصحابة بالحديبية، ربما ترىٰ أناسًا يجلسون فيها أو يصلون تحتها يطلبون البركة، وصار كثير منها عبارة عن أوهام لا حقيقة لها ولا تُعلم بأعينها، وهكذا أناس يتبركون بأجسام بعض الشيوخ كما تراه عند الصوفية ربما تبرك بجسد شيخه أو بلباسه، وربما أعطاه سواكه يستاك به في فمه ثم يأخذه ويستاك به بعد شيخه رجاء البركة، وهذا كله مخالف للأدلة؛ لأن البركة لا تُطلب من مخلوق، إنما هذا الشيء كان خاصًا بذوات الأنبياء، كان الصحابة يتبركون ببصاق الرسول، وبما تبقىٰ من وَضوئه، وبشعره، هذا ليس لأحد إلا لأنبياء الله، وأما غيرهم من البشر فليس فيهم بركة ذاتية، ولا يجوز التبرك بذواتهم ولا بأجسادهم.

(١) البخاري(١٥٩٧)، ومسلم(١٢٧٠ -٢٤٨-).

وهكذا لا يجوز التبرك بقبور أو بأتربة أو بمواضع أو بأحجار أو أشجار، فكلُّ ذلك مما ينافي توحيد الله سبحانه وتعالىٰ.

فهذه بعض الأمور التي تنافي التوحيد، ولها بقية إن شاء الله، مما هو فاشٍ ومنتشر بين كثير من الناس.

فنسأل الله تعالىٰ أن يعلمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علمنا.

اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه.

اللهم إنا نسألك الهدىٰ والتقىٰ والعفاف والغنىٰ.

اللهم آتِ نفوسنا تقواها وزكِّها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها.

اللهم اغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، اللهم أذل الكفر والكافرين.

اللهم من أراد المسلمين بسوء فاجعل كيده في نحره، اللهم قنا وقِ المسلمين من شره.

اللهم أنجِ المستضعفين من المسلمين في كل مكان، اللهم أنجِ المستضعفين من المسلمين في فلسطين.

اللهم فرج عنهم ما نزل بهم يا أرحم الراحمين، اللهم أطعم جائعهم، اللهم اكس عاريهم، اللهم اشف جرحاهم، اللهم تقبل قتلاهم في الشهداء، اللهم أمِّن خائفهم، اللهم اربط علىٰ قلوبهم، اللهم إنهم مغلوبون فانتصر لهم.

اللهم عليك باليهود والنصارىٰ ومن أعانهم علىٰ المسلمين، اللهم أوهن قوتهم، وفرق جموعهم، اللهم أغْرِ بينهم العداوة والبغضاء، وسلط عليهم رعبًا في قلوبهم.

اللهم إنا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم.

اللهم صل علىٰ محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

والحمد لله رب العالمين.

٩ / جمادىٰ الأولىٰ/ ١٤٤٥هجرية

أمور تنافي التوحيده

الغلو في الصالحين

إن الحمد لله، نحمده تعالىٰ ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

اعلموا أن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس، لا زلنا نذكر -بعون الله سبحانه وتعالىٰ- الأمور التي تنافي توحيد الله -جل وعلا- سواء كانت من الأقوال أو من الأفعال.

وإن من الأمور المنافية للتوحيد، والتي كانت سبباً في وقوع الشرك في كثير من الأحوال لهو:

الغلو في الصالحين، الغلو في أهل الصلاح والدين والاستقامة، والغلو معناه المجاوزة، مجاوزة الحد، سواء كان في مدحهم وذكرهم والثناء عليهم بعد موتهم، فيمدحهم ويثني عليهم بما لا يكون إلا لله سبحانه وتعالىٰ، أو كان في مدحهم ووصفهم وهم أحياء في هذه الحياة الدنيا، أو كان هذا الغلو بالأفعال، سواء ما يفعله معهم في حياتهم من التبرك بهم أو التمسح بهم أو اعتقاد عصمتهم، أو الغلو فيهم بعد موتهم، فكلُّ هذا من الأسباب الرئيسية التي أوقعت كثيراً من هذه الأمة ومن الأمم قبلها في الشرك بالله سبحانه وتعالىٰ، وما دخل الشرك علىٰ الناس في كثير من الأحوال إلا بسبب الغلو في الصالحين.

وإنما كان الغلو في الصالحين لأن النفوس بطبعها تميل إلىٰ تعظيم أهل الصلاح ومحبتهم، فقد يستهويهم الشيطان ويستزلُّهم بأفعال وأقوال في هؤلاء الصالحين هي منافية لهذا الدين، ولذا قال بعض الأئمة: (إن من أوسع أودية الباطل الغلو في الأفاضل)، فالغلو والمجاوزة في أهل الفضل والصلاح من أوسع أودية الباطل، وأعظم أبواب الشرك الذي وقع في هذه الأمة وفي الأمم قبلها.

ولذا ربنا -عز وجل- حذرنا وحذر الأمم قبلنا من ذلك، فقال الله سبحانه وتعالىٰ: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ﴾ [سورة النساء:١٧١]، وقال الله تعالىٰ: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ﴾ [سورة المائدة:٧٧]، لا تغلوا في الدين ولا تجاوزوا فيه.

وجاء عند أحمد (٣٢٤٨)، وابن ماجه (٣٠٢٩)، عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ** -أي احذروه- **فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِالْغُلُوِّ**».

الغلو في الصالحين ومجاوزة الحد فيهم أوقع بعض الناس في أن ادَّعىٰ لبعض الصالحين الإلهية، وهو غير راضٍ بفعله لكن ادعىٰ أنه إله، أو ادعىٰ أنه يعلم الغيب، أو ادعىٰ أنه يتصرف في الكون، أو ادعىٰ أنه يعلم كل ما يكون، أو ادعىٰ أن من فضله الدنيا والآخرة، كل هذه وقعت لأناس قد ينتسبون إلىٰ العلم بسبب الغلو في أهل الفضل والصلاح، ولذا نبينا عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ حذر من هذا الأمر في سائر الأحوال، حذر منه في حياته، أن يُغلَىٰ فيه في حياته، وحذر أن يُغلىٰ فيه بعد موته.

جاء في صحيح البخاري (٣٤٤٥) عن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ قال: «**لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ**»، والإطراء هو المجاوزة في المدح، فمعنىٰ (لا تطروني): أي لا تجاوزوا في مدحي كما فعلت النصارىٰ مع عيسىٰ ابن مريم، الذي هو كلمة الله وروحه وهو عبد من عباد الله، فقالوا فيه: إنه الله. وقالوا فيه: إن الإله ثلاثة وعيسىٰ واحد منهم، جاوزوا فيه حتىٰ وصفوه بما لا يجوز، وهكذا قالوا: إنه ابن الله، ﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ﴾ [سورة التوبة:٣٠]، فنهىٰ الرسول

عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أمته عن ذلك، فقال: «**لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ**»، أنا عبد من عباد الله صِفُوني بما وصفني الله به، قولوا: عبدالله ورسوله كما قال الله -جل وعلا-.

وهكذا نهىٰ النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عن المدح الذي فيه المجاوزة مطلقًا، جاء في الصحيحين عن أبي بكرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سمع رجلاً يمدح رجلاً آخر، قال له: «**وَيْحَكَ، قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ**»(١). أي بفعلك هذا قد يصيبه الغرور، قد يصيبه الفخر والتعالي، فيحصل الضرر في الدين.

وجاء في صحيح مسلم (٣٠٠٢ -٦٨-، -٦٩-) عن المقداد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه رأىٰ رجلاً يمدح بعض الناس فأخذ ترابًا وحثاه في وجهه، فقال له عثمان: ما حملك علىٰ ذلك؟ قال سمعت النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**إِذَا رَأَيْتُمُ الْمَدَّاحِينَ فَاحْثُوا فِي وُجُوهِهِمُ التُّرَابَ**»، وذلك لما يُسبِّبه المدح من الغلو.

وهكذا جاء عند أحمد (١٨٣٩)، والنسائي (٣٧٧٣)، عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أن رجلاً قال للنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ! -قرن مشيئة الرسول بمشيئة الله، فأنكر عليه الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ-، قال: «**أَجَعَلْتَنِي وَاللهَ عَدْلًا**»، جعلتني مساويًا معادلاً لله، حتىٰ في الكلمة ما رضيها رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فنهاه أن يقول له: ما شاء الله وشئت، لم يرض بقَرْنِ مشيئته بمشيئة الله خوفًا من الغلو،

(١) البخاري(٦٠٦١)، ومسلم(٣٠٠٠ -٦٥-).

ولما في هذا اللفظ من تشريكٍ، حتىٰ يتوهم السامع مساواة مشيئة الرسول لمشيئة الله، «**أَجَعَلْتَنِي وَاللهَ عَدْلًا، بَلْ مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ**»، أي: اقتصِرْ علىٰ ذلك.

وهكذا جاء عند أحمد (١٦٣٠٧)، وأبي داود(٤٨٠٦) عن عبدالله بن الشخير رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال أتيت النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في وفد بني عامر فقلنا: يا رسول الله أَنْتَ سَيِّدُنَا. وفي رواية: أَنْتَ سَيِّدُ قُرَيْشٍ. [وهذا كلام في الجملة صحيح، فهو سيد قريش وهو سيد ولد آدم، وهو القائل عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ: «**أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ**»(١). لكن خشي الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ من الغلو] فلما قالوا له هذه المقالة، قال: «**السَّيِّدُ اللهُ**»، قالوا: أَنْتَ أَفْضَلُنَا فَضْلًا، وَأَعْظَمُنَا طَوْلًا. أي أعظمنا غنىٰ، قال: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا بِقَوْلِكُمْ**»، أي قولوا بهذا القول، «**أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُمْ، وَلَا يَسْتَجْرِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ**»، احذروا أن يستجريكم الشيطان فيجعلكم جَرِيًّا له في هذه الأمور، فتكونون مُبلِّغين أو قائلين لما يريد الشيطان(٢).

(١) رواه البخاري(٤٧١٢)، ومسلم(١٩٤ -٣٢٠-)، والترمذي(٣١٤٨).

(٢) قال القاري رَحِمَهُٱللَّهُ في "مرقاة المفاتيح" (٧/ ٣٠٧٥): («**وَلَا يَسْتَجْرِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ**» أَيْ: لَا يَتَّخِذَنَّكُمْ جَرِيًّا بِفَتْحِ الْجِيمِ وَكَسْرِ الرَّاءِ وَتَشْدِيدِ التَّحْتِيَّةِ، أَيْ: كَثِيرَ الْجَرْيِ فِي طَرِيقِهِ وَمُتَابَعَةِ خَطَرَاتِهِ، وَقِيلَ: هُوَ مِنَ الْجَرَاءَةِ بِالْهَمْزَةِ أَيْ: لَا يَجْعَلَنَّكُمْ ذَوِي شَجَاعَةٍ عَلَىٰ التَّكَلُّمِ بِمَا لَا يَجُوزُ. وَفِي النِّهَايَةِ أَيْ: لَا يَغْلِبَنَّكُمْ فَيَتَّخِذَكُمْ جَرِيًّا أَيْ: رَسُولًا وَوَكِيلًا، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا مَدَحُوهُ، فَكَرِهَ لَهُمُ الْمُبَالَغَةَ فِي الْمَدْحِ فَنَهَاهُمْ عَنْهُ، وَالْمَعْنَىٰ: تَكَلَّمُوا بِمَا يَحْضُرُكُمْ مِنَ الْقَوْلِ وَلَا تَتَكَلَّفُوهُ، كَأَنَّكُمْ وُكَلَاءُ الشَّيْطَانِ وَرُسُلُهُ تَنْطِقُونَ عَلَىٰ لِسَانِهِ).

وقال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُٱللَّهُ في "القول المفيد" (٢/ ٥١٦): (قوله: «**ولا يستجرينكم الشيطان**»: استجراه بمعنىٰ: جذبه وجعله يجري معه؛ أي: لا يستميلنكم الشيطان ويجذبنكم إلىٰ أن تقولوا قولا منكرا، =

وهكذا جاء عند أحمد (١٣٥٩٦)، والنسائي في السنن الكبرىٰ (١٠٠٠٧)، عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن ناساً أتوا النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فقالوا: يَا خَيْرَنَا وَابْنَ خَيْرِنَا، وَيَا سَيِّدَنَا وَابْنَ سَيِّدِنَا. قال: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، وَلَا يَسْتَهْوِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ، أَنَا مُحَمَّدٌ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، مَا أُحِبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي الَّتِي أَنْزَلَنِي اللهُ**».

هذا وهو رسول الله، والكلام الذي قالوه حق، فهو سيد الناس، وهو خيرهم وأفضلهم، ولكن أغلق الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ هذا الباب، وخشي من حصول الغلو في الألفاظ والكلام الذي يتبعه الغلو في الأفعال، فقال: (قولوا بقولكم)، أذن لهم ولكن (لا يستهوينكم الشيطان) لا يجعلكم الشيطان في هُوة سحيقة فتهلكون، (أنا محمد عبدالله ورسوله، ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله)، الله جعلني عبداً ورسولاً فلا أحب أن تجعلوني فوق هذه المنزلة.

اليوم أناس من الغلاة في الدنيا جعلوا بعض المخلوقين فوق هذه المنزلة، جعلوا بعض المخلوقين يتصرفون في الكون، فالصوفية والرافضة وأمثالهم يعتقدون أن أوليائهم وكبارهم يعلمون الغيب ويتصرفون في الكون، ويدّعون أن لهم قدرةً في أمور لا تكون إلا لله سبحانه وتعالىٰ، بل وصفوهم بالإلهية، وعظَّموهم بما لا يجوز التعظيم

=

فأرشدهم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ ما ينبغي أن يُفعل، ونهاهم عن الأمر الذي لا ينبغي أن يُفعل، حمايةً للتوحيد من النقص أو النقض. وقال في النهاية: «**لا يستجرينكم الشيطان**» أي: لا يستغلبنكم فيتخذكم جريا، أي: رسولا ووكيلا).

به، وكلٌّ هذا يتبعه غلو في الأفعال، فتراهم بعد ذلك يعبدونهم ويدعونهم من دون الله، وكان هذا نتيجةً لذلك الغلو الذي سبق بأقوالهم.

فهذا أمرٌ مما حذَّرنا منه نبينا -عليه الصلاة السلام- وحذر الناس في زمنه أن يحصل غلو فيه في حياته عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ .

أقول ما سمعتم، والحمد لله رب العالمين.

***

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيراً.

أيها الناس، كذلك حذَّرَنا نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أن نغلو فيه بعد موته، فإذا كان هذا في حقه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فكيف بغيره؟ وانظر كيف أخبر عن هلاك الأمم السابقة وضلالهم أنه كان بسبب غلوهم في الصالحين بعد موتهم، جاء في الصحيحين عن عائشة، وابن عباس، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لَعْنَةُ اللهِ عَلَىٰ الْيَهُودِ، وَالنَّصَارَىٰ؛ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**»، يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا، قالت عائشة: وَلَوْلَا ذَاكَ لَأَبْرَزُوا قَبْرَهُ، -أي أظهر وأخرج- غَيْرَ أَنَّهُ خَشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا.[(١)]

انظر إلىٰ هذه السُّنة اليهودية النصرانية التي صارت فاشية في بلاد المسلمين، حيث أنهم أَدْخَلُوا القبور في المساجد المبنيَّة، وبنوا مساجد علىٰ تلك القبور، وجعلوا القِبَاب علىٰ بعض القبور، تعظيمًا لها حتىٰ عُبدت من دون الله، وهو أمْرٌ من أمْرِ اليهود والنصارىٰ، ليس من أمر هذه الأمة، بل حذر منه نبينا في سائر حياته كما في هذا الحديث، وكما في حديث جندب في صحيح مسلم (٥٣٢ -٢٣-)، قال سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِخَمْسٍ، وَهُوَ يَقُولُ: «**أَلَا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ، إِنِّي أَنْهَاكُمْ**

(١) رواه البخاري(١٣٩٠)، ومسلم (٥٢٩ -١٩-).

عَنْ ذَلِكَ». فهذه وصية الرسول قبل أن يموت بخمس ليال، بل قال في الحديث المتقدم وهو في سياق الموت، حديث عائشة: «**لَعْنَةُ اللهِ عَلَىٰ الْيَهُودِ، وَالنَّصَارَىٰ؛ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**»، هذا قاله وهو في السكرات كان يُدخِل يده في ركوة ماء ثم يمسح بها جبهته من الشدة ويقول هذا الكلام؛ محذِّراً لأمته من أخطر الأمور التي كانت سببا في انتشار الشرك.

وجاء في الصحيحين عن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا، أَنَّ أُمَّ حَبِيبَةَ وَأُمَّ سَلَمَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا ذَكَرَتَا كَنِيسَةً رَأَيْنَهَا بِالْحَبَشَةِ فِيهَا تَصَاوِيرُ -فيها صور للصالحين أو لبعض الأنبياء كعيسىٰ وأُمِّه-، فقال النبي عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ: «**أُولَئِكَ إِذَا كَانَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ فَمَاتَ، بَنَوْا عَلَىٰ قَبْرِهِ مَسْجِدًا، وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّوَرَ، فَأُولَئِكَ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»،(١) شرار الخلق الذين يفعلون هذه الأفعال.

ولذا جاء في حديث ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عند أحمد (٣٨٤٤)، وغيره أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**إِنَّ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ مَنْ تُدْرِكُهُ السَّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءٌ، وَمَنْ يَتَّخِذُ الْقُبُورَ مَسَاجِدَ**»، شرار الناس الذين يتخذون القبور مساجد؛ لأن هذا السبب ضَلَّت به طوائف كثيرة من أمة محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فعبدوا القبور، عبدوا الأولياء والصالحين، ذبحوا لهم، قرَّبوا لهم النذور، خافوا منهم كخوفهم من الله أو أشد،

(١) البخاري(٤٢٣)، ومسلم(٥٢٨ -١٦-).

تقرَّبوا إليهم بكثير من القربات، بسبب التعظيم، بسبب بناء الأبنية والقباب على تلك القبور، حتى أخرجها ذلك من حَيِّز أنها قبور إلى أن صارت آلهة.

ولذا نبينا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ دعا الله تعالى ألا يكون قبره كذلك، فاستجاب الله دعاءه، جاء عند مالك في الموطأ (٤٧٥) عن عطاء بن يسار مرسلاً، وجاء عند أحمد (٧٣٥٨) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ**». خشي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ من الغلو أن يُغلى في قبره كما غُلي في قبور الصالحين؛ فدعا الله تعالى ألا يكون قبره وثنًا يُعبد، فاستجاب الله دعاءه، ولم يُعبَد قبره منذ أن مات إلى يومنا هذا.

وجاء عند أحمد (٨٨٠٤)، وأبي داود (٢٠٤٢)، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا**»، ومعنى ذلك أي: لا تهملوها من الصلاة وتتركوا الصلاة فيها فتكون بمنزلة القبور، «**وَلَا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا**»، أي موسمًا تجتمعون فيه عنده، «**وَصَلُّوا عَلَيَّ؛ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ**». أي في أيِّ موضع كنتم، صلوا عليّ، فإن الله قد وكّل ملائكة تبلِّغُه صلاة وسلام من يصلي ويسلم عليه من أمته، فنهى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عن الاجتماع عند قبره لما يخشى من اتخاذه وثنًا يُعبد من دون الله سبحانه وتعالى.

فهذا من أعظم الغلو الذي أدخل على الناس الشرك، لأن الناس تميل نفوسهم إلى تعظيم الصالحين، إذا مات الصالح رأوا من الإكرام له ومن الإحسان إليه أن يعظموه، وأن يعظموا قبره ويرفعوه، وهذا هو الغلو الذي نهى عنه الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ،

ولذا جاء أنه نهىٰ عن رفع القبور وأمر بتسويتها وأرسل عليا رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بذلك كما في صحيح مسلم (٩٦٩)، قال له: «**لَا تَدَعَ صُورَةً إِلَّا طَمَسْتَهَا، وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ**»، أيُّ قبرٍ مرتفعٍ سوِّه ولا تجعله مرتفعاً، لأن رفعه فتنة.

ولذا كان من رحمة الله -جل وعلا- أنه لا يُعلم قبر نبي من الأنبياء إلا قبر نبينا محمد عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ، وهذا بإجماع العلماء، أنه لا يُعلم تحديد قبر نبي من الأنبياء إلا قبر محمد عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ، وزاد بعضهم قبر نبي الله إبراهيم في منطقة الخليل بفلسطين، وفيه خلاف بين العلماء، وكل من ادَّعىٰ قبر نبي من الأنبياء غير ذلك فهو كاذب، كما يوجد في دعوىٰ قبر نبي الله هود أو بعض الأنبياء، كلُّ هذا غير صحيح، وهذا من رحمة الله أن أخفىٰ عن الناس قبور الأنبياء حتىٰ لا يغلوا فيها، ولذا عمر رضي الله عنه حين فتح العراق ورأىٰ جثمان نبي الله دانيال أمر بإخفائه، أمر من كان موجوداً أن يحفروا قبوراً كثيرة في النهار ثم يدفنوه بالليل في قبر من تلك القبور لا يُعلم بعينه، خشية أن يُفتَن به الناس؛ لأن هذه فتنة عظيمة وقعت في هذه الأمة، سببّت لهم الشرك، وهي من الغلو.

ولذا انظر ما ذكره الله تعالىٰ عن أصحاب الكهف، لما ماتوا أراد بعض الناس أن يبنوا علىٰ قبورهم مسجداً، حين رآهم صالحين، ظن أن من التعظيم لهم أن يُبنىٰ علىٰ قبورهم مسجداً، ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُواْ ٱبْنُواْ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا﴾ [سورة الكهف:٢١].أي ما دام قد ماتوا فاردموا ذلك الغار وأغلِقوا عليهم ذلك الكهف، ﴿رَّبُّهُمْ

﴿أَعۡلَمُ بِهِمۡۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ﴾ [سورة الكهف:٢١] أي أصحاب الملك أصحاب السلطان الذي يأتي منهم البلاء في كثير من الأحوال، ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا ٢١﴾ [سورة الكهف:٢١]، سنبني علىٰ قبورهم مسجداً، ظنوا أن هذا من تعظيمهم وإكرامهم، وهذا عين الخطأ.

وانظر إلىٰ ما قصَّ الله علينا عن الصالحين الذين عبدهم قوم نوح، أناس صالحون ماتوا فحصل لهم تعظيم، ثم عُبدوا من دون الله، فلما جاء نوح يدعوهم ويقول: اتركوا عبادة هذه الآلهات فهؤلاء بشر مثلكم، ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا ٢٣﴾ [سورة نوح:٢٣]، هؤلاء خمسة رجال من الصالحين عبدهم قومهم وأبوا أن يستجيبوا لنبي الله.

وهكذا هذه الأمة، قال الله تعالىٰ: ﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ ٢٠﴾ [سورة النجم:١٩-٢٠]، اللات هو رجل صالح كان يَلُتُّ السويق للحجاج ويطعمهم، فلما مات، جعلوا علىٰ قبره نُصُبًا، وقيل: جعلوا الصخرة التي كان يلت السويق عليها نُصبا، وعبدوه من دون الله، فبُعث الرسول عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وهو آلهة ووثن يُعبد من دون الله، بسبب الغلو.

فهذا الأمر ليس بالأمر اليسير بل هو أمر خطير، الغلو في الصالحين، سواء كان الغلو في حياتهم بإطرائهم ورفعهم فوق منزلتهم بالمدح والثناء، أو التمسح بهم أو التبرك بهم، أو أن يُدَّعىٰ لهم ما لا يكون إلا لله من علم الغيب، أو التصرف في الكون،

أو تُدَّعىٰ لهم العصمة، أو غير ذلك من الأمور، كل هذا من الغلو، أو كان هذا الغلو بعد موتهم ببناء المساجد علىٰ قبورهم وبتعظيمها وتشييدها وإضاءتها وإسراجها، كل هذا مما هو سبب كبير في الشرك بالله تعالىٰ، ويؤثِّر في قلوب عامة الناس، ويصدقون ما يُروىٰ من الأباطيل حول تلك الأضرحة.

وقد ذكر الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه "الدر النضيد" قصةً فيها عبرة، أن بعض القبور التي كانت في بعض البلاد اليمنية كان معظَّماً وعليه بناء وزخرفة وإضاءة وستور، قال: (فجاء بعض الجهلة ممن يرتادون القبور وممن يعتقدون فيها. فلما وصل إلىٰ هذا القبر ورأىٰ تعظيمه وإسراجه وستوره وما فيه، قال: لم يملك هذا المسكين نفسه أن قال: أمسيت بالخير يا أرحم الراحمين. قال: فانظر كيف صنع الغلو في قلب هذا المسكين حتىٰ اعتقد أن هذا المقبور هو الله -جل وعلا-).

وهذا اليوم في ملايين من الناس في بلاد المسلمين، يعتقدون في هذه القبور ويعظمونها، بل يخاف أحدهم من أهلها أشد من خوفه من الله، ويعتقد أنهم سريعو النقمة، ويعتقد أن عقوبتهم نافذة، ويعتقد أنه إذا غضب عليه الولي لا ينجيه أحد، وإذا اشترىٰ أحدهم شيئاً سيارة أو شيئاً ذهب به إلىٰ ذلك المكان ليتبرك به، وهكذا أخذوا أتربتها فأكلوها، وأخذوا أتربتها فصلوا عليها وتمسحوا بها، وأخذوا المرضىٰ وأصحاب العاهات إلىٰ تلك القبور رجاء الشفاء، وذبحوا لها الذبائح، ونذروا لها النذور، وانفقوا لها الأموال، وهذا موجود في ملايين من الناس ممن ينتسب إلىٰ

الإسلام اليوم في اليمن وفي مصر وفي العراق وفي الشام فضلاً عن بلاد العجم، كل هذا من الغلو الشديد الذي أوقع الشرك في هذه الأمة.

نسأل الله -جل وعلا- بأسمائه الحسنىٰ وصفاته العلا أن يعيننا علىٰ ذكره وشكره وحسن عبادته.

اللهم إنا نسألك الهدىٰ والتقىٰ والعفاف والغنىٰ.

اللهم آت نفوسنا تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها.

اللهم اغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، اللهم أذل الكفر والكافرين.

اللهم من أراد المسلمين بسوء فاجعل كيده في نحره، اللهم قنا وقِ المسلمين من شره.

اللهم أنجِ المستضعفين من المسلمين في كل مكان، اللهم أنجِ المستضعفين من المسلمين في فلسطين.

اللهم عليك باليهود والنصارىٰ ومن أعانهم علىٰ المسلمين.

اللهم عليك باليهود والنصارىٰ والرافضة الزنادقة المعتدين.

اللهم كُفَّ شرَّهم وبأسهم عن الإسلام والمسلمين.

اللهم صل علىٰ محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

١٦/ جمادىٰ الأولىٰ/ ١٤٤٥هجرية

أمور تنافي التوحيد٦

السحر

إن الحمد لله، نحمده تعالىٰ ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

اعلموا أن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس، لا زال حديثنا عن الأمور التي تنافي توحيد الله سبحانه وتعالىٰ، سواء كانت من الأقوال أو من الأفعال، ومن ضمن هذه الأمور التي تنافي توحيد الله -عز وجل- منافاة كلية:

تعلُّمُ السحر أو تعليمُه، وكذلك فعلُه وممارستُه، فهذا الذنب العظيم الذي أخبرَنا نبينا عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أنه من الموبقات، كما جاء في حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ الذي أخرجه البخاري (٢٧٦٦)، ومسلم (٨٩ -١٤٥-)، أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قال: «**اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ**» وذكر منها: «**السِّحْرُ**»، والموبقات أي المهلكات، هذه الكبيرة وهذا الذنب العظيم يهلك صاحبه في الدنيا والآخرة يهلك دينه ودنياه وآخرته، هذا الذنب العظيم ينافي توحيد الله سبحانه وتعالىٰ منافة كلية، بحيث أنه لا يتم لصاحبه حتىٰ يكفر بالله تعالىٰ، وحتىٰ يعبد الشياطين ويتقرب إليهم، كما أخبر الله سبحانه وتعالىٰ في كتابه بقوله: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنۡ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحۡنُ فِتۡنَةٌ فَلَا تَكۡفُرۡۖ﴾ [سورة البقرة:١٠٢]، يقولون له: إنما نحن ابتلاء واختبار فلا تكفر، فلا يتعلمه أحد حتىٰ يكفر بالله، ولا تنصاع له الشياطين بخدمته ومعونته إلا إذا تقرب إليهم بصرف العبادة لهم من دون الله سبحانه.

إضافة إلىٰ ذلك ما فيه من الكفر بالاستهزاء بالدين وبكلام رب العالمين، فربما يدوس القرآن، وربما يقضي عليه حاجته، وربما ألقاه في أماكن النجاسات، وربما يكتب آيات منه بالنجاسات كدم الكلب ودم الحيض، وهكذا ينبذ كتاب الله وراء

ظهره، ويُقبِل علىٰ كتب السحر، كما أخبر الله تعالىٰ عن اليهود، ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ﴾ [سورة البقرة:١٠١-١٠٢]، فنبذوا كتاب الله واتبعوا كتب السحر، وهكذا كل ساحر لا يتم له أمره إلا بنبذ كتاب الله وراء ظهره، والإقبال علىٰ كتب السحر التي هي من إرث اليهود، فأصل السحر من عمل اليهود.

هذا الذنب العظيم ينافي توحيد الله -جل وعلا- من أصله فلا يكون ساحرٌ إلا كافراً، لا يمكن وجود ساحر يستحضر الشياطين ويعينونه ويقومون بتنفيذ ما يريد إلا إذا تخلَّىٰ عن الإسلام، إلا إذا اشترىٰ السحر ودفع ثمنه دينه وإسلامه، كما قال الله تعالىٰ: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ ﴾ [سورة البقرة:١٠٢]، اشترىٰ السحر أي اشتراه بالإسلام الذي كان عليه فهذه قيمته، وإلا لا يمكن أن يكون ساحراً.

هذا الذنب العظيم فاشٍ في أوساط المسلمين ومنتشر بكثرة، وكلما ضعف المسلمون في العلم والعقيدة الصحيحة، أو ضعفوا في جانب الأمن، انتشر السحرة وكثُروا، هذا السحر له اليوم من يُروِّجُه، له قنوات تنشره وتُعلِّم الناس ذلك، وتُطبَع كتب السحر بآلاف النسخ وتُوزَّع في كثير من بلاد المسلمين، وليس يخفىٰ عليكم ما قام به بعض الجنود من رجال الأمن في هذه البلاد قبل سنوات حيث تم القبض في

إحدىٰ النقاط الأمنية علىٰ حاوية بأكملها فيها نحو ثلاثة آلاف كتاب من كتب السحر[١]، وهذه تباع في أسواق المسلمين وتُنشر في أوساطهم، وهي ضرر عظيم.

عباد الله، هذا الذنب يقضي علىٰ الإسلام، فلا يجوز نشره ولا إفشاؤه، ولا يجوز السكوت عن أهله ومن يفعله ويُرَوِّجُه؛ لأنه ينافي دين الإسلام منافاة كلية.

والسحر كما دل عليه كلام الله وكلام رسوله عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أنواعه كثيرة:

فمنه وهو أشدُّه وأخطره: ما يكون عبر الشياطين بالاستعانة بهم، فيستخدم هذا الساحر بعض التعويذات أو الرموز والطلاسم لاستحضار الشياطين ليقوموا بخدمته وتنفيذ ما يريده منهم مقابل أن يصرف لهم شيئًا من العبادات، ومقابل أن ينتهك حرمة كتاب الله، ومقابل أن يفعل المحرمات العظيمة، بل ربما يصلي الساحر ويحضر مع المسلمين في مساجدهم، وفي الحقيقة يتمثَّل له الشيطان أمامه فيركع ويسجد للشيطان

---

١) هذه الحادثة وقعت في إحدىٰ النقاط الأمنية في محافظة الضالع في عام ١٤٣٨هـ حيث تم القبض علىٰ حاوية خارجة من ميناء عدن ومتوجهه إلىٰ صنعاء إلىٰ مكتبة الإرشاد لمالكها حمود علي منصور الحزمي من أهالي حزم العدين محافظة إب، وفيها نحو ثلاثة ألف نسخة من كتب السحر من كتاب: (منبع أصول الحكمة) تأليف أحمد بن علي البوني صاحب كتاب شمس المعارف، ومن كتاب: (الرحمة في الطب والحكمة)، وفيها كثير من كتب الرافضة والصوفية التي فيها الكفر الصريح، والعجيب أن هذه المكتبة مكتبة الإرشاد تطبع كتب السنة وتنشرها، ثم تنشر كتب السحر والكفر؛ وما ذاك إلا لأجل الدينار والدرهم، والعجيب أيضا –ولا عجب– أن مالك هذه المكتبة الذي استورد هذه الكتب ويريد نشرها في بلاد المسلمين ممن ينتسب إلىٰ فرقة الإخوان المسلمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وليجدنَّ جزاء عمله هذا في الدنيا والآخرة، إن لم يتداركه الله بتوبة صادقة قبل الممات.

كما ذكر ذلك بعض السحرة التائبين، وربما حضر الصلاة وهو علىٰ جنابة استهزاءً بهذه الشعيرة، فهذا النوع الأول من السحر وهو الذي يكون عبر الشياطين، وهو أعظمه كفراً وأشده ضرراً، ولا يفعله أحد إلا وقد كفر بالله سبحانه وتعالىٰ.

ومن أنواع السحر أيضـًا:

سحر التخييل، الذي ذكره الله تعالىٰ عن سحرة فرعون، فإنهم خَيَّلوا للناس أن تلك العِصِيَّ وتلك الحبال تسعىٰ وتتحرك، كما قال الله تعالىٰ: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾﴾ [سورة طه:٦٦]، وقال الله تعالىٰ: ﴿سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾﴾ [سورة الأعراف:١١٦]، سحروا الأعين، وأما في الحقيقة فلا يغيِّرون شيئا عما هو عليه، فهذا من أنواع السحر.

من أنواع السحر أيضـًا:

سحر النفث في العقد، الذي أخبر الله تعالىٰ عنه وأمر بالاستعاذة منه في قوله: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾﴾ [سورة الفلق:٤]، وهي عبارة عن رقىٰ أو تمائم وتعويذات تُقرأ في تلك الخيوط أو الحبال، ثم يُعقَد عليها.

ومن أنواع السحر أيضا:

سحر الصرف والعطف، الصرف أي التفريق، والعطف أي الجمع، وقد يفشو هذا في بلاد المسلمين، فيُحدِث لفلان من الناس سحراً يفرق بينه وبين من يحب، إما بينه وبين زوجته، أو بينه وبين والده، أو بينه وبين أقاربه، أو يجعل له عطفـًا علىٰ بعض

الناس يعطفه عليه، فيَجعل له سحراً يعطفه علىٰ فلان بالمحبة له والتعلق به، بل ربما صار في يده يقوده كالبهيمة.

فكلُّ هذه من أنواع السحر التي ذكرها أهل العلم، والتي عُلِمَت من واقع الناس، ودلَّ عليها القرآن والسنة، والسحرُ الذي فيه استعانة بالشياطين كله كفر بالله سبحانه وتعالىٰ، علىٰ أي صورة فُعِل.

عباد الله، لقد أخبرنا الله تعالىٰ في كتابه الكريم أن هذا الفعل كفر به سبحانه وتعالىٰ ليُحذِّرنا من ذلك، قال الله سبحانه: ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ ﴾ [سورة البقرة:١٠٢]؛ لأن اليهود ادعوا أن سليمان ساحر وأنه إنما تسلط علىٰ الجن بسحره، فبرَّأه الله تعالىٰ من ذلك، وأخبر أن السحر كفر، ولا ينبغي لنبي من أنبياء الله أن يفعل ذلك، ولكنَّ الله آتاه ملكـًا لم يعطه أحداً من الناس فسلَّطه علىٰ الشياطين ومكَّنه من التصرف فيهم، فقال الله: ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ ﴾ [سورة البقرة:١٠٢]، فبماذا كفروا؟ قال الله: ﴿يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ ﴾ [سورة البقرة:١٠٢]، فمن علَّم الناس السحر فهو كافر بنص القرآن، وقال الله تعالىٰ: ﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ ﴾ [سورة البقرة:١٠٢] أي الملكان اللذان جعلهما الله فتنة، ﴿ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ [سورة البقرة:١٠٢]؛ لأنه لا يتعلمه أحدٌ إلا بالكفر، وقال الله تعالىٰ: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلْأَخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴾ [سورة البقرة:١٠٢]، اشتراه أي بإسلامه، ليس له في الآخرة نصيب ولا خلاق، ليس له في الآخرة حظ، والذي ليس له

في الآخرة خلاق هو الكافر، قال الله في الآية التي بعدها: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ ۖ لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [سورة البقرة:١٠٣]، فهم كفار ولو أنهم آمنوا واتقوا كان خيراً لهم، وكانت مثوبة الله خيراً لهم، ولكنهم اختاروا الكفر، قال الله سبحانه: ﴿ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [سورة يونس:٧٧]، وقال الله –عز وجل: ﴿ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ ﴾ [سورة طه:٦٩]، ونَفْيُ الفلاح لا يُعلم في كلام الله وكلام رسوله إلا عن الكفار، فلا يُنفَىٰ الفلاح المطلق إلا عن أهل الكفر، والله تعالىٰ نفىٰ الفلاح عن السحرة في كل أحوالهم، ﴿ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ ﴾ [سورة طه:٦٩]، فليس بمفلح أبداً، وهذا دليل كفرهم، فكل هذه الأدلة تدل علىٰ أن السحر كفرٌ وأن الساحر كافر.

ولذا فَحَدُّ الساحر هو القتل، لأنه مفسد في الأرض، والله سبحانه وتعالىٰ يقول: ﴿ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ [سورة يونس:٨١]، فهم مفسدون في الأرض، وقد أمر الله تعالىٰ بقتل المفسدين في الأرض في قوله سبحانه: ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ ﴾ [سورة المائدة:٣٣].

فهؤلاء المفسدون حدُّهم القتل، ولهذا أجمع الصحابة علىٰ قتلهم، فقتَلَهم عمر، وأمر بقتْلِهم، وقُتلوا في عهد عثمان، وقتَلَهم سائر الصحابة، دون أن يدعوهم إلىٰ توبة أو أن يؤخروهم ويمهلوهم، كتَب عمر إلىٰ الأمراء في زمن خلافته: أن اقتلوا كل ساحر وساحرة، ومرَّ جندب رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ علىٰ ساحر يلعب بين يدي بعض الأمراء فقام إليه مباشرة وذبحه، وقال: قولوا له يحيي نفسه، فهذا صنيع الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ في إقامة الحد علىٰ هؤلاء المفسدين.

ولذا يجب علىٰ من ولّاه الله أمر المسلمين، يجب علىٰ حكام المسلمين وقضاة المسلمين ومن له سلطة في بلاد المسلمين أن يحارب هؤلاء وأن يقيم عليهم حد الله -جل وعلا- بقتلهم، فإن فسادهم عظيم؛ لأنهم يؤذون عباد الله، ويفسدون في الأرض، ويفرِّقون بين الإنسان ومن يحب.

وكل ذلك بتقدير الله تعالىٰ كما قال الله: ﴿ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنۡ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ﴾ [سورة البقرة:١٠٢]، ولكن عملهم الفساد وصنيعهم الإفساد، فيجب إقامة حد الله عليهم، وكفُّ شرهم وبأسهم عن المسلمين.

فدلَّ كلام الله علىٰ كفرهم، ودلَّ علىٰ قتلهم، ودلَّ إجماع الصحابة علىٰ قتلهم، وسار علىٰ ذلك عامة العلماء في سائر العصور أن الساحر يقتل، فلا يجوز التهاون بهذا الأمر لما فيه من الفساد ومن الضرر العظيم علىٰ المسلمين.

أقول ما سمعتم، والحمد لله رب العالمين

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيراً.

أيها الناس، وإن مما يجب أن يتنبه له المسلم في هذا الشأن:

أنه لا يجوز أن يأتي هؤلاء السحرة، لا لحلِّ السحر ولا لغرض آخر، فقد أخرج الإمام أحمد (١٤١٣٥)، وأبو داود (٣٨٦٨)، عن جابر بن عبدالله رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ سُئل عن النُّشْرة، فقال: «**هُوَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ**»، والنشرة هي حَلُّ السحر عن المسحور، ومداواته من ذلك.

قال أهل العلم: النُّشْرة نوعان: نُشْرة تكون بحَلِّ السحر بسحر مثله، فيذهب المسحور أو المريض إلىٰ هذا الساحر ليَحُلَّ عنه هذا السحر، فإذا حلَّه عنه بسحر مثله، كان هذا من عمل الشيطان، ولا يكون ذلك إلا بتقرُّب هذا الساحر، وهذا المسحور إلىٰ الشيطان بشيء من العبادات حتىٰ يعينهم علىٰ حل السحر، فهذا لا يجوز فعله ولا إتيان أهله، لأن الإنسان يُعرِّض نفسه بذلك للكفر بالله، ووالله لَأَنْ يعيش مريضًا مسحوراً إلىٰ أن يموت أهون عليه من أن يذهب لحلِّ السحر عند السحرة؛ لأنه وإن عاش مريضًا مسحوراً إلىٰ موته غاية ما في الأمر أنه فاته شيء من الدنيا، ولكن إذا ذهب لحل السحر عند الساحر، وطلب منه تقربًا إلىٰ الشياطين ببعض العبادات، أفسد الدين وخسر الدنيا والآخرة، فربما عبث به الشياطين أكثر، وربما تسلطوا عليه أشدَّ التَّسلُّط، فيرجو شفاءً ونفعًا، فيقع في بلاء أشد؛ لأنه ذَلَّ

للشياطين وتقرب إليهم فتسلطوا عليه، فلا يجوز هذا النوع من النشرة، وهو الذي دل عليه الحديث أنه من عمل الشيطان، وهو الذي كرهه السلف، وقال فيه الحسن البصري: (لا يحل السحر إلا ساحر).

وأما النوع الثاني من النُّشْرة: فهو حَلُّ السحر بالرقىٰ المشروعة، بالتعويذات والأدعية المشروعة، أو بالأدوية المباحة مما عُلم نفعه، إما في الشرع أو التجربة، فهذا من التداوي الجائز، بل هو مشروع أن يتداوىٰ الإنسان بحلِّ ذلك بدعاء الله وبالرقية المشروعة، وفيه نفع عظيم.

فالشاهد من هذا أن المسلم لا يجوز له أن يذهب إلىٰ هؤلاء، ولا أن يطيعهم فيما يريدون، فكم من إنسان ذهب إليهم يريد منهم إعانته علىٰ حَلِّ سحره الذي فيه، فنزل به بلاء أشد، فتسلطوا عليه وعبثوا به وأكلوا أمواله وجعلوه يعيش في أوهام، فهو ينتظر من هؤلاء السحرة نفعًا، فصار فيه غاية الضرر عليه. لأن السحرة لا يمكن أن يكونوا أهل نفع للناس؛ فإنهم أهل شر وفساد.

ويجب علىٰ المسلم أن يتحصن بذكر الله ودعائه وبالأوراد الشرعية المُرتَّبة في اليوم والليلة، سواء كان من أذكار الصباح والمساء، أو أذكار النوم والاستيقاظ، أو أذكار الدخول والخروج، أو غيرها من الأذكار المشروعة للمسلم، التي يكون فيها حفظ للإنسان بإذن الله تعالىٰ من كل الشرور.

فيا عباد الله، هذا الأمر المحرم ينافي توحيد الله تعالىٰ منافاة كلية، فيجب الحذر والتحذير منه ومن أهله، ويجب محاربة ذلك، كلٌّ بما أقدره الله سبحانه وتعالىٰ عليه.

نسأل الله -جل وعلا- أن يعيننا علىٰ ذكره وشكره وحسن عبادته.

اللهم إنا نسألك الهدىٰ والتقىٰ والعفاف والغنىٰ.

اللهم آتِ نفوسنا تقواها، وزكِّها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها.

اللهم اغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، اللهم أعز الإسلام والمسلمين.

اللهم أذل الكفر والكافرين.

اللهم عليك باليهود والنصارىٰ ومن أعانهم علىٰ المسلمين.

اللهم عليك باليهود والنصارىٰ والرافضة الزنادقة المعتدين. اللهم عليك بهم يا قوي يا متين.

اللهم أنجِ المستضعفين من المسلمين في فلسطين. اللهم أنجِ المستضعفين من المسلمين في فلسطين. اللهم أنجِ المستضعفين من المسلمين في كل مكان.

اللهم فرج عنهم ما نزل بهم يا أرحم الراحمين.

اللهم اجعل لهم من كل هم فرجًا، ومن كل ضيق مخرجًا، ومن كل عسر يسراً، ومن كل بلاء عافية.

ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين.

والحمد لله رب العالمين.

٢٣/ جمادىٰ الأولىٰ/ ١٤٤٥هجرية

أمور تنافي التوحيد٧

ادعاء علم الغيب [الكهانة والتنجيم ونحوها]

إن الحمد لله، نحمده تعالىٰ ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

اعلموا أن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس، إن من الأمور التي تنافي توحيد الله سبحانه وتعالىٰ ادِّعاءُ عِلْم الغيب بأي طريق كان، فإن علْم الغيب -سواء كان الغيب الذي مضىٰ، أو الغيب الذي سيأتي في المستقبل- لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالىٰ، فلا يعلم الغيب إلا الله، قال الله سبحانه: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ﴾ [سورة الأنعام:٥٩]، ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ٦٥﴾ [سورة النمل:٦٥]، وأمر الله نبيه عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أن يقول للناس: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ﴾ [سورة الأعراف:١٨٨]، فلا يعلم الغيب إلا الله سبحانه وتعالىٰ، ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ﴾ [سورة الأنعام:٥٠]، ولذا لما قالت جارية كما في صحيح البخاري(٤٠٠١): وَفِينَا نَبِيٌّ يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ، نهاها النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، قال: «**لَا تَقُولِي هَكَذَا، وَقُولِي مَا كُنْتِ تَقُولِينَ**».

فالله سبحانه وتعالىٰ هو المنفرد بعلم الغيب، ولذا لما قصَّ الله تعالىٰ علىٰ نبيه قصص الأنبياء السابقين، قال: ﴿تِلۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهَآ إِلَيۡكَۖ مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوۡمُكَ مِن قَبۡلِ هَٰذَاۖ﴾ [سورة هود:٤٩]، فلا يعلم الغيب أحدٌ إلا الله سبحانه وتعالىٰ، فمن ادَّعىٰ علم شيء من الغيب فقد ادعىٰ لنفسه ما لا يكون إلا لله سبحانه وتعالىٰ، وممن يدَّعِي علم الغيب:

الكُهَّان والعَرَّافون والمُنَجِّمون الذين يدَّعون علم الغيب ببعض الطرق، سواء كانوا يدَّعون علم الغيب الذي مضىٰ مما ليس في كتاب ولا سنة، أو يدَّعون علم الغيب في الأمور المستقبلة التي ستأتي، فيتكهَّنون ويخبرون بالأخبار الغيبية مُتَخَرِّصين بذلك ومُدَّعِين ما ليس لهم، كلُّ هذا مما ينافي توحيد الله سبحانه وتعالىٰ، وقد كان هذا الصنف كثيراً في الجاهلية قبل بعثة الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وكان العرب لهم في كل قبيلة وفي كل حي بعض الكهان يسألونهم ويستخبرونهم عن أمور الغيب، حتىٰ بُعث النبيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ففُضِح أولئك الكهان ومُنعوا ما كانوا يسترِقون من السمع من السماء، فقد كان للكهان شياطين تقعد من السماء مقاعد، وتسترق السمع فإذا سمعت الأمر الذي يُقضىٰ به في السماء، لأن الله تعالىٰ إذا تكلم بالوحي تناقله الملائكة بينهم في السماوات، قال الله: كذا وكذا، حتىٰ يصل إلىٰ السماء الدنيا، فيسمع هؤلاء الشياطين تلك الأمور الغيبية التي قضاها الله في السماء فينقلونها إلىٰ الكهان، والكهان يخبرون بها الناس قبل أن تقع، فكانوا يصدِّقونهم، ولذا جاء في الصحيحين عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئل عن الكهان سأله أناس عن الكهان، فقال: «**لَيْسُوا بِشَيْءٍ**»، أي لا يعلمون شيئًا ولا يستطيعون فِعْلَ شيء، قيل: يا رسول الله فَإِنَّهُمْ يُحَدِّثُونَ أَحْيَانًا بالشَّيْءِ فيَكُونُ حَقًّا. قال: «**تِلْكَ الْكَلِمَةُ مِنَ الْحَقِّ يَخْطَفُهَا الْجِنِّيُّ، فَيُقَرْقِرُهَا فِي أُذُنِ وَلِيِّهِ كَقَرْقَرَةِ الدَّجَاجَةِ، فَيَخْلِطُونَ فِيهِ أَكْثَرَ مِنْ مِائَةِ كَذْبَةٍ**»[(١)].

---

(١) البخاري (٧٥٦١)، ومسلم (٢٢٢٨ -١٢٣-).

فيصدقهم الناس بتلك كلمة من الحق التي سُمعت من السماء، فلما بُعث الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُرسلت عليهم الشهب، وأحرقوا بالنجوم، أي هؤلاء الشياطين الذين كانوا يسترقون السمع لئلا يكذبوا في وحي الله، قال الله سبحانه عن الجن أنهم قالوا: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا﴾ [سورة الجن:٩] أي من السماء ﴿مَقَـٰعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾﴾ [سورة الجن:٩]، وقالوا قبلها: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَـٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾﴾ [سورة الجن:٨]، رُجِموا بتلك النجوم كما قال الله -عز وجل-: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَـٰنٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾﴾ [سورة الصافات:٦-١٠]، فرُموا بالنجوم وأُحرقوا بالشهب بعد بعثة الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وقلَّ شرهم وذهب كثير مما كانوا يسترقون من السمع ببعثة الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ولذا خافت الجن من بعثة الرسول كما في صحيح البخاري (٧٧٤) ومسلم (٤٤٩ -١٤٩-)، عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أنهم حِيْلَ بينهم وبين خبر السماء فرجعوا إلىٰ قومهم قالوا: إنه قد حِيلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ وَأُرْسِلَتْ عَلَيْنَا الشُّهُبُ، فقال لهم قومهم: ما هذا إلا لأمر حصل، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها فانظروا ما هذا الأمر الذي حال بينكم وبين خبر السماء؟ فانطلقوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها، فمرَّت طائفة منهم بالنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وهو يصلي بأصحابه الفجر بنخلة -أي في موضع يقال له نخلة-، فقالوا حين سمعوا القرآن: هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء.

وفزعت الجن من بعثة الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ حين حِيْلَ بينهم وبين ذلك، جاء في صحيح البخاري (٣٨٦٦) أن عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال لرجل كان كاهنَ قومِه في الجاهلية: مَا أَعْجَبُ مَا جَاءَتْكَ بِهِ جِنِّيَّتُكَ؟ قال بينما أنا يوماً في السوق إذ جاءتني أعرف فيها الفزع -مذعورة فزعة خائفة- تقول: أَلَمْ تَرَ الجِنَّ وَإِبْلاَسَهَا؟ وَيَأْسَهَا مِنْ بَعْدِ إِنْكَاسِهَا، وَلُحُوقَهَا بِالقِلاَصِ، وَأَحْلاَسِهَا.قال وما ذاك؟ قالت: رجل يقول: **لا إله إلا الله**... إلىٰ آخر الحديث. قال عمر فما لبثنا أن بُعث النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

فكان الكهان متسلطين علىٰ الناس، وكان الناس يصدقونهم فيما يدَّعون من علم الغيب، فلما بُعث الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أُرسلت عليهم الشُّهُب، ولكن قد يخطفون الخطفة، وقد يسمعون الكلمة ويُضحُّون بأنفسهم ويعرِّضونها للهلاك؛ لأجل أن يسرقوا كلمة من علم الغيب.

فيتراصُّون بعضهم فوق بعض من الأرض إلىٰ السماء، ويتسمَّعون ما يتكلم به الملائكة مما قضاه الله من أمر الغيب، فيخطف الذي يلي السماء كلمةً مما قُضِي في السماء، قال النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: « **فَرُبَّمَا أَدْرَكَ الشِّهَابُ قَبْلَ أَنْ يُلْقِيَهَا، وَرُبَّمَا أَلْقَاهَا قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَهُ**»[(١)]، أي يلقيها إلىٰ الجني الذي تحته، ويلقيها هذا الذي أخذها إلىٰ من تحته حتىٰ تصل إلىٰ الكاهن، فلذا قد يُخبِر الكاهن أحياناً بشيء من علم الغيب ويكون كما أخبر به، ولكنه قد خلط معه كذباً كثيراً، فيغترُّ الناس ويصدقونه بكلمة

(١) رواه البخاري(٤٨٠٠).

سمعتها الجن من خبر الغيب من السماء، فالكهانة إذن من ادعاء علم الغيب الذي هو كفر بالله سبحانه وتعالىٰ.

ومن الكهانة: علم التنجيم الذي فيه ادِّعاء لعلم الغيب، فقد جاء عند أحمد (٢٨٤٠) وأبي داود (٣٩٠٥) عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَنِ اقْتَبَسَ عِلْمًا مِنَ النُّجُومِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السِّحْرِ زَادَ مَا زَادَ**». قال أهل العلم: كلما زاد في تَعَلُّم علم النجوم كلما زاد توسُّعه في هذا الأمر من السحر والكهانة، وأيضا كلما زاد تعلمه لعلم النجوم كلما زاد إثمه وكفره بالله تعالىٰ.

قال أهل العلم: وعلم النجوم نوعان: علم يسمىٰ بـ:

علم التسيير، وهذا يكون بمعرفة أمكنة بعض النجوم، أو أزمنة ظهورها وغيابها، فيعرف الناس بذلك المواقيت من فصول السنة ونحوها، ويعرفون به جهة القبلة، وهكذا المسافرون في البحار وفي الصحراء يهتدون بهذه النجوم ويعرفون بها الجهات، فهذا العلم مما أباحه الله تعالىٰ، وذهب إلىٰ إباحته أكثر السلف، قال الله تعالىٰ: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ١٦﴾ [سورة النحل:١٦]، أي يعلمون أن هذا النجم يكون جهة القبلة فيعرفون جهة القبلة ويهتدون به إليها، هكذا يعرفون أن هذا النجم يكون جهة كذا وكذا من الأمكنة فيعرفون الطُّرُق بواسطة ذلك، فتعلُّم هذا العلم من العلم الجائز الذي يحتاجه الناس في مواقيتهم وفي سفرهم وفي كثير من شأنهم، وليس هذا هو المراد بالحديث.

والعلم الثاني ما يسمىٰ بـ:

علم التأثير، وهو أن يربط الأحوال الفلكية من حركات النجوم وسقوطها وظهورها ومغيبها بالحوادث الأرضية التي تقع في الأرض، فإذا تحرك نجم جهة مكان معين أو طلع نجم أو سقط نجم قالوا: سيكون كذا وكذا من الأمور، سيموت فلان، أو سيولد رجل عظيم، أو ستحصل كوارث للناس، أو يحصل كذا وكذا، فهذا من ادعاء علم الغيب وهو كفر بالله تعالىٰ، وهو ما كان عليه أهل الجاهلية ونهاهم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عنه، ففي صحيح مسلم (٢٢٢٩ -١٢٤-) عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أن ناسًا من الصحابة كانوا مع النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ليلةً فرُمي بنجم فاستنار، فقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَاذَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، إِذَا رُمِيَ بِمِثْلِ هَذَا؟**»، قالوا: كُنَّا نَقُولُ وُلِدَ اللَّيْلَةَ رَجُلٌ عَظِيمٌ، وَمَاتَ رَجُلٌ عَظِيمٌ. فقال النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**فَإِنَّهَا لَا يُرْمَىٰ بِهَا لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ**». ثم ذكر الحديث وبيَّن أنه إنما يرمىٰ بها قذفًا للشياطين الذين يسترقون السمع.

فربطُ حوادث الأرض بأحوال الفلك من ادِّعاء الغيب ومن التَّخَرُّص علىٰ الله تعالىٰ في شيء هو من خصائصه، ولا يعلمه إلا هو، وكم يحصل هذا في الناس، يربطون حوادث الأرض وما يحصل فيها من موت أو حياة، وسعادة أو شقاوة، وعافية وسلامة أو بلاء وكوارث، يربطونها بحركات النجوم وسيرها ومنازلها، وكل ذلك من السحر والكهانة المحرمة التي نهىٰ عنها النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

جاء في صحيح البخاري معلقاً(١) ووصله الطبري(٢) وغيره بسند صحيح عن قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ -وهو من أئمة التابعين- أنه قال: (خَلَقَ اللهُ هَذِهِ النُّجُومَ لِثَلَاثٍ؛ جَعَلَهَا زِينَةً لِلسَّمَاءِ، وَرُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ، وَعَلَامَاتٍ يُهْتَدَىٰ بِهَا).

فالله خلق هذه النجوم لثلاث، وهذه الثلاث دلَّ عليها القرآن، فقوله: (زينة للسماء) أي تُزيَّن بها السماء، قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾ [سورة الملك:٥]، فزيَّن الله السماء بهذه المصابيح، ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ۝٦﴾ [سورة الصافات:٦]، وقوله: (ورجوما للشياطين)، قال الله: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ [سورة الملك:٥]، وقال الله: ﴿وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ۝٧ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ۝٨ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ۝٩﴾ [سورة الصافات:٧-٩]، وقوله في الثالثة: (وعلامات يهتدىٰ بها)، قال الله: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ۝١٦﴾ [سورة النحل:١٦].

قال قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فَمَنْ تَأَوَّلَ فِيهَا بِغَيْرِ ذَلِكَ أَخْطَأَ وَأَضَاعَ نَصِيبَهُ، وَتَكَلَّفَ مَا لَا عِلْمَ لَهُ بِهِ). أي من ادَّعىٰ في النجوم شيئاً غير هذه الثلاث فقد أخطأ في فعله، وأضاع نصيبه أي أضاع حظه، وقد يكون أضاع حظه من الإسلام، وكفر بالله إذا ادَّعىٰ في ذلك شيئاً من علم الغيب وتكلم بما لا علم له به.

(١) ذكره البخاري في صحيحه كتاب بدء الخلق الباب الثالث.

(٢) (١٨٥/١٧) ت.شاكر.

وعند عبد الرزاق في مصنفه (١٩٨٠٥) بسند صحيح عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في قوم يكتبون أبا جاد -أبا جاد للحروف الأبجدية أبجد هوز إلىٰ آخره وهذا من شأن السحرة يستعملونها في ادِّعاء علم الغيب- فقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في قوم يكتبون أبا جاد وينظرون في النجوم: (ما أرىٰ لمن فعل ذلك عند الله من خلاق). والخلاق هو النصيب أي لا أرىٰ له عند الله نصيباً، أي أنه كَفَرَ بالله وصار من أهل النار حين ادَّعىٰ بكتابة هذه الأحرف والنظر في النجوم شيئًا من علوم الغيب.

فالتنجيم الذي هو علم التأثير وربط حوادث الأرض بأحوال السماء، من الكهانة التي هي ادعاء لعلم الغيب الذي لا يكون إلا لله.

ومن التنجيم ما يسميه الناس اليوم: بالأبراج أو بالنجوم: فيقول نجمك كذا وكذا ستكون سعيداً، نجمك كذا وكذا ستكون غنيـًا، أو أنت مولود في برج كذا وكذا ستكون ذا مال كثير، أو تكون فقيراً، هذا من ادعاء علم الغيب ومن الكهانة التي هي كفر بالله سبحانه وتعالىٰ. وهذا منتشر بين كثير من المسلمين، إما عبر بعض البرامج في الجوالات، فبعض البرامج في الجوالات التي هي في حساب العُمُر يأتي الإنسان إلىٰ حساب عمره، أو تحويل التاريخ الميلادي إلىٰ الهجري، وفي هذه البرامج نظام الأبراج، يأتي فيها أنت مولود في برج كذا أو في نجم كذا فأنت من أهل السعادة أو أهل الشقاوة أو أهل الغنىٰ أو الفقر، **فلا يجوز** تصديق ذلك، **ولا يجوز** النظر فيه، **ولا يجوز** ترويجه بين الناس أو اعتقاد صدقه. فكل هذا من الكهانة المذمومة التي هي ادعاء لعلم الغيب.

نسأل الله تعالىٰ أن يعصمنا وإياكم من الزلل.

والحمد لله رب العالمين.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيراً.

أيها الناس، إذا عرفنا ذلك وأن الكهانة والتنجيم وما يلحق بذلك هو مما ينافي توحيد الله تعالىٰ فعلىٰ المسلم أن يعلم أنه:

يَحرُم عليه إتيان الكُهَّان أو تصديقهم والاغترار بهم، فقد حذَّرنا نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من ذلك، وأخبرنا أن هذا من أمر الجاهلية، فهم الذين يُصدِّقون هذه الأوهام وهذه الخزعبلات التي هي تكذيب لكثير من الآيات التي فيها أنه لا يعلم الغيب إلا الله سبحانه وتعالىٰ، ولذا جاء في صحيح مسلم (٥٣٧ -٣٣-) عن معاوية بن الحكم السلمي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنه أتىٰ النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فقال: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي حَدِيثُ عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ، وَقَدْ جَاءَ اللهُ بِالْإِسْلَامِ، وَإِنَّ مِنَّا رِجَالًا يَأْتُونَ الْكُهَّانَ؟ -أي فهل يجوز أن نأتيهم؟- فقال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**لَا تَأْتِهِمْ**». أي لا يحلُّ لك أن تأتي الكهان، ولا أن تُسائلهم عن أمر من أمورك.

ولذا دلت الأدلة علىٰ أن من يأتيهم علىٰ خطر عظيم، ويختلف حال ذلك باختلاف ما يكون في قلبه:

فمن أتاهم مصدِّقًا لهم فيما يقولون، يأتيهم يسألهم في أشياء ويصدقهم فيما يقولون من ادعاء علم الغيب؛ فهذا كفرٌ بالله تعالىٰ، ولو لم يكن هو الذي يدعي علم الغيب؛ ولكنه صدق من يدَّعيه واعتقد فيهم أنهم يعلمون الغيب، فإن هذا يكون قد

كذّب بكلام الله الذي فيه أنه لا يعلم الغيب إلا الله، وبالتالي يكون كفر بالله تعالىٰ، ولذا قال النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كما عند البزار (٩٥٠٢) عن جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا وعند أبي داود (٣٩٠٤) والحاكم (١٥) عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَنْ أَتَىٰ كَاهِنًا فسأله فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ؛ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ**». من أتىٰ كاهنًا، وفي رواية: «**أو عرَّافًا**»، ومعناهما متقارب، فسأله عن شيء فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل علىٰ محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وإن أتاه يسأله في شيء ولا يصدقه، أي لا يعتقد صدقه فيما ادعىٰ من علم الغيب ولكنه يسأله، أو يريد أن يجرِّب ذلك وهل حقا هذا يعلم الغيب؛ فإنه يكون قد أتىٰ كبيرة من الكبائر، وعاقبه الله بأن لا يقبل صلاته أربعين ليلة، ففي صحيح مسلم (٢٢٣٠ -١٢٥-) عن بعض أزواج النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَنْ أَتَىٰ عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ؛ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً**». وهذا في حق من لم يصدقه فيما ادعاه من علم الغيب، تكون عقوبته ألا تُقبل له صلاة أربعين ليلة.

ومن هذا الباب دخول المواقع التي تدَّعي ذلك، فلا يجوز للمسلم أن يدخلها أو أن يبحث فيها أو أن يُسائل أهلها، **وهكذا لا يجوز له شراء الصحف التي تنشر ذلك** وتروِّجُه، فإذا كان سؤال الكهان عقوبته ألا يقبل لصاحبه صلاة أربعين ليلة وإن لم يصدقهم، فكيف بمن يسائلهم أو يدخل في مواقعهم أو يتصفح فيها مسترشدا بها فلا شكَّ أن ذلك أعظم.

وأما من أتىٰ كاهنًا ليفضحه، كرجل من أهل العلم ممن يثق بعلمه ويعلم تمكُّنه فيه، ويرىٰ كاهنًا قد كذب علىٰ الناس ولبَّس عليهم في ادعاء علم الغيب، فيأتيه لقصد فضيحته وهتك أمره؛ فإن هذا مشروع له، بل قد يجب ذلك إذا كان فيه مصلحة، كما فعل النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ حين أتىٰ ابن صياد الذي كان كاهنًا في المدينة، أتاه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وجعل يترصد له ويتسمَّع قوله؛ يريد أنه يُفصِح عن شيء مما يقول، وخبَّأ له خبيئًا فقال له النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**إِنِّي قَدْ خَبَأْتُ لَكَ خَبِيئًا**» فما هو؟ قال: الدُّخُّ. ولم يستطع تكميله، قال: «**اخْسَأْ، فَلَنْ تَعْدُوَ قَدْرَكَ**». كما في الصحيحين عن ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا [(١)].

فإتيانهم لفضيحتهم وتحذير الناس منهم وكشف حقيقتهم ممن يثق بنفسه في ذلك ويعلم مصلحة راجحة فيه أمر مشروع، فعلَه الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وأما إتيانهم لمُساءلتهم ولاستخبارهم فإن هذا من المحرمات.

كان كثير من الناس إذا ضاع عليه شيء ذهب عند الكاهن يسأله، وإذا سُرق عليه شيء يذهب إلىٰ الكاهن يسأله من الذي سرق؟ من الذي أخذ هذا الشيء؟ أين هذا الشيء الذي ضاع عني؟ فيلعب هذا الكاهن بعقله ويعبث به ويوهمه في ذلك بما لا حقيقة له، فيخسر دينه لأنه إذا أتاه مصدِّقًا له كفر بآيات الله سبحانه وتعالىٰ وكان

(١) البخاري(١٣٥٤)، ومسلم(٢٩٣٠ -٩٥-).

مكذِّبا بها، فلا يجوز للمسلم أن يُقدِم علىٰ ذلك، بل الواجب البعد عن ذلك كله بأي طريق كان ادعاء علم الغيب.

نسأل الله –جل وعلا– بأسمائه الحسنىٰ وصفاته العلا أن يعيننا علىٰ ذكره وشكره وحسن عبادته.

اللهم إنا نسألك الهدىٰ والتقىٰ والعفاف والغنىٰ.

اللهم آت نفوسنا تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها.

اللهم إنا نسألك الهدىٰ والتقىٰ والعفاف والغنىٰ.

اللهم اغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، اللهم أذل الكفر والكافرين.

اللهم أنجِ المستضعفين من المسلمين في كل مكان، اللهم أنجِ المستضعفين من المسلمين في فلسطين.

اللهم عليك باليهود والنصارىٰ وأعوانهم من الرافضة المعتدين، اللهم عليك بهم يا قوي يا متين، اللهم كُف شرهم وبأسهم عن الإسلام والمسلمين.

ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين.

والحمد لله رب العالمين

٢/ جمادىٰ الآخرة/ ١٤٤٥هجرية

أمور تنافي التوحيد٨

تعليق التمائم والحروز

إن الحمد لله، نحمده تعالىٰ ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

اعلموا أن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس، كان مما مضىٰ الحديث عنه ذكرُ بعض الأمور التي تنافي توحيد الله سبحانه وتعالىٰ، ألا وإن من الأمور التي تنافي توحيد الله سبحانه وتعالىٰ:

تعليق التمائم والحروز لجلب النفع أو لدفع الضرر، وهذا الأمر مما كان عليه أهل الجاهلية، فكانوا يعلِّقون هذه الأشياء ويتعلقون بها ويعتقدون فيها دفع الضرر وجلْب النفع، فجاء الإسلام ونهىٰ عنها.

والتمائم كما قال أهل العلم: هي ما يُعلَّق علىٰ الأبدان لدفع الضرر أو جلْب النفع، سواء عُلِّقَ علىٰ أبدان الصغار -وهو الغالب في فعل الناس- أو أبدان الكبار، وسواء عُلِّق بأعناقهم أو بأيديهم أو بخواصرهم أو في أي موضع من أجسادهم، وسواء كان من خرز أو عظام أو حِلَق حديد أو كان من أوراق فيها كتابات، كلُّ هذا من التمائم.

وهكذا يدخل فيه ما عُلِّق علىٰ بني آدم أو علىٰ البهائم، ويدخل فيه أيضًا ما يجعله بعض الناس علىٰ بيوتهم أو سياراتهم، فترىٰ الشخص يعلِّق شيئًا في بيته، أو يُلصِق شيئًا في سيارته؛ يريد بذلك كلَّه دفع العين أو دفع شر الشياطين أو جلب النفع ونحو ذلك من الأمور التي يريدها من يعلق ذلك، فكلُّ هذه من التمائم التي نهىٰ عنها النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وأبطلها الإسلام، بعد أن كان أهل الجاهلية يعلِّقون قلوبهم بها، فعلقوها علىٰ أبدانهم وعلقوا بها قلوبهم، فاعتقدوا أن هذه التمائم تدفع عنهم الشر، اعتقدوا أنها تدفع عنهم عين العائن، وحسد الحاسد، اعتقدوا أنها تدفع عنهم شر الشياطين وأذيتهم، أو شر السحرة وعداوتهم.

فجاء النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ونهىٰ عن ذلك وبيَّن أن هذا الأمر ينافي توحيد الله تعالىٰ؛ لأن جلب النفع ودفع الضرر بيد الله سبحانه وتعالىٰ، وليس لهذه التمائم أو الحروز.

وتسمىٰ بالتمائم لأنهم كانوا يعتقدون أن بها تمام الأمور، فيعتقدون أن بها تمام الشفاء، وبها تمام النفع، وبها يتم دفع الضرر، فسمَّوها تميمة لأجل ذلك، وسموها حرزاً لأنهم يعتقدون أنها تُحرِّز صاحبها من الشر، أي تمنعه وتحميه من أن يصيبه شر.

جاء في مسند الإمام أحمد (٣٦١٥)، وسنن أبي داود (٣٨٨٣)، أن عبدالله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ رأىٰ خيطًا معلَّقًا علىٰ امرأته زينب الثقفية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، فقال: ما هذا؟ قالت: خَيْطٌ أُرْقِيَ لِي فِيهِ، فقطعه عبدالله بن مسعود، وقال: إِنَّ آلَ عَبْدِ اللهِ لَأَغْنِيَاءُ عَنِ الشِّرْكِ. ثم قال: سمعت النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**إِنَّ الرُّقَىٰ، وَالتَّمَائِمَ، وَالتِّوَلَةَ شِرْكٌ**». أي الرقىٰ الشركية التي فيها دعاءٌ لغير الله ونحو ذلك، والتمائم أي هذه التي تُعلَّق علىٰ الأبدان، والتولة شرك، والتولة هو شيء كان العرب يزعمون أنه يجلب المحبة بين الزوجين، شيء يعلقونه زاعمين أنه سبب في جلب المحبة من الرجل لزوجته ومن الزوجة لزوجها، فنهىٰ عنه الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأخبر أنه من الشرك: (إن الرقىٰ والتمائم والتولة شرك).

وجاء في مسند الإمام أحمد (١٧٤٢٢)، ومستدرك الحاكم (٧٥١٣) عن عقبة بن عامر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رهطًا -عشرة نفر- أتوا النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليبايعوه علىٰ الإسلام، فبايع تسعةً وترك العاشر لم يبايعه، فقالوا: يا رسول الله بايعت تسعة وتركت العاشر؟

قال: «إِنَّ عَلَيْهِ تَمِيمَةً». قال فأدخل يده فقطعها، فبايعه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم قال: «مَنْ عَلَّقَ تَمِيمَةً فَقَدْ أَشْرَكَ».

قال أهل العلم: إذا علَّقها واعتقد أنها هي التي تدفع الشر عنه وتجلب له النفع فقد أشرك شركًا أكبر؛ لأن جلب النفع ودفع الضرر هو لله سبحانه، ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [سورة الزمر:٣٨]، فلا يجلب النفع ويدفع الضرر إلا الله سبحانه وتعالىٰ، فإن علَّق الإنسان هذه التميمة أو هذا الحرز، واعتقد أنه يحصل له بهذه التميمة دفع الشر دفع الضرر دفع العيون دفع الشياطين؛ فقد أشرك بالله تعالىٰ شركًا أكبر حيث اعتقد مشاركًا مع الله تعالىٰ في جلب النفع ودفع الضرر الذي لا يكون إلا لله.

وإن اعتقد فيها أنها سبب، قال: إن جلب النفع ودفع الضرر من الله سبحانه ولكن هذه سبب لجلب النفع ودفع الشرور، قال أهل العلم: فهذا من الشرك الأصغر، أولاً: لأنه ذريعة إلىٰ الشرك الأكبر، فقد يتتابع الناس علىٰ تعليقها باعتبار أنها أسباب ثم يعتقدون فيها جلب النفع ودفع الضرر، وقد عدَّ كثيرٌ من أهل العلم الوسائل التي تُؤدي إلىٰ الشرك الأكبر من الشرك الأصغر، ثانيا: لأنه جعلها سببا وتسبيب الأسباب هو لله سبحانه، فما جعله الله سببًا، أو ثبت في الواقع أنه سبب كان سببًا وإلا فلا، وهذه التميمة ليست سببًا في دفع الشرور أو جلب النفع، فمن اعتقد أنها سبب ولو

كان يعتقد أن النفع والضرر من الله فهذا أشرك شركًا أصغر؛ لأنه جعل شيئا شببا والله لم يجعله سببا، والشرك الأصغر من أعظم الذنوب.

عباد الله، هذا الأمر وللأسف موجود في كثير من المسلمين، كم تجد من الجهلة في كثير من البلدان؟ من يعلِّق هذه التمائم والحروز، فتراهم أول ما يولد الصبي يجعلون علىٰ عضده أو في خاصرته تميمة، وهكذا تراه حتىٰ في الكبار في كثير من بلاد المسلمين، وهو من الشرك الذي حذر منه نبينا عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وتبرأ ممن فعله، فقد جاء في حديث رويفع بن ثابت الأنصاري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ عند أحمد (١٦٩٩٥)، وأبي داود (٣٦) أن النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ قال: «**يَا رُوَيْفِعُ، لَعَلَّ الْحَيَاةَ سَتَطُولُ بِكَ بَعْدِي، فَأَخْبِرِ النَّاسَ أَنَّهُ مَنْ عَقَدَ لِحْيَتَهُ، أَوْ تَقَلَّدَ وَتَرًا، أَوِ اسْتَنْجَىٰ بِرَجِيعِ دَابَّةٍ أَوْ عَظْمٍ؛ فَإِنَّ مُحَمَّدًا** صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ **مِنْهُ بَرِيءٌ**». فمن فعل هذه الأمور ومنها: (تقلَّد وترًا) أي علقه في عنقه وجعله قلادة يتخذه تميمة، فقد تبرأ منه نبينا محمدٌ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ.

هكذا أنكر النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ذلك وأخبر أن من فعل ذلك وَكَلَهُ الله إلىٰ ذلك الشيء الذي فعله، جاء عند الترمذي (٢٠٧٢)، وأحمد (١٨٧٨١)، عن عبدالله بن عُكَيْم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ وهو حديث حسن بشاهده أن النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وُكِلَ إِلَيْهِ**». انظر كيف يخذله الله تعالىٰ فيَكِلُهُ إلىٰ الشيء الذي علَّقه علىٰ جسده، بخلاف المؤمن الموحِّد لا يكله الله تعالىٰ إلىٰ شيء، بل الله تعالىٰ هو الذي يحفظه، وهو الذي يدفع عنه الشرور ويدبر له الأمور، وأما من تعلق شيئًا من هذه التمائم فإن الله يَكِلُهُ إلىٰ ذلك الشيء، وإذا وكله الله إلىٰ ذلك الشيء فقد خسر، فماذا تغني عنه

هذه التميمة؟ وماذا تنفعه إذا وكله الله إليها؟ فاختر لنفسك أيها المعلِّق للتمائم: أتريد حفظ الله وحمايته؟ وذلك بالتوكل علىٰ الله والاعتماد عليه. أو تريد أن يكلك الله ويَرُدَّ أمرك إلىٰ شيء تعلقه من الخرق أو الورق أو الحديد؟ فماذا يغني عنك ذلك؟.

والسلف رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أنكروا ذلك ممن فعله، جاء عند ابن أبي شيبة (٢٣٤٦٣)، وغيره بسند صحيح عن حذيفة بن اليمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه دخل علىٰ رجل يعوده فوجد في عضده خيطًا. قال: ما هذا الخيط؟ قال: هذا خيط رُقي لي فيه -أي جعل لي بعض الناس فيه رقية-. قال: فقطعه حذيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وقال: لو مِتَّ ما صليت عليك. أي لو مِت وأنت معلق لهذا الخيط ما صليت عليك، فأنكر حذيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ علىٰ ذلك الرجل صنيعة وتعليقه لتلك التميمة، وأخبره أنه لو مات ما صلىٰ عليه عقوبةً له علىٰ فعله ذلك الذي قد يكون شركًا أكبر.

فهذا الأمر -عباد الله- مما نهانا عنه نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وأبطل ما كان يعتقده أهل الجاهلية فيه، وأخبر أن ذلك من الشرك، فيجب علىٰ المسلم أن يجتنب ذلك وأن يبتعد عنه.

أقول ما سمعتم، والحمد لله رب العالمين.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيراً.

أيها الناس، ذكر العلماء أن التميمة التي يعلِّقها الناس نوعان:

تميمة فيها كتابات من الطلاسم والشعوذات، مما يكتبه السحرة أو من يستخدم الجن، كما يوجد في كثير من التمائم رموز وكتابات غير مفهومة؛ فهذه من الشرك بالله سبحانه وتعالىٰ، ولا خلاف بين العلماء أنه لا يجوز تعليق هذه التميمة؛ لأنه قد يكون فيها دعاء للشياطين وقد يكون فيها استغاثة بهم، برموز وطلاسم تُعبِّر عن دعاء غير الله -جل وعلا-، فكانت من الشرك بالله الذي لا يجوز تعليقه ولبسُه، ولا خلاف في ذلك بين أهل العلم.

والنوع الثاني من التمائم:

تميمة تُكتب من القرآن، يُكتب فيها آيات من كلام الله -جل وعلا-، أو يُجعل فيها بعض السور من القرآن ثم تجعل في ظرف أو جلد أو خرقة وتعلق علىٰ البدن، فهذه قد نهىٰ عنها أكثر السلف وأنكروا فعلها، كعبدالله بن مسعود وعبدالله بن عباس وحذيفة وغيرهم من الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، وما ذاك إلا لأن نهي النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عن التمائم كان علىٰ وجه العموم، فكل تميمة منهي عنها حتىٰ لو كانت من القرآن، فالقرآن نزل لتلاوته وللعمل به، وكذلك نزل للاستشفاء به علىٰ الوجه المشروع كالرقية المشروعة، ولم ينزل لتعليقه علىٰ الأبدان أو تعليقه في البيوت أو نحو ذلك.

أيضـًا قال العلماء: يحصل في ذلك امتهان للقرآن، فربما نام وهي عليه فينام عليها، وربما دخل فيها الخلاء، وربما عُلِّقت علىٰ بعض الصبيان فوقعت النجاسة عليها من بوله وبرازه، وهذا امتهان لكلام الله.

هكذا أيضـًا نهىٰ عنها السلف لسَدِّ ذريعة الشرك، فالجاهل إذا رأىٰ صاحب العلم قد علَّق تميمة من القرآن لا يُفرِّق ويظن أن الجميع جائز، فيذهب يعلق تميمة من غير القرآن مما فيه شرك بالله سبحانه وتعالىٰ.

وهكذا فإن نبينا عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ نهىٰ عن التمائم مطلقـًا، ولم يبيِّن أن هناك نوعـًا يجوز لبسه واستعماله، ولو كان منها شيء يجوز لبيَّنه النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فإنه لما نهىٰ عن الرُّقىٰ الشركية بيَّن عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ الرقىٰ الجائزة، ولكنه لما نهىٰ عن التمائم لم يبين شيئًا يجوز من التمائم، فلذا نهىٰ عنها أكثر السلف، ورأوها داخلة في التميمة التي نهىٰ عنها النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

فلا يجوز للإنسان أن يعلق تميمة من الرموز والطلاسم، ولا يجوز أن يعلق تميمة فيها كتابات من القرآن، وليس هذا بطريق شرعي في الاستشفاء بالقرآن، فالاستشفاء بالقرآن يكون بتلاوته، وبالرقية المباشرة به، ونحو ذلك، وأما تعليقه فليس هذا من سبيل الاستشفاء الشرعي بكلام الله سبحانه وتعالىٰ.

عباد الله، وكما يَحرُم تعليق التمائم علىٰ بني آدم، كذلك يحرم علىٰ غيرهم، جاء في الصحيحين عن أبي بشير الأنصاري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ أنهم كانوا مع النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في بعض الغزوات فأرسل رسولاً: «**أَنْ لَا يَبْقَيَنَّ فِي رَقَبَةِ بَعِيرٍ قِلَادَةٌ مِنْ وَتَرٍ أَوْ قِلَادَةٌ** –أي

من غير وتر- **إِلَّا قُطِعَتْ**»(١). كانوا يعلقون علىٰ البهائم يريدون دفع العين، فمن الناس من يعلق تميمة فيها كتابات، ومن الناس من يعلق عظما، ومن الناس من يعلق بعض النعال لينظر إليها الناظر فلا يصيبها بعينه، هكذا من الناس من يكون عنده بيت فاخر فيعلّق فيه بعض الأشياء في داخله أو خارجه بقصد أن هذه الأشياء تدفع العين أو تكسر العين كما يزعم، أو يكون له سيارة جميلة فيعلق فيها بعض الأشياء، أو يلصق فيها بعض اللواصق يقول: إذا نظر الناظر إليها تشغله هذه الأشياء المعلقة فلا يصيبها بعينه، كل ذلك داخل في التمائم التي نهىٰ عنها النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فلا علاقة لهذه الأمور بِرَدِّ العين أو دفع الشر، فالأمور هذه لله ولو أراد الإنسان ذلك فليتحصن بالأذكار والرقية الشرعية؛ فهي التي تنفع وتدفع بإذن الله تعالىٰ لأن الله جعلها سبباً، وأما تعليق التمائم والحروز فإنه لا علاقة له بجلب نفع ولا دفع ضرر.

فيجب علىٰ المسلم أن يتعلم ذلك، وأن يُعلِّم من يراه من الجهلة أن هذا أمر ينافي توحيد الله سبحانه وتعالىٰ، قد يكون منافياً له منافاة كلية أو منافاة جزئية كما تقدم بيانه.

فنسأل الله -جل وعلا- أن يعيننا علىٰ ذكره وشكره وحسن عبادته.

اللهم إنا نسألك الهدىٰ والتقىٰ والعفاف والغنىٰ.

اللهم آتِ نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير ومن زكاها، أنت وليها ومولاها.

---

(١) البخاري(٣٠٠٥)، ومسلم(٢١١٥ -١٠٥-).

اللهم اغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين. اللهم أذل الكفر والكافرين. اللهم عليك بأعداء الدين.

اللهم عليك باليهود والنصارىٰ والرافضة الزنادقة المعتدين.

اللهم عليك بهم يا قوي يا متين.

اللهم أنجِ المستضعفين من المسلمين في كل مكان. اللهم أنجِ المستضعفين من المسلمين في كل مكان. اللهم أنجِ المستضعفين من المسلمين في فلسطين وفي سائر بلاد المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين.

وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

٩/ جمادىٰ الآخرة/ ١٤٤٥هجرية

أمور تنافي التوحيد٩

الرقى الشركية ولبس الحلق والخيوط والعظام ونحوها لدفع البلاء

إن الحمد لله، نحمده تعالىٰ ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

اعلموا أن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس، كان مما مضىٰ الحديث عنه ذكرُ أقوالٍ وأفعالٍ تنافي توحيد الله سبحانه وتعالىٰ، إما منافاةً كُلِّيَّةً فتَذهَب بأصل التوحيد، وإما منافاة جزئية فتذهب بكماله الواجب الذي يجب علىٰ الإنسان أن يكون عليه، وإن من الأفعال المنافية لتوحيد الله سبحانه وتعالىٰ:

الرُّقىٰ الشِّركِيَّة، التي يكون فيها دعاء لغير الله واستغاثة واستعانة به، فكل رُقىٰ فيها دعاء للمخلوقين سواء كانوا من الجن أو من الأموات أو من الأنبياء والصالحين؛ فإنها من الرقىٰ المخالفة لتوحيد الله سبحانه وتعالىٰ، فقد جاء في حديث عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي رواه الإمام أحمد (٣٦١٥) وأبو داود (٣٨٨٣) أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِنَّ الرُّقىٰ، وَالتَّمَائِمَ، وَالتِّوَلَةَ شِرْكٌ**»، والرُّقَىٰ المرادَة في هذا الحديث هي الرقىٰ الشركية، يُبيِّن ذلك ما جاء في صحيح مسلم (٢٢٠٠ -٦٤-) عن عوف بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كُنَّا نَرْقِي فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، كَيْفَ تَرَىٰ فِي ذَلِكَ؟ فَقَالَ: «**اعْرِضُوا عَلَيَّ رُقَاكُمْ، لَا بَأْسَ بِالرُّقَىٰ مَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ شِرْكٌ**». (اعرضوا علي رقاكم اسمعوني إياها وأخبروني بها حتىٰ انظر هل فيها شرك؟ فإنه لا بأس بالرقىٰ ما لم يكن فيها شرك، فتبين بهذا أن الرقية منها ما هو مشروع مرغَّب فيه وهو من أسباب الشفاء وهي الرقية الخالية من المخالفات، ومنها رقية تكون شركًا بالله سبحانه وتعالىٰ وفيها مخالفة للتوحيد.

قال أهل العلم: تكون الرقية جائزة إذا جمعت شروطًا ثلاثة. وقد نقل ابن حجر رحمه الله إجماع أهل العلم علىٰ أن الرقىٰ إذا جمعت ثلاثة شروط كانت رقىٰ جائزة.

الشـرط الأول: أن تكـون هـذه الرقيـة بكـلام الله وكـلام رسـوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو بأسمائه وصفاته، وهذا الشرط من أهم شروطها، أن تكـون الرقية بكـلام الله تعـالىٰ أي بالقرآن، أو بكلام رسوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بالأدعية والأذكار الواردة في كلام رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو بأسماء الله وصفاته ولو لم ترد نصًّا في القرآن والسنة، لكنه يدعو الله بأسمائه وصفاته ويرقي بذلك.

الشرط الثاني: أن تكون الرقىٰ بكلام مفهوم، بكلام واضح معلوم، يفهمه كل من يسمعه، فإن كانت الرقىٰ عبارة عن تمتمة وألفاظ لا تفهم فإنها لا تَحِل، كما هو شأن الكهان والسحرة والمشعوذين إذا تكلموا في رقاهم تمتموا وتكلموا بألفاظ لا يفهمها سامعها، وهذه في الغالب يكون فيها دعاء لغير الله، يكون فيها استغاثة بالجن والشياطين، فإذا سمعتَ راقيًا يتكلم بكلام لا يُفهم معناه فاعلم أن رقيته هذه مخالفة.

الشرط الثالث: أن يعتقد أن هذه الرقية لا تؤثِّر بذاتها، لا تنفع ولا تضر بذاتها وإنما هي سبب، وأن النفع بيد الله سبحانه وتعالىٰ، هو الذي إذا شاء أن يجعلها مؤثرة جعلها كذلك، فهي سبب من الأسباب قد يقع ما يترتب عليها وقد يتخلف، والشفاء والنفع بيد الله سبحانه وتعالىٰ.

فإذا جمعت الرقية هذه الشروط الثلاثة كانت رقيةً شرعية، وإذا فُقد أحد هذه الأمور كانت من الرقىٰ المحرَّمة، إذا صار الراقي يرقي بغير كلام الله وكلام رسوله وأسماءه وصفاته، يرقي بالطلاسم أو الشعوذات صارت شركًا، إذا صار يتكلم بكلام

لا يفهم معناه كان في الغالب أنه شرك، إذا اعتقد أن هذه الرقية تنفع بذاتها كان ذلك من الشرك بالله سبحانه وتعالىٰ.

ومما ينبه عليه أيضًا في الرقية: أن تكون الرقية علىٰ المريض مباشَرةً، فيقرأ الراقي عليه شيئا من كلام الله أو كلام رسول الله عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ويُشرَع أن ينفث شيئًا من ريقه، أو أن يمسح بيده علىٰ موضع المرض والألم أو علىٰ المريض، فتكون الرقية مباشرة، وهذا هو الذي وردت به الأدلة، فقد كان النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ إذا اشتكىٰ جمع كفيه وقرأ فيهما ونفث ومسح علىٰ جسده، وهكذا كان إذا مرض الواحد من أهله باشَرَهُ بالرقية ونفث ومسح بيده اليمنىٰ عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وهكذا أرشد من يريد الرقية إلىٰ أن يجعل يده علىٰ الذي يتألم من جسده ثم يقرأ الرقية.

أو أن تكون كما جاء عن بعض السلف يرقي في ماء ويشربه المريض، أو يرقي في زيت ويدَّهن به المريض، فهذا مما رخص فيه السلف، ويشمله قول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «**لَا بَأْسَ بِالرُّقَىٰ مَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ شِرْكٌ**».

وكذلك رخَّص جماعة من السلف أن يكتب بعض القرآن في إناء أو في ورقة ويمحو تلك الكتابة في ماء ثم يشربه، وقد رخص فيه جماعة من السلف، واستدلوا له بهذا الحديث: «**لَا بَأْسَ بِالرُّقَىٰ مَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ شِرْكٌ**». فهذه هي الرقية الشرعية.

أما كتابة الرقية وتعليقها علىٰ جسده، أو وضعها في موضع من بيته أو في شيء من أملاكه، ويعتقد أنها تنفع فإن هذا قد أنكره السلف وجعلوه من التمائم المنهي عنها، وقد جاء عند أحمد (٣٦١٥) عن زينب الثقفي امرأة عبدالله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا قالت

كان عبدالله بن مسعود إذا دخل البيت تنحنح أو بصق لأجل ألا تقع عينه علىٰ شيء يكرهه منا، قالت: وَإِنَّهُ جَاءَ ذَاتَ يَوْمٍ فَتَنَحْنَحَ، وَعِنْدِي عَجُوزٌ تَرْقِينِي مِنَ الْحُمْرَةِ – وهي مرض يكون وَرَمًا في الجسد–، قالت فتنحنح فَأَدْخَلْتُهَا تَحْتَ السَّرِيرِ، فَدَخَلَ، فَجَلَسَ إِلَىٰ جَنْبِي، فَرَأَىٰ فِي عُنُقِي خَيْطًا، قَالَ: مَا هَذَا الْخَيْطُ؟ قَالَتْ: قُلْتُ: خَيْطٌ أُرْقِيَ لِي فِيهِ. قَالَتْ: فَأَخَذَهُ، فَقَطَعَهُ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ آلَ عَبْدِ اللهِ لَأَغْنِيَاءُ عَنِ الشِّرْكِ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**إِنَّ الرُّقَىٰ، وَالتَّمَائِمَ، وَالتِّوَلَةَ شِرْكٌ**».

فأنكر ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هذه الرقية المعلقة حتىٰ لو كانت من القرآن، أو من أحاديث الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وهكذا أنكرها أكثر السلف وجعلوها من التمائم المنهي عنها.

فبهذا يتبين أن الرقىٰ منها ما هو شرك بالله سبحانه وتعالىٰ ومخالفة للتوحيد، ومنها ما هو جائز وهو الذي جمع الضوابط والشروط التي ذكرها أهل العلم.

أقول ما سمعتم، والحمد لله رب العالمين.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه، وسلم تسليما كثيراً.

أيها الناس، أيضـًا من الأمور التي تخالف توحيد الله سبحانه وتعالىٰ:

أن يجعل الإنسان علىٰ جسده شيئًا من الحِلَق أو من الخيوط أو من العظام أو الجلود، يعتقد في ذلك أنه يدفع عنه البلاء قبل أن يصيبه، أو يرفع عنه البلاء إذا أصابه، وهذا الأمر للناس فيه طرق كثيرة:

فمنهم من يجعل علىٰ يده: في أصابعه أو عضده. **ومنهم** من يجعل علىٰ رِجْله أو أصابع رجله، حِلَقا من حديد يعتقد فيها الشفاء، أو أنها تدفع البلاء فلا يصيبه بلاء وهي معه. **ومن الناس** من يجعل علىٰ جسده شيئًا من العظام يُعلِّق سِنًّا لبعض الحيوانات أو عظمـًا من بعض الحيوانات. **ومن الناس** من يجعل شيئًا من الخيوط سواء كانت من نبات أو من حيوان أو غير ذلك، يعتقد فيها أنها تدفع عنه البلاء فلا تصيبه عين ولا يصيبه الشيطان بشر ولا تصيبه الشرور وهي معه، وقد جاء في حديث عمران بن حصين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عند الإمام أحمد (٢٠٠٠٠)، وهو حديث لا بأس به بشواهده أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ رأىٰ عَلَىٰ عَضُدِ رَجُلٍ حَلْقَةً مِن صُفْر -أي مِن النحاس- فَقَالَ: «**وَيْحَكَ، مَا هَذِهِ؟**». قَالَ: مِنَ الْوَاهِنَةِ، -والواهنة مرض يصيب اليد-، قَالَ: «**أَمَا إِنَّهَا لَا تَزِيدُكَ إِلَّا وَهْنًا، انْبِذْهَا عَنْكَ، فَإِنَّكَ لَوْ مِتَّ وَهِيَ عَلَيْكَ، مَا أَفْلَحْتَ أَبَدًا**». وقوله: (فإنها لا تزيدك إلا وهنـًا)، الوهن هو الضعف، والمراد وهن الدين، وقد

تصيبه أيضا بوهن الجسد إذا علَّق قلبه بذلك الشيء، لأن من علق قلبه بشيء وكله الله إليه، ثم أخبره بهذا الحكم الزاجر له عن هذا الفعل (إنك لو مت وهي عليك) أي وأنت تعتقد فيها ذلك (ما أفلحت أبدا).

وكم يحصل هذا من كثير من الناس حتىٰ إنهم يتوهمون فيها الأوهام، وقد تكون أشياء لا حقيقة لها، وإنما لانفعال الإنسان النفساني يرىٰ أن لها تأثيراً، فإن انفعال الإنسان في نفسه قد يؤثر علىٰ ظاهر أمره.

فلذا قال أهل العلم: إن الأمور التي تُتَّخَذ في دفع البلاء قبل وقوعه، أو في رفعه والشفاء منه بعد وقوعه، لا بد أن تكون أسباباً ثابتة في الشرع، أو ثابتة قدراً وتَجْرِبة، وما عدا ذلك فلا يجوز اتخاذه سببًا، فكل سبب تطلب به رفع البلاء أو دفعه لا بد أن يكون سببًا ثابتًا في الشرع، كما ورد في القرآن والسنة أن الرقية الشرعية سبب للشفاء، وورد أن العسل سبب للشفاء، وورد أن الحجامة سبب للشفاء، وغير ذلك من الأمور التي جاءت في الأدلة، فهذه ثبتت أنها سبب بالشرع.

وأيضًا ما ثبت أنه سبب بالتجربة كبعض الأدوية المعلومة التي لها أثر ظاهر، وإذا استعملها الإنسان خفَّفت مرضه أو هدَّأت ما فيه من الحمىٰ والأوجاع، بحيث يكون دواء معلوما وله أثر ظاهر ونَفْعٌ بَيِّنٌ؛ فهذا يجوز اتخاذه سببًا.

وأما ما عدا ذلك فلا يجوز اتخاذه سببًا، فعلىٰ سبيل المثال ما علاقة هذه الحلقة من الحديد بالشفاء، كون الإنسان يجعلها في إصبعه أو في يده ويدَّعي أنها سبب للشفاء أو سبب لدفع البلاء، ما علاقة ذلك بالشفاء ودفع البلاء؟! وإنما لمَّا وقع في نفوس

بعض الناس واعتقدوا أنها مُؤَثِّرة صار بعضهم يرىٰ فيها تأثيراً، يقول: أنا جرَّبتُها فرأيت لها أثراً. وهذا الأثر إنما هو لاعتقادٍ في نفسه ظهر أثره علىٰ ظاهره، وفي الحقيقة لا علاقة له بذلك.

فحاصل هذا أن تسبيب الأسباب لله سبحانه وتعالىٰ، فما جعله الله سبباً في الشرع أو قدّر كونه سبباً في الواقع فهو سبب، وأما ما عداه مما يتوهمه الإنسان فليس بسبب، فتعليق الخيوط أو الحلق أو العظام علىٰ الجسد لم يرد به شرع، ولم يثبت له أثر بَيِّنٌ في التجربة، وإنما -إن وُجِد له شيء من الأثر- هو ناتج عن انفعال نفسي عند الإنسان، فعلىٰ الإنسان أن يتوكل علىٰ الله تعالىٰ وأن يثق به وأن يعلم أن رفع البلاء إذا نزل به أو دفعه قبل أن يصيبه كلُّ ذلك بيد الله سبحانه وتعالىٰ، هو القادر أن يحفظ الإنسان وأن يدفع عنه وأن يزيل عنه ما نزل به، وأما ما عدا ذلك فما جاء في الدليل أو ثبت في الواقع أخذنا به، وما ليس كذلك فإن اتخاذه سبباً يكون من الشرك بالله سبحانه وتعالىٰ.

نسأل الله -جل وعلا- أن ينفعنا وإياكم بما سمعنا وأن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

اللهم إنا نسألك الهدىٰ والتقىٰ والعفاف والغنىٰ.

اللهم آت نفوسنا تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها.

اللهم اغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، اللهم أذل الكفر والكافرين.

اللهم عليك باليهود والنصارىٰ وأعوانهم من الرافضة المعتدين، اللهم عليك بهم يا قوي يا متين.

اللهم أنجِ المستضعفين من المسلمين في كل مكان، اللهم أنجِ المستضعفين من المسلمين في فلسطين، اللهم فرج عنهم ما نزل بهم يا أرحم الراحمين.

ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين.

والحمد لله رب العالمين.

١٦/ جمادىٰ الآخرة/ ١٤٤٥هجرية

أمور تنافي التوحيد١٠

التوسل المشروع والتوسل الممنوع

إن الحمد لله، نحمده تعالىٰ ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

اعلموا أن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس، كان مما مضىٰ الحديث عنه ذكرُ بعض الأمور التي تنافي توحيد الله سبحانه وتعالىٰ، وإن من الأمور التي تقع المخالفة فيها في توحيد الله سبحانه وتعالىٰ لهو أمر:

التوسل، التوسل إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ في الدعاء أو العبادة أو غير ذلك، وهذا الباب مما دخل فيه خلل كثير علىٰ كثير من المسلمين، فوقعوا في البدع بل وقعوا في الشرك تحت مسمىٰ التوسل، وهذا الباب مما روَّج به كثير من دعاة الشرك الشركَ بالله سبحانه وتعالىٰ، ودعوا الناس إليه، ولبَّسوا عليهم فيه، تحت شعار التوسل بالأنبياء أو الأولياء أو الصالحين.

وإن معرفة هذا الباب: ما يحِلُّ منه وما يحرم من المهم جداً؛ حتىٰ لا يقع الإنسان في خلاف شرع الله، ويخالف توحيد الله تحت مسمىٰ التوسل، الذي يدعو إليه كثير ممن يروِّج الشرك بالله.

والتوسل معناه: التَّقَرُّب، والوسيلة: هي الشيء الذي يوصلك إلىٰ ما تريد، فالشيء الذي يوصلك إلىٰ تحصيل مقصودك هو الوسيلة، فكل أمر سواء كان حِسِّيًّا أو معنويـًا يوصلك إلىٰ تحصيل المقصود الذي تطلبه هو وسيلتك، والمراد بالتوسل في هذا الباب: التوسل في دعاء الله سبحانه وفي عبادته.

والتوسل كما قال أهل العلم نوعان: توسل مشروع، وتوسل ممنوع .

فالتوسل المشروع: هو التقرب إلىٰ الله تعالىٰ بعبادته وطاعته واتباع أنبيائه ورسله، وبكل وسيلة شرعية توصل إلىٰ الله تعالىٰ، فهذا توسل مشروع، أن يتقرب الإنسان

بوسائل يتخذها مما جاء بها الشرع تقربه إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ، وهذا هو الذي أمر الله تعالىٰ به في كتابه بقوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٣٥﴾ [سورة المائدة:٣٥]، فأمر الله تعالىٰ المؤمنين بتقواه وأن يبتغوا إليه الوسيلة، أي اطلبوا القرب من الله -جل وعلا- بالعمل الصالح، اطلبوا القرب من الله سبحانه وتعالىٰ بالعمل بمرضاته واتباع أنبيائه ورسله، وهذا هو الذي كان عليه أهل الإيمان من الجن والإنس، قال الله سبحانه وتعالىٰ مخاطبًا للمشركين: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ وَلَا تَحۡوِيلًا ٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ٥٧﴾ [سورة الإسراء:٥٧]، فقال الله تعالىٰ للمشركين: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ﴾، هؤلاء الذين زعمتموهم أولياء من دون الله ادعوهم إن كنتم صادقين، ﴿فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ وَلَا تَحۡوِيلًا ٥٦﴾ لا يستطيعون رفع الضر الذي أصابكم ولا يستطيعون تحويله وصرفه إلىٰ غيركم، ثم قال الله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ﴾ أي هؤلاء الذين تدعونهم من دون الله ﴿يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ هم أنفسهم يريدون القرب من الله -جل وعلا-

جاء في الصحيحين عن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنهُ قال: هذه الآية نزلت في نفر من العرب كانوا يعبدون نفراً من الجن فأسلم الجِنِّيُّون واستمر الإنس علىٰ عبادتهم وهم لا

يشعرون بإيمانهم، فهم أناس من أهل الشرك عبدوا الجن من دون الله، فأسلم أولئك الجن، وأرادوا القرب من الله، وطلبوا الوسيلة إليه، واستمر الإنس علىٰ عبادتهم وهم لا يشعرون أنهم قد آمنوا، فقال الله تعالىٰ مخاطبًا لهؤلاء المشركين: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ﴾ أي هؤلاء الجن الذين يدعونهم من دون الله ﴿يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ﴾ أي هم أنفسهم يبتغون الوسيلة إلىٰ الله ويريدون القُرْب لديه فكيف تدعونهم من دون الله ﴿وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ أي هم يرجون رحمة الله ويخافون عذابه، وأنتم تعبدونهم من دون الله سبحانه وتعالىٰ.

فالوسيلة التي طلبها هؤلاء المؤمنون من الجن هي القرب من الله -جل وعلا- ﴿يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ﴾ فهذه الوسيلة هي التي أمر الله بها، وهي التي فعلها الصالحون من عباد الله من الجن والإنس، وهي طَلَبُ القرب من الله بالعمل الصالح، طلب القرب من الله بالإيمان والطاعة، طلب القرب من الله -جل وعلا- باتباع الرسل والأنبياء والعمل بما دعوا إليه من توحيد الله وسائر الأعمال الصالحة، فهذه هي الوسيلة المأمور بها.

أيضًا الوسيلة التي تكون في دعاء الله بيَّن الله تعالىٰ ما يُشرع منها، فالداعي لله تعالىٰ إذا دعا يذكر وسيلة في دعائه، أي أمراً يكون سببًا في إجابة دعائه، أمراً يكون سببًا في قربه من الله، وقد بين الله تعالىٰ في كتابه ونبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ في سنته، كيف يكون التوسل إلىٰ الله تعالىٰ في الدعاء.

فأمر الله تعالىٰ بالتوسل بأسمائه وصفاته، قال الله سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [سورة الأعراف:١٨٠] فهذه وسيلة صالحة مشروعة تقربكم إلىٰ الله تعالىٰ، وتكون سببًا في إجابة دعائكم، توسلوا إلىٰ الله بأسمائه وصفاته كما كان الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام- يتوسلون بأسماء الله وصفاته، ثم يدعون بما يريدون، فإذا أردتَ أن تدعو فَسَلِ الله -جل وعلا- بأسمائه وصفاته، إذا أردتَ الرحمة ناده بالرحيم فقل: (يا رحيم ارحمني)، إذا أردت التوبة فناده باسمه التواب وقل: (يا تواب تب عليّ)، إذا أردت الرزق فناده باسمه الرزاق وسَلْهُ الرزق، إذا أردت المغفرة فادعه باسمه الغفور وسله المغفرة، فهذا من التوسل المشروع.

سَلِ الله بصفاته العظيمة، كما سأل الأنبياء قال الله عن إبراهيم: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾﴾ [سورة إبراهيم:٣٨] ثم قال: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ [سورة إبراهيم:٤٠] ، فانظر كيف أثنىٰ علىٰ الله بأسمائه وصفاته وما له من الكمال ثم سأله ودعاه، فهذا من الوسيلة المشروعة التي أمر الله تعالىٰ بها.

هكذا يُشرع أن تتوسَّل إلىٰ الله في دعائك بعملك الصالح، أن تذكر صلاتك وصيامك وجهادك، أن تذكر إيمانك بالله واتباعك لرسل الله، ثم تدعُو الله تعالىٰ بما تريد، فهذا من الوسيلة المشروعة التي أخبر الله تعالىٰ بها عن عباده المؤمنين في كتابه الكريم، ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ

ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾ [سورة آل عمران:١٦]، بعد أن ذكر الله المؤمنين وما أعد لهم في الجنة ذكر أن من دعائهم أنهم يتوسلون إلىٰ الله بإيمانهم وتوحيدهم لله سبحانه وتعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا﴾، فيذكرون إيمانهم ثم يدعون الله سبحانه وتعالىٰ، ﴿فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾﴾ [سورة آل عمران:١٦]، وقال الله تعالىٰ عن الحواريين المؤمنين من أصحاب عيسىٰ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أنهم قالوا: ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [سورة آل عمران:٥٣]، فتوسلوا إلىٰ الله تعالىٰ بإيمانهم واتباعهم لرسول الله عيسىٰ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ثم سألوا الله تعالىٰ حاجتهم.

وقال الله تعالىٰ عن أولي الألباب أنهم يقولون: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾﴾ [سورة آل عمران:١٩٣]، فذكروا استجابتهم للرسول وإيمانهم به، ثم سألوا الله تعالىٰ مغفرة ذنوبهم وتكفير سيئاتهم والوقاية من عذاب النار.

وهذا في كلام الله كثير، يخبر الله تعالىٰ عن عباده المؤمنين أنهم يتوسلون إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ بأعمالهم الصالحة، ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾

[سورة البقرة:٢٨٦]، لما ذكر الله في الآية التي قبلها إيمانهم، وأنهم آمنوا بما جاء به الرسول، وما أُنزل إليه من ربه، وأنهم آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله، وهكذا ذكر سمعهم وطاعتهم، فهنالك سألوا الله المغفرة، ثم سألوا ما ذكره الله عنهم، فتوسلوا بتلك الأعمال الصالحة ثم دعوا الله تعالىٰ بتلك الأدعية.

وأخبرنا نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عن ثلاثة نفر ممن قبلنا آواهم المبيت إلىٰ غار وانسدت عليهم الصخرة فقال بعضهم لبعض: «إِنَّهُ لَا يُنْجِيكُمْ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ إِلَّا أَنْ تَدْعُوا اللهَ بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ» فدعا الأول ببره لوالديه، ودعا الثاني بعفافه وتركه للزنا، ودعا الثالث بأمانته؛ ففرَّج الله عنهم[(١)].

فإذا أردتَ الدعاء فمن الوسيلة المشروعة أن تذكر عملك الصالح، وتتخيَّر من عملك الصالح أرجىٰ ما عملته في الإسلام؛ فإن هذا مما يجيب الله تعالىٰ به دعاءك، وهو من الوسيلة المشروعة.

أيضًا من التوسل المشروع أن يتوسل العبد بفقره إلىٰ الله تعالىٰ وحاجته وضعفه ومسكنته، أن يتوسل إلىٰ الله باعترافه بذنبه وإقراره بخطيئته، فهذا مما يجيب الله به دعائه، وهو من الوسيلة المشروعة، كما أخبر الله سبحانه وتعالىٰ به عن أنبيائه ورسله وعباده المؤمنين، أنهم دعوا الله تعالىٰ بفقرهم: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۝٨٣﴾ [سورة الأنبياء:٨٣] فذكر فقره إلىٰ الله وحاجته

(١) متفق عليه، رواه البخاري(٢٢٧٢)، ومسلم(٢٧٤٣ -٩٩-) عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

فأجاب الله دعاءه، ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ﴾ [سورة الأنبياء:٨٤].

وهكذا ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧﴾ [سورة الأنبياء:٨٧]، دعا الله تعالىٰ وتوسل إليه بإقراره بخطئه، واعترافه بذنبه، وبحاجته وفقره إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ خالقه ومولاه فأجاب الله دعاءه ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ﴾ [سورة الأنبياء:٨٨]، وهذا كثير في دعاء الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- أنهم يدعون الله تعالىٰ بفقرهم إليه وحاجتهم وضعفهم .

وهكذا من الوسيلة المشروعة التوسل بدعاء الرجل الصالح -لا بذاته بل بدعائه- فإذا عُلِم من إنسان الصلاح أو أنه مستجاب الدعوة، فإذا طلب إنسانٌ منه الدعاء ليُقَرِّبَه دعاؤه ذلك إلىٰ ربه عز وجل، فهذا من الوسيلة المشروعة، وعلىٰ هذا حَمَل أهل العلم ما جاء عن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ في صحيح البخاري (١٠١٠) أنه توسل بالعباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ في الاستسقاء، وهكذا توسل معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ بيزيد بن الأسود الجرشي، وغيرهم من السلف فمعناه أنهم توسلوا بدعائهم، قال عمر حين أصابهم القحط والجدب: (اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا فَتَسْقِينَا، وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا فَاسْقِنَا. قَالَ: فَيُسْقَوْنَ). أي بدعاء العباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ فكان العباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ يدعو لهم فيسقيهم الله -جل وعلا- المطر، فمن الوسيلة المشروعة أيضًا التوسل إلىٰ الله بدعاء الرجل الصالح، لا سيما

فيما يكون مصلحته عامة ونفعه عاماً للناس كدعاء الاستسقاء ودعاء دفع البلاء ونحو ذلك من الأمور، فيُطلب من الرجل الصالح أن يدعو الله -جل وعلا- حتىٰ يجيب الله تعالىٰ دعاءه، فيحصل النفع لأهل الإسلام، فكلُّ هذه من الوسائل الصالحة، ومن التوسل المشروع الذي دلَّ عليه كلام الله وكلام رسوله -عليه الصلاة والسلام-.

أقول ما سمعتم.

والحمد لله رب العالمين

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليما كثيراً.

أيها الناس، والنوع الثاني من التوسل: هو التوسل الممنوع في شرع الله تعالىٰ، التوسل الذي فيه مخالفة للأدلة والذي دخل بسببه كثير من الشر علىٰ المسلمين، ومنه ما يكون محرمًا ووسيلة من وسائل الشرك، وهو التوسل بجاه الأنبياء والصالحين أو مكانتهم عند الله تعالىٰ، أو التوسل بحرمة بعض الأمكنة والبقاع، ونحو ذلك، كما يصدر من كثير من الناس يتوسلون بحق الرسول، ويدعو أحدهم قائلا: اللهم أسألك بحق رسولك، أو يتوسل بجاه فلان: اللهم أسألك بجاه النبي أو بجاه الملائكة أو بجاه الأنبياء، أو يتوسل بحرمة البيت الحرام، أو يتوسل بحق الأولياء والصالحين، أو يتوسل ببعض البقاع يظن أن لها شرفًا، فيقول: بحق بقعة فلان أو تربة فلان، فكل هذا من التوسل المبتدع، الذي لم يفعله النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ولا صحابته رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، ولا مَن بعدَهم من سلف هذه الأمة.

بل هذا يَجُرُّ الناس إلىٰ مخالفات، فما علاقة جاه فلان من الناس؟ وما علاقة صلاحه ومنزلته عند الله بإجابة دعائك؟ فأنت إن دعوتَ الله تدعو الله بصلاحك أنت لا بصلاح الناس، فصلاحُ غيرك ومنزلته عند الله وجاهه ينفعه هو ولا ينفعك أنت، فليس لك حق أن تدعو بجاهه أو منزلته أو مكانته أو قدره عند الله سبحانه.

ومن التوسل الممنوع ما يكون شركًا بالله كما يفعله عُبَّاد القبور المستغيثون بها من دون الله، فيدعون المقبور ويسألونه الرزق والعافية، أو يسألونه النصر، أو يسألونه أن يشفع لهم عند الله، أو يسألونه ما لا يُسأل إلا من الله -جل وعلا-، بحجة أنه يتوسل بصلاحه ومنزلته، ويقول: أنا مُذْنِبٌ ومُقَصِّرٌ فلا أدعو الله مباشرة، ولكن أدعو الله بواسطة هذا الصالح، بواسطة هذا الولي، بواسطة هذا المقبور، هكذا زيَّن لهم الشيطان هذه الشبهة، وكم دخل الشرك على الناس اليوم بهذا السبب؟ فترى دعاة التصوف ودعاة الرفض يروِّجون للشرك اليوم بحجة أن هذا توسل بالصالحين وليس شركًا بالله، ولو تأملنا كلام الله بعلم وعدل وإنصاف نجد أن هذا هو عين شرك المشركين الأولين من كفار قريش وغيرهم، قال الله سبحانه وتعالى عنهم: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ [سورة يونس:١٨]، فهم عبدوهم ليشفعوا لهم عند الله، فالله عندهم عظيم، يعظِّمون الله أكثر من تعظيم هذه الآلهة، ولكنهم عبدوا هذه الآلهة ليقربوهم إلى الله وليشفعوا لهم عند الله: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ [سورة يونس:١٨]، هذا بعينه شرك الأولين، وقال الله سبحانه وتعالى أيضًا: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ﴾ [سورة الزمر:٣] العبادة الخالصة والتوحيد لله ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾، هكذا يقولون، اتخذوا من دون الله أولياء وقالوا نحن ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [سورة الزمر:٣]، نريد الوسيلة بهم إلى الله -جل وعلا-، نريد

الوصول بسببهم وعن طريقهم إلىٰ الله -جل وعلا- ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [سورة الزمر:٣]، فهذا شرك المشركين الذين بُعث فيهم الرسول عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ والذين نزل فيهم القرآن، فمن يدعو اليوم بعض الأنبياء أو الصالحين أو الملائكة بحجة أنهم يقربونه إلىٰ الله أو يشفعون له عند الله ويسمي هذا توسلا فقد وقع في الشرك بالله -جل وعلا-، وقد وقع فيما نهاه الله -جل وعلا- عنه.

فاحذر أيها المسلم من دُعاة الضلال والتلبيس الذين زيَّنوا للناس الشرك في صورة التوسل بالصالحين ومعرفة حقهم ومكانتهم، فإن هذا شرك بالله -جل وعلا-.

فعلىٰ المسلم إذا أراد أن يتوسل إلىٰ الله أن يتوسل بما شرعه الله ولا يتوسل بجاه أحد من الخلق مهما كان جاهه، ولا يتوسل بمنزلة أحد من الخلق مهما كانت منزلته، ولا يتوسل بدعاء غير الله أو طلب الشفاعة منه أو الاستغاثة به فإن غير الله لن ينفعك، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ﴾ [سورة الأعراف:١٩٤]، هو عبدٌ مثلُك لن ينفعك ولن يضرك، إنما تنفع نفسك أو تضرها بأعمالك، وقال تعالىٰ: ﴿إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ ١٤﴾ [سورة فاطر:١٤]، هذا ضلال قال الله عن أهله: ﴿وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَهُمۡ عَن دُعَآئِهِمۡ غَٰفِلُونَ ٥﴾ [سورة الأحقاف:٥].

فهذا الباب وهو باب التوسل دخل منه علىٰ الناس ضرر كبير وروَّج دعاة الشرك الشركَ بالله تعالىٰ في هذه الأزمنة باسم التوسل، فإذا أنكرتَ عليهم شركهم بالله وعبادتهم للقبور ودعائهم لها من دون الله قالوا: هؤلاء صالحون ونحن نتوسل بهم إلىٰ الله -جل وعلا-، وقد خالفوا كلام الله تعالىٰ وكلام رسوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في قولهم هذا ووقعوا فيما نهىٰ الله عنه.

فنسأل الله -جل وعلا- أن يأخذ بأيدينا إلىٰ كل خير.

اللهم أرنا الحق حق وارزقنا اتباعه، اللهم أرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه.

اللهم إنا نسألك الهدىٰ والتقىٰ والعفاف والغنىٰ.

اللهم آت نفوسنا تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها.

اللهم اغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، اللهم أذل الكفر والكافرين، اللهم عليك باليهود والنصارىٰ والرافضة الزنادقة المعتدين، اللهم عليك بهم فإنهم لا يعجزونك يا قوي يا متين.

ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين.

ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار. والحمد لله رب العالمين

٢٣/ جمادىٰ الآخرة/ ١٤٤٥هجرية

أمور تنافي التوحيد١١

الطيرة

إن الحمد لله، نحمده تعالىٰ ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

اعلموا أن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس، كان مما مضىٰ ذكره والكلام عنه أمور تنافي توحيد الله سبحانه وتعالىٰ، وإنَّ من الأمور المنافية لتوحيد الله سبحانه وتعالىٰ ما يقع من كثير من الناس من:

التطير والتشاؤم، هذا الأمر الذي حذَّرنا منه نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بعد أن كان من صنيع الجاهلية، ومما يعتمدون عليه في أمورهم، فحذَّرنا نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من ذلك، وقد كانت حياة الجاهلية وأهل الشرك مبنيةً علىٰ هذا الأمر في كثير من أحوالهم.

والطيرة كما قال أهل العلم: هي التشاؤم بمرئي، أو مسموع، أو زمان، أو مكان، ونحو ذلك.

فمن الناس من يتشاءم بما يراه، إذا رأىٰ بعض المخلوقات كبعض الحيوانات أو بعض الطيور تشاءم واعتقد أنها نحس، وأنه سيحصل عليه ضرر، بل ربما ترك الأمر الذي يريد فعله لأجل أنه قد رأىٰ هذا المخلوق.

ومن الناس من يتشاءم بزمان، كما كان أهل الجاهلية يتشاءمون بشهر صفر، وبعض الناس يتشاءمون بشهر رجب ويظنون أن فيه المصائب والبلاء.

وهكذا كان بعض أهل الجاهلية يتشاءم من الزواج بين العيدين، عيد الفطر وعيد الأضحىٰ، ويعتقد أن الزواج في هذا الزمان شؤم عليه.

بل كان المشركون يتشاءمون من وجود الرسل في أوساطهم، كما أخبر الله تعالىٰ عنهم أنهم اعتقدوا أن مجيء الرسل سبَّب لهم الضرر وحصل عليهم بسبب ذلك البلاء، قال الله سبحانه وتعالىٰ عن قوم فرعون: ﴿فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦۖ﴾ أي هذا بفضلنا وخيرنا ومنزلتنا، ﴿وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ﴾ أي شيء مما

يسوءهم من الأمراض أو القحط والجدب أو الشدة والسنين، ﴿يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ﴾ [سورة الأعراف:١٣١] أي يقولون هذا جاءنا بسبب موسىٰ وأصحابه.

وهكذا قال الله تعالىٰ عن نبيه صالح أنه قال: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ لِمَ تَسۡتَعۡجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبۡلَ ٱلۡحَسَنَةِۖ لَوۡلَا تَسۡتَغۡفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُواْ ٱطَّيَّرۡنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمۡ عِندَ ٱللَّهِۖ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ تُفۡتَنُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [سورة النمل:٤٧] أموركم بيد الله تعالىٰ هو الذي يُقدِّر عليكم ما شاء.

وقال الله تعالىٰ عن أصحاب القرية الذين جاءهم الرسل متتابعين: ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٖ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُواْ مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُواْ رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيۡنَآ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٨﴾﴾ [سورة يس:١٣-١٨] فتشاءموا بوجود الرسل في أوساطهم.

كما يتشاءم اليوم كثير من الناس بوجود الصالحين، وقد يقول قائلهم: منذ جاء هؤلاء -أي الصالحون أهل الاستقامة- حصل علينا كذا وكذا، أو فاتنا كذا وكذا، وهذا من مشابهة أهل الشرك الذي تشاءموا بوجود الصالحين من أنبياء الله -عز وجل- بينهم.

فالطيرة شأن أهل الجاهلية يتطيرون بالأزمنة فيرون أن هذا الزمان شؤم، ويتطيرون بالأمكنة وقد يعتقدون أن مكانا من الأمكنة فيه شؤم عليه، ويتطيرون بما يرون وبما يسمعون.

وسُمِّي فعلهم هذا وتشاؤمهم طِيَرَة؛ نسبة إلىٰ الطير لأنها هي الأصل في فعلهم، فقد كان أحدهم إذا أراد سفرا أو تجارة أو زواجا أو نحو ذلك من أموره خرج إلىٰ مكان فيه طيور فيزجر تلك الطير لتطير، فإن طارت جهة اليمين مشىٰ في حاجته فيسافر أو يتزوج أو يتاجر واعتقد أنه سيحصل له الخير، وإن طارت جهة الشمال تشاءم، وترك ما يريد فِعْلَه، إن كان يريد سفرا ترك السفر، وإن كان يريد تجارة أو زواجا أو عملا من الأعمال ترك ذلك؛ لأن الطيور ذهبت جهة الشمال.

ثم توسَّع الناس في ذلك فلم يقتصروا علىٰ التطير بالطيور، بل توسعوا في كثير من أمورهم، حتىٰ استقسموا بالأزلام كما أخبر الله تعالىٰ عنهم، والأزلام هي ثلاثة قِداح -أي سهام- كانت في جدار الكعبة، أحدها مكتوب عليه (افعل) والثاني مكتوب عليه (لا تفعل) والثالث ليس فيه شيء من الكتابة، فإذا أرادوا أن يفعلوا شيئا من أمورهم جاء أحدهم إلىٰ الأزلام فيخرج واحدا من هذه السهام ، فإن خرج الذي فيه (افعل) فعل واعتقد أنه سيحصل له الخير، وإن خرج الذي فيه (لا تفعل) ترك فعله واعتقد أنه إن فعل سيحصل عليه الضرر، وإن خرج الذي ليس فيه كتابه أعاد مرة أخرىٰ.

وهكذا كان منهم من يفعلون ذلك برمي الحصىٰ، وغير ذلك من خرافات الجاهلية، فجاء رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وحذَّرنا من ذلك وأخبرَنا أن هذه الطيرة تنافي توحيد الله تعالىٰ وأنها من الشرك.

قال أهل العلم: حُرِّمت الطيرة، وكانت منافية لتوحيد الله -جل وعلا- لأمور، منها:

١- **أن فيها تركَ التوكل علىٰ الله** سبحانه وتعالىٰ، والاعتمادُ علىٰ أسباب خفية، وعلىٰ أشياء لا حقيقة لها وإنما هي من وسوسة الشيطان وتخييله.

فالطيرة فيها ترك التوكل علىٰ الله والاعتماد عليه والثقة به، وفيها الاعتماد علىٰ أمور لا حقيقة لها.

٢- **الطيرة فيها سوء ظن بالله** -جل وعلا- فالمتطير أساء الظن بالله، وإلا فما علاقة ذهاب الطير إلىٰ جهة الشمال بحصول الضرر له؟ وما علاقة هذا الزمان أو هذا المكان أو هذا المخلوق الذي يراه بحصول الضرر عليه؟.

٣- **الطيرة فيها فتح لباب الخرافة والأوهام** وتجعل حياة الناس في قلق وهَمٍّ وشكوك ووساوس كما كان عليه أهل الجاهلية، فلذا كانت الطيرة منافية لتوحيد الله سبحانه وتعالىٰ.

نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أخبرنا في أحاديث أنه لا حقيقة للطيرة، جاء في حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في الصحيحين(١) أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لَا عَدْوَىٰ وَلَا طِيَرَةَ**،

(١) البخاري(٥٧٠٧)، ومسلم(٢٢٢١-١٠٦-).

وَلَا هَامَةَ وَلَا صَفَرَ». (لا عدوىٰ) تنتقل بنفسها ولكن بتقدير الله، (ولا طيرة) لا تأثير لها كما كان الجاهلية يعتقدون (ولا هامة) والهامَة هي الطائر التي تسمىٰ البومة، كانوا إذا رأوها تشاءموا، وإذا وقعت علىٰ بيت أحدهم اعتقد أنه سيموت، وقال: نَعَتْ إليَّ نفسي، فقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**لَا هَامَةَ**»، أي لا تأثير لها ولا حقيقة لما يعتقده أهل الجاهلية فيها، (ولا صفر)، أي الشهر المعروف الذي هو ثاني شهور العام الهجري، والمراد أن التشاؤم الذي كانوا يتشاءمون به لا حقيقة له.

وجاء كذلك في صحيح مسلم (٥٣٧ -١٢١-) عن معاوية بن الحكم السلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه أتىٰ النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وسأله عن أمور كانوا يصنعونها في الجاهلية، قال: يا رسول الله وأنا كُنَّا نَتَطَيَّرُ؟ قال: «**ذَاكَ شَيْءٌ يَجِدُهُ أَحَدُكُمْ فِي نَفْسِهِ، فَلَا يَصُدَّنَّكُمْ**»، أي: لا تبالوا به، إذا وجد أحدكم تشاؤما في نفسه من أمر من الأمور فلا يبالِ به ولا تلتفتوا إليه فإن وقع كذلك لا يضر.

ولذا فالطيرة المحرمة هي التي تُمْضِي الإنسان في حاجته أو تَرُدُّه، فمن يمضي في حاجته لأجل ما رآه مما يعتقد فيه الخير، أو يكف عن حاجته ويُحْجِم عنها لأجل ما رآه مما يعتقد فيه الضرر؛ فهذه طيرة محرمة.

كذلك من الطيرة المحرمة أن يقع في نفسه الخوف والقلق والغم ويخشىٰ من تأثيرها وإن كان قد مضىٰ في حاجته، فلو رأىٰ شيئًا يتطير به ثم مضىٰ في حاجته ولكن بقي في قلق وفي هم ويخشىٰ أنها تؤثر عليه؛ فهذا أيضًا يدل علىٰ نقص التوكل علىٰ الله، وعلىٰ ضعف توحيد الله تعالىٰ في قلبه.

وأما إن وقع في نفسه شيء إما بسبب أنه من أهل بلد من البلدان يعتقدون ذلك فقد يتأثر بذلك أي في وقوع ذلك الشيء في نفسه ولكنه لا يبالي به، ويُقبِل علىٰ حاجته وهو منشرح الصدر مطمئن البال، فهذا لا يضره.

جاء في سنن الترمذي (١٦١٤)، عن ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنه لما ذكر الطيرة، قال: (وَمَا مِنَّا إِلَّا -أي ويقع في نفسه-، وَلَكِنَّ اللهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ)، فيذهب ذلك بالتوكل علىٰ الله تعالىٰ والاعتماد عليه.

إذن فالطيرة من الأمور المنهي عنها المنافية للتوحيد، وكم من الناس اليوم من يتشاءم؟ كم من الناس اليوم من يعتقد في بعض الأزمان الشؤم؟ لا يمكن أن يتزوج بين العيدين أو في شهر شوال لاعتقاده الضرر، قالت عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا كما في صحيح مسلم (١٤٢٣ -٧٣-): تَزَوَّجَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فِي شَوَّالٍ، وَبَنَىٰ بِي -أي دخل عليها- فِي شَوَّالٍ، فَأَيُّ نِسَاءِ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كَانَ أَحْظَىٰ عِنْدَهُ مِنِّي). أي أن هذه خرافة لا حقيقة لها، وهي اعتقاد الشؤم بالزواج في شوال، فهذه أحبُّ أزواج الرسول عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ إليه وأفضلهن عنده عقد عليها ودخل بها في شوال، وكَسَرَ ما كان يعتقده أهل الجاهلية.

كم من الناس اليوم من يعتقد أن شهر رجب فيه المصائب؟ أو أن يوم الأربعاء يوم نحس ودبور، ويصير ذلك اعتقادا له، فلا يسافر ولا يفعل شيئًا في مثل هذه الأيام أو الأشهر، بسبب اعتقاده الفاسد، وهذا مما ينافي توحيد الله سبحانه وتعالىٰ.

أقول ما سمعتم، والحمد لله رب العالمين.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليما كثيراً.

أيها الناس، جاء في حديث ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا في الصحيحين(١) وجاء عن غيره من الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ أن النبي عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ أخبر عن سبعين ألفًا من هذه الأمة يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، فلما سُئل النبي عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ عنهم، من هؤلاء الذين هم من هذه الأمة ويدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، قال عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ: «**هُمُ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ وَلَا يَتَطَيَّرُونَ وَلَا يَكْتَوُونَ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**»، إذاً هؤلاء أناس حقَّقوا توحيد الله تعالىٰ، هؤلاء أناس صدقوا في اعتمادهم علىٰ الله تعالىٰ وتوكلهم عليه، فـ(لا يسترقون) لكمال إيمانهم لا يطلبون من غيرهم أن يرقيهم، وإذا احتاجوا إلىٰ الرقية رقَوا أنفسهم، (ولا يتطيرون) لا يتشاءمون كما كان يتشاءم أهل الجاهلية بل توحيدهم صحيح واعتمادهم علىٰ الله تعالىٰ كامل، فكان توكلهم علىٰ الله واعتمادهم عليه مانعا لهم من أن يتطيروا بشيء من المخلوقات أو أن يتشاءموا به.

(١) البخاري(٥٧٠٥)، ومسلم(٢١٨ -٣٧٢-).

نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كان يكره الطيرة ويحب الفأل، جاء في مسند الإمام أحمد (٨٣٩٣) عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يُحِبُّ الْفَأْلَ الْحَسَنَ، وَيَكْرَهُ الطِّيَرَةَ.

وفي الصحيحين[١] عن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لَا عَدْوَىٰ وَلَا طِيَرَةَ، وَيُعْجِبُنِي الْفَأْلُ**». قَالُوا: وَمَا الْفَأْلُ؟ قَالَ: «**الْكَلِمَةُ الْحَسَنَةُ**». فكان عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يحب الفأل الحسن وهو الكلمة الطيبة، إذا سمع كلامًا طيبًا أعجبه ونشط لأجله، والفأل جائز أن الإنسان إذا سمع كلامًا طيبًا يتفاءل به خيرا، فقد يسمع المريض من يقول: يا سليم، أو جاء سليم. فيتفاءل بالسلامة، أو يكون في سفر فيتفاءل بالسلامة في سفره، وقد يسمع الإنسان من يقول: يا رابح أو يا نجيح. فيتفاءل بالربح والنجاح، ولذا كان النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يحب الفأل الحسن.

حتىٰ في الكلام وفي الأسماء فقد أمر عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ رجلاً أن يحلب شاة فقام رجل، قال: «**مَا اسْمُكَ؟**»، قال: اسمي جمرة، قال: «**اقْعُد**»، ثُمَّ قَامَ رجلٌ آخَرُ، فَقَالَ: «**مَا اسْمُكَ؟**»، قَالَ: مُرَّةَ: قَالَ: «**اقْعُدْ**»، ثم قام رجلٌ آخر قال: «**مَا اسْمُكَ؟**»، قال: يعيش، قَالَ: «**احْلُبْهَا**». فأَمَرَه أن يحلب تلك الشاة، تفاؤلاً باسمه الحسن، وهكذا كان يحب الأسماء الحسنة، فغيَّر اسم عاصي وغيَّر اسم عاصيه إلىٰ أسماء ليس فيها هذا

(١) البخاري(٥٧٧٦)، ومسلم(٢٢٢٤ –١١٢–).

الكلام القبيح الذي هو المعصية لله تعالىٰ، فكان يعجبه الاسم الحسن والفأل الحسن، ولكن كان يكره الطيرة والتشاؤم.

وفرْقٌ عظيم بين الفأل الحسن والطيرة، فالفأل الحسن لا يعتمد عليه الإنسان وإنما ينشطه ويفرحه، إذا سمع كلمة طيبة، وأما الطيرة التي هي التشاؤم فهي اعتقاد حصول النفع والضرر، وهي التي كانوا يعتمدون عليها في حياتهم.

الطيرة أخبرنا نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ **أنها شرك** ففي حديث ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ الذي أخرجه أبو داود (٣٩١٠) والترمذي (١٦١٤)، أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، الطِّيَرَةُ شِرْكٌ**»، يرددها ثلاثًا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

فالطيرة شرك بالله -جل وعلا-، قال أهل العلم إذا اعتقد المسلم أن تطيُّرَه هذا هو الذي يجلب له النفع ويدفع عنه الضرر فقد وقع في الشرك الأكبر، وإن اعتقد أن تطيره ذلك سبب في جلب النفع له أو دفع الضرر عنه وأن النفع والضرر من الله ولكن هذا سبب فقد وقع في الشرك الأصغر.

ولكن المسلم يتوكل علىٰ الله ويعتمد عليه ويمضي في حاجته ولا يبالي، وهذا هو دواء الطيرة أن يتوكل الإنسان علىٰ الله -جل وعلا- إن وقع في نفسه شيء، وأن يعتمد علىٰ الله -جل وعلا-، وأن يمضي في حاجته وهو طيب النفس منشرح الصدر لا يبالي بذلك.

فإذاً، هذا الأمر مما ينافي توحيد الله سبحانه وتعالىٰ ومما يجب علىٰ المسلم أن يحذر منه، أن يحذر من التشاؤم ومن التطير.

بعض الناس يقول منذ صحبتُ فلانا دخل علي البلاء، منذ جئت هذا المكان حصل عليَّ الضرر أو نحو ذلك من الأمور، وهذا مخالف لما نهىٰ عنه النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ. **نعم، هناك أمور جاء استثناؤها في الشرع** قد يحصل للإنسان منها نوع شؤم بسبب كثرة الخلطة، فإذا حصل له منها شؤم شُرع له أن يتخلص منها، جاء في الصحيحين[1] عن ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**إِنْ كَانَ الشُّؤْمُ فِي شَيْءٍ، فَفِي الدَّارِ وَالْمَرْأَةِ وَالْفَرَسِ**»، إن كان الشؤم في شيء، وإن حصل فقد يحصل في هذه الثلاث:

في المرأة، فقد يتزوج الإنسان امرأة فتجلب عليه البلاء، وتُدخل عليه المشاكل، وتفرِّق بينه وبين أسرته، ويحصل له منها ضرر، فهذا شيء محسوس ليس شيئًا وهميًا، ففي هذه الحال شُرع له أن يتخلص منها بفراقها.

وهكذا في الدار، قد يحصل للإنسان الشؤم بسبب سكنىٰ بيت معيَّن، قد يدخل فيه فيرىٰ في سكناه ضررا واقعا حقيقيا وليس مجرد توهُّم، جاء عند أبي داود (٣٩٢٤)، والبخاري في الأدب المفرد (٩١٨) عن أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن أناسًا أتوا النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فقالوا: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّا كُنَّا فِي دَارٍ كَثِيرٌ فِيهَا عَدَدُنَا، وَكَثِيرٌ فِيهَا أَمْوَالُنَا، فَتَحَوَّلْنَا إِلَىٰ دَارٍ أُخْرَىٰ فَقَلَّ فِيهَا عَدَدُنَا، وَقَلَّتْ فِيهَا أَمْوَالُنَا. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ

(١) البخاري(٥٠٩٤)، ومسلم (٢٢٢٥ -١١٨-).

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ذَرُوهَا ذَمِيمَةً». أي دعوا سكنىٰ هذه الدار التي حصل عليكم فيها ضرر ملموس حقيقي، وليس مجرد وهم وتخييل.

والأمر الثالث: الفرس، قد يكون الإنسان إذا اشترىٰ فرسًا يرىٰ فيها شؤما لا تمكّنه من ظهرها ولا يستطيع ركوبها ولا ينتفع بها، أو يدخل عليه بسببها ضرر، شُرع له أن يتركها، ومثله بعض المركوبات التي قد يركبها الإنسان ولو مما هو في عصرنا الحديث من السيارات ونحوها يشتري سيارة فلا يجد في شرائها عافية، ودائمًا تتعطل أو يحصل له منها ضرر، فيرىٰ شيئًا واقعًا ملموسًا حقيقيًا فله أن يتخلص منها، فهذا كما قال الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**إِنْ كَانَ الشُّؤْمُ فِي شَيْءٍ، فَفِي الدَّارِ وَالْمَرْأَةِ وَالْفَرَسِ**» أي أنه يرىٰ أمراً واقعًا حقيقيًا، وأما الطيرة المحرمة والتشاؤم فهي فيما سوىٰ ذلك، وهي مجرد أوهام وتخييل لا حقيقة لها.

فنسأل الله بأسمائه الحسنىٰ وصفاته العلىٰ أن يعلمنا ما ينفعنا وأن ينفعنا بما علمنا.

اللهم إنا نسألك الهدىٰ والتقىٰ والعفاف والغنىٰ.

اللهم آت نفوسنا تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها.

اللهم اغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين.

ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين.

والحمد لله رب العالمين.

٧/ رجب/ ١٤٤٥هجرية

أمور تنافي التوحيد١٢

الرياء وإرادة الإنسان بعمله الدنيا

إن الحمد لله، نحمده تعالىٰ ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

اعلموا أن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس، لا زلنا نتكلم عن الأمور التي تنافي توحيد الله سبحانه وتعالىٰ مما يصدر من الناس من أقوال أو أفعال، وإن من هذه الأمور المنافية لتوحيد الله سبحانه وتعالىٰ:

الرياء في الأعمال الصالحة، والرياء: هو أن يعمل الإنسان العمل الصالح يريد أن يراه الناس فيثنون عليه به ويمدحونه.

سُمِّي رياءً نسبة إلىٰ الرؤية لأن المرائي يتعرَّض بعمله إلىٰ رؤية الناس، قال الله سبحانه وتعالىٰ عن المنافقين: ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا ١٤٢﴾ [سورة النساء:١٤٢]، أي إنما قاموا إلىٰ الصلاة لأجل رؤية الناس لهم، فهذا الرياء ينافي توحيد الله سبحانه وتعالىٰ؛ لأن فيه إشراكًا في النية، فقد نوىٰ بعبادته هذه وأراد بها أن يراه الناس وأن ينظروا إليه، ولم تكن عبادته خالصة لوجه الله، لأن الواجب في العبادة أن تكون خالصة لوجه الله، يطلب الإنسان فيها الأجر والثواب من الله تعالىٰ، لا يريد من الناس مدحًا ولا ثناء ولا جزاء من جزاء الدنيا، فإذا صار الإنسان يقصد بعبادته أن يراه الناس فيثنون عليه ويمدحونه فإنه يكون قد وقع في الرياء، وهو من الشرك بالله سبحانه وتعالىٰ.

جاء في صحيح مسلم (٢٩٨٥ -٤٦-) عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: أَنَا أَغْنَىٰ الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**»، فالله تعالىٰ غني أن تجعل له شريكًا في نيتك، ومن أشرك مع الله تعالىٰ في النية أحدًا تركه الله وترك شركه، أي ذلك العمل الذي عمله، فلا يقبله الله منه، ولا يثيبه عليه.

جاء في مسند الإمام أحمد (٢٣٦٣٠) عن محمود بن لبيد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ**». قَالُوا: وَمَا الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**الرِّيَاءُ، يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: إِذَا جُزِيَ النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ، اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاءُونَ فِي الدُّنْيَا، فَانْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً؟**»، هل تجدون عندهم ثوابًا لأعمالكم التي عملتموها لأجل مدحهم وثنائهم.

وجاء عند ابن أبي شيبة (٨٤٠٣) وابن خزيمة (٩٣٧) بسند صحيح عن محمود بن لبيد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**أَيُّهَا النَّاسُ إِيَّاكُمْ وَشِرْكَ السَّرَائِرِ**» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا شِرْكُ السَّرَائِرِ؟ قَالَ: «**يَقُومُ الرَّجُلُ فَيُصَلِّي فَيُزَيِّنُ صَلَاتَهُ جَاهِدًا؛ لِمَا يَرَىٰ مِنْ نَظَرِ النَّاسِ إِلَيْهِ**». وفي رواية: «**لِيَنْظُرَ النَّاسُ إِلَيْهِ**» **فَذَلِكَ شِرْكُ السَّرَائِرِ**». يقوم إلىٰ الصلاة فيُزيِّن الصلاة ويُحَسِّنُها، يزين تلاوته بها أو يطيل ركوعه وسجوده فيها، لا لأجل الله ولا لطلب الثواب منه، وإنما ليراه الناس، لِما يعلم من نظر الناس إليه، فهذا شرك السرائر.

وهكذا يتعلم العلم ليقول الناس: إن فلانًا عالم، ويقرأ القرآن ليقول الناس: إن فلانًا قارئ، يتصدق ويبذل الأموال في وجوه الخير ليقول الناس: إنه كريم إنه جواد إنه سخي، وهكذا يجاهد في سبيل الله ويتقدم في الصفوف الأولىٰ وربما كان شجاعًا مِقدامًا لا لأجل الله ولا لنيل ثواب الله ولكن ليقول الناس: إنه شجاع إنه جريء، هكذا يخطُب أو يُعلِّم الناس أو يتكلم فيُحسِّن ذلك ويزيِّنه ليثني عليه الناس

وليمدحوه، هذا شرك السرائر الذي حذرنا رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ منه، وهو أمر خطير على الإنسان، وهو بحرٌ لا ساحل له كما قال أهل العلم.

وجاء عن كثير من السلف أنه كان يقول أحدهم: ما عالجت نفسي على شيء أشد من معالجة النية، لأن الإنسان قد يطمع في مراءات الناس وتزيين العمل لأجلهم، فهذا الرياء الذي هو شرك بالله، ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [سورة الكهف:١١٠]، ﴿عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ أي خالصاً لله موافقا لشريعة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وكم يدخل الشيطان على الإنسان من هذا الباب، فتراه يجتهد في الأعمال الصالحة، ويبذل فيها وسعه، ويتعب فيها، ويكرِّس جهوده، ثم يُدخِل عليه الشيطان هذه النية فيُفسِد عمله، ويُرَدُّ عليه، ولا يقبله الله منه بل يكون آثما واقعاً في الشرك بالله.

[حكم الرياء]

قال أهل العلم في قول النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ**»، قالوا: يكون الرياء شركاً أصغر إذا كان يسيراً، ولذا يمثل العلماء للشرك الأصغر بيسير الرياء، أما لو كان الرياء كثيراً، واستولى على أعمال العبد؛ فإن هذا -والعياذ بالله- يوقعه في الشرك الأكبر، حيث يكون قد صرف العبادة لغير الله، وهذا شرك المنافقين الذين قال الله تعالى عنهم: ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ﴾ [سورة النساء:١٤٢] أي لأجل الناس يقومون، وقال النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**أَثْقَلُ الصَّلَاةِ عَلَى الْمُنَافِقِينَ الْعِشَاءُ وَالْفَجْرُ وَلَوْ يَعْلَمُ أَحَدُهُمْ أَنَّهُ**

يَجِدُ عَرْقًا سَمِينًا، أَوْ مِرْمَاتَيْنِ حَسَنَتَيْنِ -أي شيئًا من اللحم والطعام يأكله- **لشهدَهما**». لو يعلم أحد هؤلاء المنافقون أنه يجد طعامًا لشهد صلاة الفجر وصلاة العشاء؛ لأنه ليس له باعث إلىٰ العمل الصالح من إرادة وجه الله، وإنما الباعث له إرادة الدنيا أو المراءاة.

فـنَعَم، عباد الله، الشرك الأصغر هو يسير الرياء، وأما إذا عَظُم في أعمال العبد فهذا خطير عليه، ومع ذلك يفسد عبادته.

[حكم العمل إذا خالطه الرياء]

فالرياء إذا دخل العبادة أفسدها، قال: أهل العلم وإفساد الرياء للعبادة له أحوال، لأن ظاهر الأحاديث المتقدمة أن عبادته باطلة مردودة عليه في كل حال، كحديث: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**»، وحديث: يقول الله للمرائين يوم القيامة: «**اذهبوا إلىٰ الذين كنتم تراءونهم في الدنيا، انظروا هل تجدون عندهم جزاء**»، فظاهر هذه الأحاديث أن عمله باطل ومردود عليه ولا يجزيه الله تعالىٰ ثوابًا عليه، بل هو متوعد بالإثم والعقوبة علىٰ الرياء فيه، ولكن قد جاء في أدلة ما يبين أن في ذلك تفصيلا:

قال أهل العلم: إن كان الباعث للعبد علىٰ العبادة هو الرياء، بمعنىٰ أنه مِن أول ما قام إليها كان المقيم له هو إرادة نظر الناس إليه، وإرادة ثنائهم عليه، وليس له نية في إرادة وجه الله، ليس له نية في طلب الثواب والأجر بذلك العمل، وإنما الباعث له هو

الرياء، فهذا لا شك في بطلان عمله، فعملُه كلُّه باطل ولا يجزيه الله تعالىٰ عليه شيئًا من الأجر والثواب.

وأما إن كان الباعثُ له إرادةَ وجه الله ثم طرأ عليه الرياء في أثناء العبادة كما يطرأ لكثير من المسلمين، يبدأها خالصة ثم يدخلها الرياء حين علم أن الناس ينظرون إليه، فهنا إن كان آخر هذه العبادة لا ينبني علىٰ أولها فما كان خالصًا لله فهو صحيح مقبول وما وقع فيه الرياء فهو مردود، قال أهل العلم: كالصدقة، إنسان يريد أن يتصدق بألف فتصدق بنصف الألف بخمس مئة خالصًا لله، ثم أراد أن يتصدق بنصف الألف الثاني فعلم أن الناس ينظرون إليه فتصدق لأجل نظرهم إليه، فالنصف الأول صحيح مقبول، والنصف الثاني باطل مردود؛ لأن آخر هذه العبادة لا ينبني علىٰ أولها بل هي منفصلة.

وأما إذا كان آخر العبادة مبنيًا علىٰ أولها وكانت متصلةً بعضها ببعض كالصلاة، فإن قام يصلي خالصًا لله ثم طرأ عليه الرياء في أثناء صلاته فصلاته كلها باطلة؛ لأنه لا يصح أولُّ العبادة إلا بصحة آخرها، ولا يصح آخرها إلا بصحة أولها، فإذا طرأ عليه الرياء في جزء من أجزاء تلك العبادة أبطل تلك العبادة وأفسدها بما طرأ عليه من الرياء.

هذا إذا سكن إلىٰ الرياء ورضي به واطمأنت نفسه إليه، وأما إذا طرأ الرياء علىٰ الإنسان فدافعه، ولم يسكن إليه، ولم يرضَ به، بل دافعه واستعاذ بالله تعالىٰ منه، فهذا لا شيء عليه، بل هو مأجور علىٰ مدافعته للشيطان ووسوسته، وهذا قد يقع للإنسان،

أن يطرأ عليه شيء من مراءاة الناس فيدفع ذلك ويستعيذ بالله -جل وعلا- ويطلب من الله تعالىٰ أن يسلِّمه، فهذا لا يؤثر عليه ولا يضره.

أيضًا ليس من الرياء ما يطرأ بعد العمل، بعد إتمامه وإكماله، فيفرح به الإنسان أو يثني عليه الناس به ويمدحونه، وهو قد عمله خالصًا لله فهذا لا يضره، فقد جاء في صحيح مسلم (٢٦٤٢ -١٦٦-) عن أبي ذر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنهم قالوا للنبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: أَرَأَيْتَ الرَّجُلَ يَعْمَلُ الْعَمَلَ مِنَ الْخَيْرِ وَيَحْمَدُهُ النَّاسُ عَلَيْهِ؟ قَالَ: «**تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَىٰ الْمُؤْمِنِ**».

الصحابة سألوا النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يا رسول الله أحدنا يعمل العمل من الخير فيثني عليه الناس به ويمدحونه بذلك العمل، وهو عمِلَه خالصًا لله من أوله إلىٰ آخره، هل ذاك من الرياء؟ قال: تلك عاجل بشرىٰ المؤمن، أي أن هذا لا يضره وليس من الرياء، وإنما هو مما يُجريه الله من الثناء الحسن علىٰ ألسن العباد؛ إكرامًا من الله تعالىٰ لمن شاء من خلقه.

وجاء في مسند الإمام أحمد (١١٤) أيضًا عن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**مَنْ سَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ وَسَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ، فَهُوَ مُؤْمِنٌ**». فالمؤمن يعمل الحسنة ثم تسُرُّه ويفرح بها دون إعجاب أو كِبر، ولكن يفرح بطاعة الله، أن وفَّقه لذلك وأعانه عليه، فليس هذا من الرياء، ولكن هذا دليل الإيمان.

فالرياء ما يطرأ علىٰ الإنسان قبل العمل ويكون هو المحرِّك له إلىٰ العمل، أو يطرأ عليه في أثناء العمل فيسترسل معه ويطمئن إليه ولا يدفعه، فهذا هو الرياء الذي يؤثر

علىٰ عبادة الإنسان، وأما ما كان بعد العبادة من فرح بها وسرور بأدائها، ومن ثناء يجريه الله تعالىٰ علىٰ ألسن عباده، فهذا من بشرىٰ الله -جل وعلا- لعبده المؤمن وليس من الرياء.

والحمد لله رب العالمين

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا وحده لا شريك له، وأشـهد أن محمـداً عبده ورسوله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليما كثيراً.

أيها الناس، أيضـًا من الأفعال التي تنافي توحيد الله تعالىٰ وهو متعلق بما قبله **أن يريد الإنسان بعمله شيئـًا من الدنيا**، وهذا أعم من الرياء؛ فإن الرياء يريد من الناس ثناء وذكراً حسنـًا، وأما إرادة الدنيا فإنه أشمل من ذلك، فيعمل الطاعة لأجل أن يحصل علىٰ المال، يعمل الطاعة لأجل أن يحصل علىٰ منصب، يعمل الطاعة لأجل أن ينال شيئـًا من حطام الدنيا، وهذا قد حذرنا الله تعالىٰ منه في آيات كثيرة من القرآن، قال الله سبحانه ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا﴾ يريد بأعماله الصالحة متاع الدنيا: ﴿نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا وَهُمۡ فِيهَا لَا يُبۡخَسُونَ ١٥ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٦﴾ [سورة هود:١٥-١٦]، وقال الله سبحانه: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ نَزِدۡ لَهُۥ فِي حَرۡثِهِۦۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ٢٠﴾ [سورة الشورىٰ:٢٠]، ليس له نصيب ولا جزاء في الآخرة إذا أراد بعمله الدنيا، وقال تعالىٰ: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعَاجِلَةَ عَجَّلۡنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلۡنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصۡلَىٰهَا مَذۡمُومٗا مَّدۡحُورٗا ١٨ وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعۡيُهُم مَّشۡكُورٗا ١٩﴾ [سورة الإسراء:١٨-١٩]، فهذه الآيات تبين أنه يَحرُم علىٰ الإنسان

أن يريد بالطاعة الدنيا؛ لأن الطاعة يراد بها وجه الله، فالله -جل وعلا- أوجب علينا الإخلاصَ في العبادة، والإخلاصُ في العبادة أن نريد بها وجه الله -جل وعلا- لا نريد بها الدنيا، لا نريد بها ثناء ولا منصباً ولا مالاً ولا جاها، نريد بالعمل الصالح وجه الله -جل وعلا- والثواب الأخروي.

وأخبرَنا نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أن بعض الناس قد يسيطر عليه هذا الحال حتىٰ يصير عبداً من عباد الدنيا، ولا يكون عبداً لله -جل وعلا-، جاء في صحيح البخاري (٢٨٨٧) عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ وَالدِّرْهَمِ وَالْقَطِيفَةِ** -وهي نوع من الفراش- **وَالْخَمِيصَةِ** -وهي نوع من الثياب-، **إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ**»، وهذا دعاءٌ عليه، فهذا قد سيطر عليه هذا الحال وكانت نيته في إرادة الدنيا، حتىٰ سماه الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عبداً للدينار والدرهم، فيتحرك لأجل نَيْلِهِ، ويتعبَّد لأجل الوصول إليه، وهذا خطير علىٰ الإنسان؛ فكما أنه يُردُّ عليه عمله ولا يقبله الله تعالىٰ منه، فهو أيضا قد وقع في أمر عظيم، وقع في صرف هذه العبادة لغير الله -جل وعلا- حين نوىٰ بها شيئًا من حطام الدنيا.

قال أهل العلم: والعبادات بالنسبة لإرادة أمور الدنيا بها نوعان: **النوع الأول**: عبادات لم يُرتِّب الشارع عليها ثوابًا دنيويًا، إنما جاء فيها الثواب الأخروي، كالصلاة والصيام والحج ونحو ذلك من العبادات، فهذه لا يجوز إرادة الدنيا بها في حال من الأحوال.

والنوع الثاني: من العبادات عبادات رتَّب عليها الشارع ثوابًا دنيويًا، كقول النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ**».[(١)] فهذا فيه أن صلة الرحم سبب في زيادة الرزق وطول العمر، وهذا ثواب دنيوي، وقال النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أيضًا: «**مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا** -أي من المشركين في الجهاد- **فَلَهُ سَلَبُهُ**».[(٢)] والسَّلَبُ: ما يكون علىٰ المقاتل من ثياب أو سلاح ونحو ذلك مما هو محمول علىٰ جسده، وهذا ثواب دنيوي.

قال العلماء: فيجوز نية هذا الثواب الدنيوي في تلك الأعمال علىٰ سبيل التبع لا علىٰ سبيل الأصل، فيكون القصد الأول هو إرادة وجه الله والتقرب إليه، يَصِلُ رحِمَه لإرادة ثواب الآخرة ولإرضاء الله -جل وعلا-، ثم إن جاءت هذه النية أنه يصله أيضًا لزيادة الرزق وطول العمر تبعًا لا أصلاً فهذا جائز، هكذا يقاتل الكفار ويخرج إلىٰ الجهاد لإرادة نصرة الإسلام ولتكون كلمة الله العليا، ثم يَعْمِدُ إلىٰ رجل من المشركين يقتله لأجل إذلال الكفر وكسر شوكته وإعزاز الإسلام، وينوي أن يأخذ سلبه تبعًا لا أصلاً، فهذا جائز ولا يُؤَثِّر عليه.

وأما إن نوىٰ بهذه العبادات الدنيا أصلاً فإنها لا تقبل منه، ويكون قد وقع في الأمر الحرام، جاء في سنن أبي داود (٢٥٢٧) عن يعلىٰ ابن مُنْيَة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: أَذَّنَ رَسُولُ

---

(١) رواه البخاري(٥٩٨٦) ومسلم(٢٥٥٧ -٢١-) عن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) رواه البخاري(٣١٤٢) ومسلم(١٧٥١ -٤١-).

اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْغَزْوِ وَأَنَا شَيْخٌ كَبِيرٌ -أي أنه لا يستطيع الغزو-، لَيْسَ لِي خَادِمٌ -أي لأجل أن يغزو بدلا عنه-، فَالْتَمَسْتُ أَجِيرًا يَكْفِينِي وَأُجْرِي لَهُ سَهْمَهُ، فَوَجَدْتُ رَجُلًا، فَلَمَّا دَنَا الرَّحِيلُ أَتَانِي فَقَالَ: مَا أَدْرِي مَا السُّهْمَانُ وَمَا يَبْلُغُ سَهْمِي، فَسَمِّ لِي شَيْئًا كَانَ السَّهْمُ أَوْ لَمْ يَكُنْ. فَسَمَّيْتُ لَهُ ثَلَاثَةَ دَنَانِيرَ، فَلَمَّا حَضَرَتْ غَنِيمَتُهُ أَرَدْتُ أَنْ أُجْرِيَ لَهُ سَهْمَهُ، فَذَكَرْتُ الدَّنَانِيرَ، فَجِئْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرْتُ لَهُ أَمْرَهُ، فَقَالَ: «**مَا أَجِدُ لَهُ فِي غَزْوَتِهِ هَذِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ إِلَّا دَنَانِيرَهُ الَّتِي سَمَّى**». أي ليس له نصيب من هذه الغنيمة التي غنم، وليس له ثواب في الآخرة، وما له إلا تلك الثلاثة الدنانير التي خرج لأجلها، فبيَّن الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أنه إذا كان الباعثُ على العمل إرادةَ الدنيا، وإن كان في أعمال قد رُتِّب عليها ثواب دنيوي، لكن كونه يكون مريداً للدنيا أصلاً، لا ينفعه ذلك، ولا يقبل الله تعالىٰ منه عمله، ولا يثيب عليه.

فاحذر أيها المسلم علىٰ أعمالك الصالحة، احذر من الأمرين جميعا، احذر من الرياء: أن تُزيِّن الأعمال وتحسِّنها أو أن تقوم بها لأجل أن ينظر إليك الناس فيثنون عليك.

واحذر أن تُسَخِّر الأعمال الصالحة لنيل الدنيا، احذر أن تسخر الأعمال الصالحة لنيل وظيفة أو لنيل منصب أو لنيل مال، احذر أن تتعلم العلم الشرعي لأجل أن تصل إلىٰ منصب أو إلىٰ مال تحصل عليه أو إلىٰ أمر من أمور الدنيا، احذر أن تجاهد لأجل أن تحصل علىٰ راتب أو غنيمة، وهكذا كلُّ الأعمال الصالحة من قراءة القرآن

والصلاة بالناس إماماً وإقامة الأذان وغيرها من الأعمال، لا يجوز أن يقوم بها الإنسان لأجل الدنيا.

هكذا الحج لا يجوز للإنسان أن يذهب إلىٰ الحج عن غيره قاصداً أَخْذَ المال أو ما يعطيه من يوَكِّلُه، وليس له نية في العبادة وإنما يريد جمع المال، كلُّ ذلك من إرادة الدنيا بالعمل الصالح التي تجعله مردودا علىٰ صاحبه، والتي تجعل عمله هذا منافياً لتوحيد الله سبحانه وتعالىٰ.

نسأل الله -جل وعلا- أن يعيننا علىٰ ذكره وشكره وحسن عبادته.

اللهم إنا نسألك الهدىٰ والتقىٰ والعفاف والغنىٰ.

اللهم آت نفوسنا تقواها وزكها أنت خير من زكاها.

اللهم اغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين وأذل الكفر والكافرين.

اللهم من أراد المسلمين بسوء فاجعل كيده في نحره.

اللهم اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا علىٰ القوم الكافرين.

والحمد لله رب العالمين.

١٤/ رجب/ ١٤٤٥هجرية

أمور تنافي التوحيد١٣

تصوير ذوات الأرواح، والبناء على القبور

إن الحمد لله، نحمده تعالىٰ ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

اعلموا أن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس، كان مما تقدم ذكره بعض الأمور التي تنافي توحيد الله سبحانه وتعالىٰ، سواء كانت من الأقوال أو من الأفعال، وإن من الأفعال التي تنافي توحيد الله سبحانه وتعالىٰ:

تصوير ذوات الأرواح، هذا الذنب العظيم والمعصية الكبيرة التي تواترت أحاديث السنة في النهي عنها، هي مما ينافي توحيد الله سبحانه وتعالىٰ، ومنافاتها للتوحيد من وجهين:

الوجه الأول: أن الخلق والتصوير من خصائص الله -جل وعلا-، فالله -جل وعلا- هو الخالق وهو الخلَّاق، والله -جل وعلا- هو المُصَوِّر ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾ [سورة الحشر:٢٤] والخلق والتصوير من أفعاله -جل وعلا-، ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ﴾ [سورة الأعراف:١١] ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [سورة آل عمران:٦]، فالمصور إذاً يكون متشبها بالله -جل وعلا-، ويجعل نفسه مشاركا لله تعالىٰ في أمرٍ هو من خصائصه -جل وعلا-، فهو ينافي توحيد الله سبحانه وتعالىٰ في ربوبيته من هذا الوجه.

والوجه الثاني: أن التصوير من أسباب وقوع الشرك وانتشاره في هذه الأمة وفي الأمم السابقة، فهو ينافي توحيد الله تعالىٰ في ألوهيته وصرف العبادة له، بحيث أنه كان ذريعة ووسيلة إلىٰ صرف العبادة لغيره سبحانه وتعالىٰ.

فمن هذين الوجهين كان هذا الذنب منافياً لتوحيد الله تعالىٰ.

أما الوجه الأول: وهو أن فيه مشاركة لله تعالىٰ فيما هو من خصائصه، وأن فيه مشابهة لله -جل وعلا- في أفعاله، فأدلته كثيرة منها: ما أخرجه البخاري (٥٩٥١)، ومسلم (٢١٠٧ -٩٦-) عن ابن عمر وبنحوه عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِنَّ أَصْحَابَ هَذِهِ الصُّوَرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُعَذَّبُونَ، فَيُقَالُ لَهُمْ: أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ**». يقال لهم: هذا خلقٌ خلقتموه؛ فأحيوا ما خلقتم.

وجاء في الصحيحين[(١)] عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَنْ صَوَّرَ صُورَةً فِي الدُّنْيَا كُلِّفَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنْ يَنْفُخَ فِيهَا الرُّوحَ، وَلَيْسَ بِنَافِخٍ**». فمن صور صورة فيكون قد خلق خلقًا فيعذبه الله تعالىٰ يوم القيامة بكل صورة صورها، ويقال لهؤلاء المصوِّرين: أحيوا ما خلقتم. ويُكلَّفون أن ينفخوا فيها الأرواح.

وجاء في الصحيحين[(٢)] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي** -أي بالتصوير-، **فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً أَوْ لِيَخْلُقُوا شَعِيرَةً**».

وهكذا جاء في الصحيحين[(٣)] عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ يُضَاهُونَ بِخَلْقِ اللهِ**». أي يشابهون خلق الله، ولذا جاء في رواية مسلم (٢١٠٧ -١٩-): «**الَّذِينَ يُشَبِّهُونَ بِخَلْقِ اللهِ**».

---

(١) البخاري(٥٩٦٣)، ومسلم(٢١١٠ -١٠٠-).

(٢) البخاري(٧٥٥٩)، ومسلم(٢١١١ -١٠١-).

(٣) البخاري(٥٩٥٤)، ومسلم(٢١٠٧ -٩٢-).

فهذا الذنب فيه منازعة لله -جل وعلا- فيما هو من خصائصه، فالله -جل وعلا- هو المصور، والتصوير من أفعاله سبحانه وتعالىٰ، فليس لأحد أن ينازع الله تعالىٰ فيما هو من خصائصه، ومن فعل ذلك عذَّبه الله يوم القيامة وكلَّفه أن يحيي هذه الصورة التي خلقها.

وأما الوجه الثاني: وهو أن التصوير من ذرائع ووسائل انتشار الشرك، فقد جاء في صحيح مسلم عن أبي الهياج الأسدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو من التابعين أن عليًا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال له: (أَلَا أَبْعَثُكَ عَلَىٰ مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ لَا تَدَعَ صُورَةً إِلَّا طَمَسْتَهَا، وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ). فذكر الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في هذا الحديث أمرين من وسائل الشرك وذرائعه، وقَرَنَ بينهما؛ لأن الشرك في غالب الأحوال يقع بسبب أحد هذين الأمرين: الأول: (ألّا تدع صورة إلا طمستها) والثاني: (ولا قبراً مشرفًا إلا سويته). أي قبراً مرتفعًا إلا سويته.

فالنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بعث عليًا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بذلك: (ألا تدع صورة إلا طمستها)، قال أهل العلم: إن كانت الصورة بالألوان فتُطمَس بالألوان، وإن كانت من التماثيل المنحوتة فطَمْسُها بتكسيرها، وإذا كُسر الرأس زالت الصورة.

وأمره النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بطمس الصور لأن هذه الصور وقع الشرك بسببها في كثير من الأحوال، وقع في الأمم السابقة كما وقع في هذه الأمة، فقوم نوح صوَّروا صُوَرَ أناس صالحين ليتذكروا عبادتهم ثم عبدوهم من دون الله، ولما جاءهم نوح ينهاهم عن عبادتهم زعموا أنهم من الصالحين: ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا

﴿وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾ [سورة نوح:٢٣]، وهذه خمسة أسماء لأناس من الصالحين، فوقع الشرك في ذلك الزمان بعبادة الصور والأنصاب التي نصبوها لهم.

هكذا وقع الشرك في هذه الأمة، بل أول دخولٍ للشرك إلىٰ الجزيرة إنما كان بالصور، فقد جاء عمرو بن لُحَي بصورٍ لبعض الأصنام إلىٰ جزيرة العرب ووزعها في أرجاء الجزيرة؛ فوقع الشرك وعُبدت من دون الله سبحانه وتعالىٰ.

وكان من الصور التي عبدها الناس في ذلك الزمان صورة لرجل كان يعمل المعروف للحُجَّاج وهو اللات، قال الله تعالىٰ: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾﴾ [سورة النجم:١٩]، جاء في التفسير عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا وغيره: أنه كان رجلاً صالحًا يَلُتُّ السويق للحجاج، فلما مات بنوا له نُصُبًا يتذكرونه به ثم عبدوه من دون الله سبحانه وتعالىٰ، وكم يحصل مثل هذا اليوم: تُجعَل أنصبة وصور وتماثيل لبعض العظماء أو لبعض القادة أو لبعض الرؤساء أو لبعض من قُتل في الجهاد، وإذا نهيتَ الفاعل لذلك الأمر قال: نحن نفعل هذا لأجل أن نتذكره فندعو له، ونتذكر شجاعته وإقدامه، وما علم المسكين أن الشرك بالله إنما وقع في كثير من الأحوال بهذا السبب.

وهكذا النصارىٰ يعبدون الصور، فيجعلون صورة امرأة حاملة لطفل، ويزعمون أنها مريم وابنها عيسىٰ، ويعبدونها من دون الله سبحانه وتعالىٰ.

وهكذا في كثير من الديانات، بل لا تكاد تجد ديانة ممن يعبد غير الله إلا ولهم بعض التصاوير والأنصبة والتماثيل التي يعبدونها من دون الله سبحانه وتعالىٰ.

فالصور إذاً كانت سبباً رئيسياً في انتشار الشرك بالله -جل وعلا-، فلذا كان التصوير لما له روح من سائر الحيوانات أو بني آدم من أسباب الشرك، وأما تصوير ما لا روح فيه فليس داخلا في ذلك، وإنما تصوير ما له روح هو الذي أوقع في الشرك بالله في كثير من الأحوال، وهكذا فيه منازعة لله سبحانه وتعالىٰ فيما هو من خصائصه، فلذا كان التصوير لذوات الأرواح منافياً لتوحيد الله سبحانه وتعالىٰ.

وكم يتساهل الناس بهذا الأمر، وكم انخرط فيه من أناس، دون ورع ولا خوف من مثل هذه الأدلة، ولا خوف مما يترتب علىٰ هذا الفعل من العواقب السيئة التي قد تُوقع الشرك بالله بسبب هذا الفعل، فنسأل الله تعالىٰ أن ينجينا من الفتن.

والحمد لله رب العالمين.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليما كثيراً.

أيها الناس، أيضـًا من الأفعال المنافية لتوحيد لله تعالىٰ ما ذُكِرَ في حديث علي بن أبي طالب المتقدم: «**وَأَنْ لَا تَدَعَ قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ**». (مشرفًا) أي مرتفع البناء (إلا سويته) قال بعض العلماء: سوَّيتَه بما حوله من القبور فلا يكون بارزاً مرتفعـًا دونها، أو إلا سويته بالأرض بحيث يكون ارتفاعه شيئـًا يسيراً علىٰ مقدار ما جاءت به الشريعة، فهذا الأمر وهو رفع بناء القبور وتشييدها مما ينافي توحيد الله تعالىٰ.

ووجه منافاته للتوحيد أنه من وسائل الشرك وذرائعه وأسباب انتشاره، وكم وقع الشرك في هذه الأمة بسبب هذه الفتنة العظيمة فتنة القبور وتشييدها وبنائها وتعظيمها، فوقع ملايين ممن ينتسب إلىٰ الإسلام في الشرك بالله سبحانه وتعالىٰ بسبب فتنة القبور، بسبب فتنة تشييدها وبنائها، وقع في قلوبهم من تعظيمها ومحبتها والتعلق بها ما لا يكون إلا لله سبحانه وتعالىٰ.

وقد ذكر الإمام الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن رجلاً في ذلك الزمان من عامة الناس أتىٰ إلىٰ بعض القبور ورأىٰ ما فيه من البناء والتشييد والزخارف، ورأىٰ فيه الستور والأضواء والروائح الطيبة، فلما وصل إليه لم يملك نفسه أن قال: (أمسيت بالخير يا أرحم الراحمين). فانظر كيف فعل بناء القبور وتشييدها بقلب هذا المسكين! حتىٰ اعتقد أن هذا المقبور هو الله –جل وعلا–، وصار يخاطبه بما لا يكون إلا لله سبحانه وتعالىٰ،

فهذه الفتنة وقعت في هذه الأمة ووقع الشرك بسببها كثيراً، وهي من سنة اليهود والنصارى، فهم الذين يرفعون القبور ويشيِّدونها، أما المسلمون فالسُّنَّة في القبور عندهم تسويتها وألا تُرفع، وإنما يُرفع القبرُ يسيراً بمقدار ما يتميز عن الأرض ويُعلم أنه قبر، وأما بناؤه وتشييده فقد نهى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يُبنى على القبر، وكذلك زخرفته ورفعه قد نهى عنه الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وبعث علياً ليسوي القبور وأمره أن لا يجعل قبرا مرتفعا إلا سواه.

وهكذا إدخالها في المساجد أو بناء المساجد والقباب على القبور من سنة اليهود والنصارى التي وقعت فيه هذه الأمة، قال النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كما في الصحيحين[1] عن ابن عباس وعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْيَهُودِ، وَالنَّصَارَى ؛ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**». أي جعلوا القبور مساجد.

وفي الصحيحين[2] عن أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال: «**أُولَئِكِ إِذَا مَاتَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ، بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا، وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكِ الصُّوَرَ، أُولَئِكِ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللهِ**».

(١) البخاري(٤٣٦)، ومسلم(٥٣١ -٢٢-).

(٢) البخاري(٤٣٤)، ومسلم(٥٢٨ -١٦-).

وعند الإمام أحمد (٤٣٤٢) وابن حبان (٦٨٤٧) عن ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**إِنَّ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ مَنْ تُدْرِكُهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاء، وَالَّذِينَ يَتَّخِذُونَ قُبُورَهُمْ مَسَاجِدَ**».

وفي صحيح مسلم عن جندب بن عبد الله رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِخَمْسٍ، وَهُوَ يَقُولُ: «**أَلَا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ، إِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ**».

وجاء عن النبي عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ أنه قال: «**اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ، اشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَلَىٰ قَوْمٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**»[(١)].

فكم حذَّرَنا الرسول عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ من هذه الفتنة العظيمة التي عمَّت وطمَّت اليوم في بلدان المسلمين، فكم هي الطوائف التي تدعو إلىٰ تعظيم القبور وتشييدها ورفع بنائها؟ كم هي الطوائف التي تدعو إلىٰ بناء المساجد والقباب عليها أو إدخالها في المساجد؟ كم يفعل ذلك الرافضة في بلاد المسلمين؟ وكم يفعل ذلك الصوفية في بلاد المسلمين؟ وكم يفعل ذلك بعض الجهلة في بلاد المسلمين؟ فشُيِّدت القبور وعُمرت ورُفع بناؤها؛ فافتتن بها الناس، ووقع التعظيم لها في قلوبهم، وانتشر الشرك بالله تعالىٰ بسبب ذلك.

---

(١) رواه مالك في "الموطأ" (٤٧٥) عن عطاء بن يسار رَحِمَهُٱللَّهُ، وتقدم تخريجه.

فهذان الأمران من أعظم الأمور التي انتشر الشرك بسببها: تصوير ذوات الأرواح، ورفع بناء القبور وتشييدها، فلا يجوز للمسلمين ذلك بل يجب عليهم أن يمتثلوا وصية الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: (ألا تدع صورة إلا طمستها)، فأينما وجدوا الصور طمسوها، إن كانت رسوما ذات ألوان طمسوها بالألوان، وإن كانت ذات بناء ونحت طمسوها بكسرها، وهكذا إذا رأوا قبراً مشرفاً سوَّوا القبر، إذا رأوا القبر قد رُفع بناؤه أزالوا ذلك البناء، إذا بنيت عليه قبة هدموا تلك القبة، أو بني عليه مسجد يُهدم ذلك المسجد، وإن كان القبر أُدخل في المسجد والمسجدُ موجودٌ قبلَه يُخرَج ذلك القبر من المسجد إلى مقابر المسلمين، وبهذا يزول شرٌّ كثير بإذن الله، وهذا من أعظم واجبات ولي أمر المسلمين التي سيسأله الله عنها، وأما التساهل في ذلك فإنه من ذرائع وقوع الشرك وأسبابه، نسأل الله -جل وعلا- أن يجنب المسلمين كل شرٍّ وفتنة، اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى.

اللهم آتِ نفوسنا تقواها وزكِّها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها.

اللهم اغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين اللهم أذل الكفر والكافرين اللهم عليك باليهود والنصارى والرافضة الزنادقة المعتدين، اللهم عليك بهم يا قوي يا متين.

اللهم انصر المستضعفين من المسلمين في كل مكان.

اللهم أنجِ المستضعفين من المسلمين في فلسطين وفي سائر بلاد المسلمين.

اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى.

اللهم إنا نعوذ بك من الفتن ما ظهر منها وما بطن.

اللهم اصرف عنا وعن بلادنا وسائر بلاد المسلمين الفتن.

اللهم وفق أئمتنا وولاة أمورنا لما فيه خيرٌ للعباد والبلاد

والحمد لله رب العالمين

٢١/ رجب/ ١٤٤٥هجرية

أمور تنافي التوحيد١٤

الزيارات البدعية والشركية للقبور

إن الحمد لله، نحمده تعالىٰ ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

اعلموا أن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس، كان مما مضىٰ ذكرُه والحديثُ عنه أمورٌ تنافي توحيد الله سبحانه وتعالىٰ، ولا يزال الحديث متصلاً بذلك في ذكر الأمور المنافية لتوحيد الله سبحانه وتعالىٰ، فمن الأمور المنافية للتوحيد والتي زلَّ بسببها كثير من المسلمين:

الزيارات المُحرَّمة للقبور، سواء كانت من الزيارات البدعية التي هي من وسائل الشرك وأسبابه، أو كانت من الزيارات الشركية.

وقد شرع لنا نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ زيارة القبور ورغَّبنا في ذلك، كما حذَّرنا من الزيارات المخالفة، فزيارة القبور ليست مشروعة في كل الأحوال، ولا ممنوعة في كل الأحوال، بل إنَّ ذلك راجع إلىٰ نية الزائر، وما يقوم به من الأفعال والأقوال أثناء زيارته.

وقد كان النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في أول الإسلام نهىٰ عن زيارة القبور مطلقًا، ومنع الناس منها سَدًّا لذرائع الشرك، فلما تمكَّن التوحيد في القلوب وعُرف عند المسلمين، أذن النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في زيارتها، جاء في صحيح مسلم (٩٧٧ -١٠٦-) عن بريدة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَزُورُوهَا**». أي كنتُ نهيتكم عن ذلك في أول الأمر لما يُخشىٰ من الافتتان بها، وأما بعد أن علمتم التوحيد وتمكَّن في قلوبكم فزوروها، فشَرَع النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ زيارتها.

بل كان يفعل ذلك، ويعلِّم أصحابه، جاء في صحيح مسلم (٩٧٤ -١٠٢-) عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أنها قالت: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -كُلَّمَا كَانَ لَيْلَتُهَا مِنْهُ- يَخْرُجُ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ إِلَىٰ الْبَقِيعِ -مقبرة المسلمين في ذلك الزمان وهي بجانب المسجد

النبوي- فيقول: «السَّلامُ عَلَيْكُمْ دارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَأَتَاكُمْ مَا تُوعَدُونَ غَدًا مُؤَجَّلُونَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِأَهْلِ بَقِيعِ الْغَرْقَدِ».

وهكذا جاء في صحيح مسلم (٩٧٦ -١٠٨-) عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: زَارَ النَّبِيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَبْرَ أُمِّهِ فَبَكَىٰ، وَأَبْكَىٰ مَنْ حَوْلَهُ ثُمَّ قَالَ: «اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي فِي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لَهَا، فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي، وَاسْتَأْذَنْتُهُ فِي أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا، فَأُذِنَ لِي، فَزُورُوا الْقُبُورَ؛ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الْمَوْتَ».

جاء عند أحمد (١٢٣٦) في رواية: «فَزُورُوهَا؛ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُكُمُ الْآخِرَةَ». فإذًا كان عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ يفعل ذلك، فيزور قبر أمه، ويزور قبور المسلمين، ويخرج في كل ليلة تكون لعائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا لزيارة قبور المسلمين، لقصد الدعاء لهم كما بيَّنته رواية مسلم (٩٧٤ -١٠٣-) أن جبريل -عليه السلام- أتاه فقال له: «إِنَّ رَبَّكَ يَأْمُرُكَ، أَنْ تَأْتِيَ أَهْلَ الْبَقِيعِ، فَتَسْتَغْفِرَ لَهُمْ».

وهكذا كان عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ يعلِّم أصحابه، جاء في صحيح مسلم (٩٧٥ -١٠٤-) عن بريدة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: كان النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يعلِّمنا إذا أتينا القبور أن نقول: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَالْمُسْلِمِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ لَلَاحِقُونَ، أَسْأَلُ اللهَ لَنَا وَلَكُمُ الْعَافِيَةَ».

وفي صحيح مسلم أيضًا (٩٧٤ -١٠٣-)، أن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا سألت النبي عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ يا رسول الله إذا أتيتُ القبور فكيف أقول؟ قال: «قُولِي: السَّلَامُ عَلَىٰ

أَهْلِ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَيَرْحَمُ اللهُ الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنَّا وَالْمُسْتَأْخِرِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لَلَاحِقُونَ».

فبَعْدَ أن نهاهم الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في أول الإسلام أباح لهم الزيارة، وفَعَلَها، وعلَّمهم ماذا يقولون إذا زاروها، من السلام علىٰ الموتىٰ والدعاء لهم بالمغفرة والرحمة والعافية.

قال أهل العلم: زيارة القبور تكون زيارة مشروعة مرغباً فيها إذا كانت لأحد ثلاثة مقاصد[1]:

المقصد الأول: أن يزورها للعمل بالسنة، تأسيا بالرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فهو الذي زارها للدعاء لأهلها، وهو الذي حثَّ علىٰ ذلك، فزيارتها لقصد التأسي بالنبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ولقصد العمل بسنته زيارة مشروعة.

القصد الثاني: أن يزورها لتذكُّر الموت والدار الآخرة وللاتعاظ والاعتبار بحال أهل القبور، فهذه أيضاً زيارة مشروعة كما تقدم في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**فزوروا القبور فإنها تذكر الموت**». وفي رواية أحمد: «**فإنها تذكركم الآخرة**» والموت هو أول منازل الآخرة، فإذا زارها المسلم ليتعظ بحال أهلها كانت زيارة مشروعة، وهذا مما يحتاج إليه المسلم ومما ينتفع به أن يأتي القبور زائراً فيتذكر حالهم

(١) انظر "إغاثة اللهفان" لابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ (١/ ٣٩٢).

وأنهم قد عاشوا مع الناس وأنهم قد بقوا في هذه الدنيا ما شاء الله من الزمان، ثم صاروا إلىٰ ما صاروا إليه.

القصد الثالث: أن يزور القبور للدعاء لأهلها وسؤال المغفرة الرحمة والعافية لهم، فهذه أيضًا زيارة مشروعة، وقد أمر جبريلُ نبيَّنا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أن يخرج فيدعو لأهل البقيع ويستغفر لهم، وهكذا علَّم النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أصحابه أن يسألوا لهم العافية، وكان يدعو لهم بالمغفرة، فإذا زار المسلم القبور للدعاء لأهلها ونفعهم كانت هذه زيارة مشروعة.

فهذه الثلاثة المقاصد إذا كان قصد الزائر واحدا منها كانت زيارته مشروعة، وتتلخص هذه المقاصد: أنها تكون في نفع الإنسان لنفسه ونفعه لغيره، فينفع نفسه بالعمل بالسنة، والاتعاظ بحال الموتىٰ، وينفع إخوانه المسلمين من المقبورين بالدعاء لهم وسؤال المغفرة والعافية، كما كان نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

وهذا يبيِّن لنا أن المقبور محتاج إلىٰ الحي وليس الحيُّ محتاجًا إلىٰ المقبور، فالذي في القبر محتاج إلىٰ الحي أن يدعو له وأن يستغفر له وأن يتصدق عنه، وليس الحي محتاجًا إلىٰ صاحب القبر، كما هي عقيدة كثير من أهل الضلال، فإن الميت قد فارق الحياة وصار لا يملك من الأمر شيئًا، فهو بحاجة إلىٰ الأحياء وليس الأحياء بحاجة إليه.

وأيضًا بهذا نعلم أن السنة في زيارة القبور هي الدعاء والاستغفار لأهلها والسلام عليهم، لا لقراءة القرآن عندهم أو قراءة سورة الفاتحة كما يفعله بعض الناس، فهذا

ليس من المشروع في زيارة القبور، ولكنَّ المشروع أن يزورها للدعاء لأهلها والاستغفار لهم.

والحمد لله رب العالمين.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليما كثيراً.

أيها الناس، هذه هي الزيارة الشرعية للقبور التي تكون لأحد هذه المقاصد الثلاثة، وهناك من الزيارة ما هو ممنوع مُحرَّم في الشرع، وهو علىٰ درجتين:

١- إما أن يكون بدعة مُحرَّمةً.

٢- وإما أن يكون شركًا.

فالزيارة البدعية المحرمة؛ أن يزور القبور لعبادة الله تعالىٰ عندها، يزور القبور للصلاة عندها، فيصلي لله ولكنه يخصِّص تلك البقاع بالصلاة، وكذلك يفعل الدعاء لله والذبح لله -جل وعلا- وقراءة القرآن لله، ولكنه يتحرىٰ فعل هذه العبادات عند هذه القبور، ويعتقد أن في التعبد لله تعالىٰ في تلك البقاع بركة، أو أن العبادة في تلك المواضع أرجىٰ للقبول، أو أن العبادة في تلك المواضع لها أثر ومزيَّة تجعلها أفضل من عبادة الله تعالىٰ في غير تلك البقاع، فهذا من البدع التي لم يفعلها النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ولا أصحابه ولا سلف الأمة، ولا حثَّ عليها ولا رغبَّ فيها.

بل كان عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يُحذِّر من ذلك، فقد أتاه رجل فقال: يا رسول الله إِنِّي نَذَرْتُ أَنْ أَنْحَرَ إِبِلًا بِبُوَانَةَ -وهو موضع من المواضع، نذر أن ينحر تلك الإبل في ذلك الموضع-، قال له الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**هَلْ كَانَ فِيهَا وَثَنٌ مِنْ أَوْثَانِ الْجَاهِلِيَّةِ يُعْبَدُ؟**»، قَالُوا: لَا. قَالَ: «**هَلْ كَانَ فِيهَا عِيدٌ مِنْ أَعْيَادِهِمْ**». -هل ذلك الموضع يجتمع

فيه الناس لفعل شيء من أمور الجاهلية- قَالُوا: لَا. قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَوْفِ بِنَذْرِكَ»، (١).

مفهوم الحديث أنه إن كان فيها عيد من أعياد الجاهلية، أو وثن من أوثانهم يُعبَد من دون الله، أنه ينهاهم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عن ذبح الإبل في ذلك الموضع.

فالذي يُخصِّص القبور بالعبادات، ويذهب إلىٰ تلك الأماكن ليتعبد لله ويرىٰ أن هذا أرجىٰ للقبول، قد أتىٰ أمراً محرَّماً مخالفاً لسنة الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، بل هو من وسائل الشرك وذرائعه، فقد يراه الجاهل يصلي في ذلك الموضع أو يذبح في ذلك الموضع أو يدعو في ذلك الموضع فيظن أنه يفعل ذلك لصاحب القبر، يظن أنه يصلي ويذبح لصاحب القبر، يظن أنه يدعو صاحب القبر من دون الله، فيأتي الجاهل ويفعل ذلك ويكون الذي تسبَّب له في ذلك مَن ذَهَبَ يتعبد لله في ذلك الموضع.

فالتعبد لله -جل وعلا- عند القبور وتخصيصها بذلك من البدع المحرمة التي هي من الأسباب التي أدَّت إلىٰ انتشار الشرك.

أيضاً من الزيارات المحرمة للقبور، أن يسافر لأجل زيارة القبور، فلا يجوز السفر لزيارة أيِّ قبر كائناً من كان، لا قبور الأنبياء ولا قبور الصالحين ولا قبور الأولياء ولا قبور أحد من الخلق، لا يجوز السفر لذلك، فقد قال النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كما في الصحيحين(٢) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ** -والرَّحل ما يوضع علىٰ

(١) رواه أبو داود(٣٣١٣) عن ثابت بن الضحاك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) البخاري(١١٨٩) ومسلم(١٣٩٧ -٥١١-).

البعير لأجل أن يركبه الراكب فيسافر أي: لا تشد الرحال علىٰ ظهور الإبل لأجل السفر - **إِلَّا إِلَىٰ ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَمَسْجِدِي هَذَا** -أي مَسْجِدِ الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- **وَمَسْجِدِ الْأَقْصَىٰ**». فلا يجوز السفر إلىٰ بقعة من البقاع لطلب فضلها وقصدها بذاتها إلا إلىٰ هذه الثلاث البقاع: السفر إلىٰ المسجد الحرام مسجد الكعبة، والسفر إلىٰ مسجد الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، والسفر إلىٰ المسجد الأقصىٰ، فهذه الثلاث البقاع هي التي يجوز قصدها بالسفر لذاتها، وأما غيرها من البقاع فلا يجوز أن تقصد لذاتها بالسفر.

قال أهل العلم: حتىٰ الزائر لمسجد النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لا ينوي حين يسافر زيارة القبر بل ينوي زيارة المسجد، إذا أردتَ زيارة المسجد النبوي فليكن في نيتك حين تسافر وتخرج من مكانك أن تزور المسجد، لا أن تزور القبر، ثم إذا وصلتَ المسجد يُشرع أن تأتي قبر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتسلِّم عليه، وذلك لأن شدَّ الرحال إلىٰ غير الثلاثة المساجد منهي عنها، أي شدُّ الرحال إلىٰ أماكن لذاتها، وقصدُها لأن لها المنزلة أو الشرف، فهذا من الزيارة المحرمة، كما يفعله دعاة الصوفية في هذه الأزمنة، يَدْعُون إلىٰ السفر وإلىٰ شد الرحال لزيارة القبور والأضرحة، يشدُّون الرحال إليها بل ربما سافروا من دولة إلىٰ دولة أخرىٰ لزيارة بعض المشاهد والقبور، وهذا منهي عنه، ومخالف لأمر نبينا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فهو من الزيارة المحرمة.

النوع الثاني من الزيارة الممنوعة: الزيارة الشركية، الزيارة المنافية لأصل الإسلام **أن يزور القبور لقصد دعائها من دون الله** -جل وعلا- أو الاستغاثة بها أو الذبح لأهلها

والتقرب لهم بذلك، أو النذر لهم أو دعائهم من دون الله تعالىٰ، أو عمل أيِّ عبادة من العبادات، كالطواف بقبورهم والتمسُّح بأتربتهم رجاء النفع وطلبا للبركة منها، كل ذلك من الزيارة الشركية، فلا يجوز أن يكون قصد المسلمين بزيارة القبور أن يدعوها من دون الله أو أن يستغيثوا بأهلها المقبورين أو أن يتقربوا إليهم بالذبائح والنذور والأفعال التي لا تكون إلا لله سبحانه وتعالىٰ، كما يُروِّج له دعاة الشرك في هذه الأزمان، فيزورون القبور يستغيثون بها ويطوفون حولها ويتمسَّحون بأتربتها ويفعلون عندها من العبادات التي لا تكون إلا لله سبحانه وتعالىٰ.

فهذا منافٍ لدين الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فهو الذي بعثه الله ليدعو إلىٰ إفراد الله -جل وعلا- بالعبادة فلا تُصرف العبادة إلا لله، ولا تكون لأحد سواه، وصرفُها إلىٰ المقبورين أو إلىٰ الأضرحة أو من يسمىٰ بالأولياء يعتبر من الشرك بالله سبحانه وتعالىٰ.

وكم دخل علىٰ المسلمين بسبب هذه الفتنة من الضرر؟ كم غُرِّر بأناس؟ وكم تعلَّق أقوام بالقبور حتىٰ ظنوا أن بيد هؤلاء المقبورين الضر والنفع والعطاء والمنع والخير والشر، فصاروا يدعونهم ويستغيثون بهم ويتقربون إليهم بكثير من العبادات التي لا تكون إلا لله، وصرفُها لغير الله مَحْضُ الشرك.

فـ نعم عباد الله، هذا الأمر وهو الزيارة الممنوعة سواء كانت محرمة أو كانت شركية مما ينافي توحيد الله تعالىٰ، فالمحرمة هي من وسائل الشرك وذرائعه المؤدية إليه، والشركية هي المنافية لعين التوحيد، فإذا أراد المسلم زيارة القبور فليكن زائرا لها

لأحد المقاصد الثلاثة الشرعية التي تقدم ذكرها، ونسأل الله تعالىٰ لنا ولجميع المسلمين الهداية والتوفيق والسداد.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين وأذل الكفر والكافرين.

اللهم اغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين.

ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين.

اللهم اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار.

وصلىٰ الله علىٰ محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

٢٨/ رجب/ ١٤٤٥هجرية

أمور تنافي التوحيد١٥

الحكم بغير ما أنزل الله

إن الحمد لله، نحمده تعالىٰ ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

اعلموا أن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس، لا زلنا في ذكر الأمور التي تُنافي توحيد الله سبحانه وتعالىٰ، سواء كانت مما يُنافيه منافاةً كليةً أو جزئيةً، وسواء كانت مما ينافي أصل التوحيد أو مما ينافي كماله الواجب، وإن من الأمور التي تنافي توحيد الله سبحانه وتعالىٰ:

الحكم بغير ما أنزل الله سبحانه وتعالىٰ، فإن الله سبحانه وتعالىٰ هو الحَكَم، وإليه الحُكْم، وهو الذي يحكم بين عباده سبحانه وتعالىٰ، وأوجب الله -عز وجل- علىٰ العباد أن يتحاكموا إليه وإلىٰ ما جعله دينَه وشرعَه، ومن أسمائه سبحانه وتعالىٰ الحَكَم، ومن صفاته الحُكم، وأنه أحكم الحاكمين، فالحُكْم بغير ما أنزل الله سبحانه وتعالىٰ مما ينافي توحيد الله -جل وعلا- .

قال أهل العلم: الحكم بغير ما أنزل قد يكون منافيا لتوحيد الربوبية؛ وذلك لأن الله -جل وعلا- هو المُتفرِّدُ بالحكم، كما أنه المُتفرِّدُ بالخلق والرزق والتدبير، فمن جعل مع الله -جل وعلا- شريكًا في حكمه، واعتقد أن لغير الله أن يحكم الأحكام وأن يُشرِّعها ويوجِدها، فقد جعل لله تعالىٰ شريكًا في ربوبيتِه.

وقد يكون منافيًا لتوحيد الألوهية؛ لأن الله -جل وعلا- أوجب علىٰ عباده أن يعبدوه، ومن عبادته التحاكم إليه سبحانه وتعالىٰ، وإلىٰ ما شرعه لعباده من الدين، فالتحاكم إلىٰ الله عبادة، والتحاكم لغير الله -جل وعلا- صرْفٌ لهذه العبادة إلىٰ غير الله، وهذا مما ينافي توحيد الألوهية.

وهكذا قد يكون منافيًا لتوحيد الأسماء والصفات، فإن الله -جل وعلا- هو الحاكم، وهو الحَكَم، وإليه الحكم، وهو أحكم الحاكمين، فمن جعل غير الله تعالىٰ

حكماً وحاكماً، فقد جعل لله تعالىٰ مشاركاً في أسماء وصفاته، ولذا غيَّر النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ هذا الاسم لِما يوهمه من المشاركة لله -جل وعلا- في اسمه وفي صفته، جاء في السنن أن أبا شريح لَمَّا وَفَدَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ قَوْمِهِ سَمِعَهُمْ يُكَنُّونَهُ بِأَبِي الْحَكَمِ، فَدَعَاهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «**إِنَّ اللهَ هُوَ الْحَكَمُ، وَإِلَيْهِ الْحُكْمُ، فَلِمَ تُكَنَّىٰ أَبَا الْحَكَمِ؟**»، فَقَالَ: إِنَّ قَوْمِي إِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ أَتَوْنِي فَحَكَمْتُ بَيْنَهُمْ، فَرَضِيَ كِلَا الْفَرِيقَيْنِ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا أَحْسَنَ هَذَا، فَمَا لَكَ مِنَ الْوَلَدِ؟**»، قَالَ: لِي شُرَيْحٌ وَمُسْلِمٌ وَعَبْدُ اللهِ. قَالَ: «**فَمَنْ أَكْبَرُهُمْ؟**»، قَالَ: شُرَيْحٌ. قَالَ: «**فَأَنْتَ أَبُو شُرَيْحٍ**»(١).

فغيَّر الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ هذه الكنية لما تُوهِم من المشاركة لله -جل وعلا- في صفته، لأنه كان يحكم بين قومه فيحتكمون له، وكناه بأكبر أولاده، وقال: أنت أبو شريح.

عباد الله، إن الله سبحانه وتعالىٰ نهىٰ أن يُشرَك به في حكمه، فقال الله -جل وعلا- ﴿مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦﴾ [سورة الكهف:٢٦]، قرأ ابن عامر من القراء السبعة: ﴿وَلَا تُشْرِكْ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾، فكما نهىٰ الله تعالىٰ أن يُعبَد غيرُه، كذلك نهىٰ الله سبحانه وتعالىٰ أن يشرك غيره معه في حكمه سبحانه وتعالىٰ، فقال -جل وعلا-: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ

(١) رواه أبو داود(٤٩٥٥)، والنسائي (٥٣٨٧).

﴿بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ١١٠﴾، كذلك قال: ﴿وَلَا تُشْرِكْ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾، فكما نهىٰ الله تعالىٰ عن الشرك في عبادته، نهىٰ الله سبحانه وتعالىٰ عن الشرك في حكمه.

وقال الله -جل وعلا- في أكثر من موضعٍ من القرآن: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ٥٧﴾ [سورة الأنعام:٥٧]، ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ٦٧﴾ [سورة يوسف:٦٧]، فلا حُكم إلا لله سبحانه وتعالىٰ.

وقال الله سبحانه للنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ﴾ [سورة الأنعام:١١٤]، وقال الله -جل وعلا-: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ٨﴾ [سورة التين:٨]، فالحُكم لله سبحانه وتعالىٰ سواء كان حُكمًا كونيًا وهو ما يحكم به في كونه وخلقه مما يقضيه ويُقدِّره، أو كان حُكمًا شرعيًا وهو ما ألزم به عباده في هذه الدنيا من التحاكم إليه وإلىٰ دينه وشرعه، أو كان حُكمًا جزائيًا مما يكون من الحُكم بين العباد في الآخرة؟ فكلُّه لله سبحانه وتعالىٰ.

وأمَر الله تعالىٰ عبادَه بالتحاكم إليه فقال الله -جل وعلا-: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ﴾ [سورة الشورىٰ:١٠]، ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ﴾ [سورة النساء:٥٩] إذا كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر فرُدُّوا أموركم إلىٰ الله تعالىٰ.

وأنزل الله تعالىٰ كتابه ليحكم بين الناس، ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ [سورة البقرة:٢١٣].

وأمر الله تعالىٰ نبيه أن يحكم بما أنزله عليه، ﴿فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [سورة المائدة:٤٨]، ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [سورة المائدة:٤٩]، ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [سورة ص:٢٦]، وقال الله تعالىٰ لنبيه: ﴿فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ [سورة المائدة:٤٢] أي أهل الكتاب ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٤٢﴾ [سورة المائدة:٤٢]، والقسط هو ما أنزله الله –جل وعلا–، فإذًا الله –جل وعلا– هو الحكم سبحانه وتعالىٰ.

ويجب علىٰ العباد أن يتحاكموا إليه، ولا يجوز أن يتحاكموا إلىٰ غيره، فقد ذمَّ الله تعالىٰ من يفعل ذلك، وأنكر صنيعهم في كتابه الكريم، قال الله –جل وعلا– ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝٥٠﴾ [سورة المائدة:٥٠]، أيبغون أحكامَ الجاهلية وتشريعاتِها المخالفة لكلام الله وكلام رسوله، واللهُ –جل وعلا– أحسنُ حكما، قال الله تعالىٰ عن أهل الكتاب: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ

﴿٢٣﴾ [سورة آل عمران:٢٣]، وقال الله تعالىٰ عن المنافقين ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ [سورة النساء:٦٠]، يريدون أن يتحاكموا إلىٰ غير الله إلىٰ المشركين، إلىٰ السحرة، أو الكهنة، وقد أُمروا أن يكفروا بذلك، وهكذا قال الله عن المنافقين: ﴿وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ بَلْ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ [سورة النور:٤٨-٥٠]، فأخبر الله تعالىٰ أن ابتعادَهم عن حكم الله تعالىٰ ونفرتَهم عنه لمرضٍ في قلوبهم وهو مرض النفاق والريب والشك في الدين.

وهكذا أمر الله تعالىٰ المؤمنين بذلك فقال سبحانه: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ [سورة النساء:٦٥] فلا وربك يا محمد لا يؤمنون أي لا يستقيم إيمانهم حتىٰ يحكموك فيما شجر بينهم، في أمورهم في الدنيا، ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجًا مما قضيت، لا يجدون في أنفسهم كراهيةً لحكمك ولا ترفُّعًا عنه، بل يسلِّمون تسليمًا، كما قال الله ﴿وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ [سورة النساء:٦٥].

جاء في الصحيحين عن عبد الله بن الزبير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ خَاصَمَ الزُّبَيْرَ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي شِرَاجِ الْحَرَّةِ الَّتِي يَسْقُونَ بِهَا النَّخْلَ، -أي المكان

الـذي يسـيل فيـه المـاء- فَقَـالَ الْأَنْصَـارِيُّ -وكانـت مزرعـة الزبيـر أرفـع مـن مزرعـة الأنصاري ويصـل الماء إليـه أولاً قبـل الأنصـاري، فقـال-: سَـرِّحِ الْمَـاءَ يَمُرُّ. -اجعـل المـاء يمـر إلـيّ، والزبيـر يريـد أن يسـقي مزرعتـه ثـم يعطيـه الأنصـاري- فَـأَبَىٰ عَلَيْـهِ، فَاخْتَصَمَا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، -فأصلح بينهم صلحـًا بين أخٍ وأخيه في الله- فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلزُّبَيْرِ: «**أَسْقِ يَا زُبَيْرُ، ثُمَّ أَرْسِلِ الْمَاءَ إِلَىٰ جَارِكَ**»، فَغَضِبَ الْأَنْصَارِيُّ فَقَالَ: أَنْ كَانَ ابْنَ عَمَّتِكَ. -أي حكمت له لأنه ابـن عمتك! مع أنه كـان قد أحسن إلىٰ الأنصاري- فَتَلَوَّنَ وَجْهُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ -مبيِّنـًا للحكـم الشرعي-: «**اسْقِ يَا زُبَيْرُ ثُمَّ احْبِسِ الْمَاءَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَىٰ الْجَدْرِ**»، -والجدر: علامة في المزارع يجعلونها، فإذا وصل إليها الماء صار يستحقه مَن دونه- فَقَالَ الزُّبَيْرُ: وَاللهِ إِنِّي لَأَحْسِبُ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي ذَلِكَ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [سورة النساء:٦٥].

عباد الله، إن من صفات المؤمنين أنهم ينقـادون لحكـم الله ويسـلِّمون لـه، ولا يبغـون سـواه، ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾﴾ [سـورة النـور:٥١]، وقـال الله تعـالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ [سورة الأحزاب:٣٦]، فلـيس لهـم الخيـرة والاختيـار بعد حكم الله وحكـم رسـوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بـل يجـب علـيهم التسـليم والانقيـاد، فـلا

يجوز للمسلم أن يأبىٰ حكم الله، ولا أن يبتعد عنه، ولا أن يتحاكم إلىٰ غيره، ولا أن يعتقد أن غير الله سبحانه له الحكم، أو أنه يحكم ما شاء دون حكم الله سبحانه وتعالىٰ، أقول ما سمعتم.

والحمد لله رب العالمين.

***

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيراً.

أيها الناس، إن الذي يكون من خصائص الله سبحانه وتعالىٰ في باب الحكم: هو الاستقلال والانفراد بتشريع الأحكام بين العباد، فلا يجوز لأحد غير الله أن يُشرِّع الأحكام للناس، وأما أن الإنسان يكون حاكمًا بحكم الله فهذا ليس من المشاركة، بل هو من الاتِّباع، وإنما المحرَّم أن يستقلَّ الإنسان بوضع الأحكام وتشريعها دون الله سبحانه وتعالىٰ، أو أن يحكُم بالأحكام التي وضعها غير الله، فهذا هو الذي جعل نفسه مشاركًا مع الله تعالىٰ، أما أنَّ الإنسان يكون حاكمًا بحكم الله، منفذاً لذلك، فهذا من طاعة الله وعبادته وليس من المشاركة له.

عباد الله، إن هذا الأمر وهو الحكم بغير ما أنزل الله ليس خاصًا بالحاكم العام الذي هو حاكم الدولة أو البلد عمومًا، ولكنه في كل حَاكمٍ بين الناس، سواء كان حاكمًا عامًا، أو كان حاكمًا بين أفراد قبيلته، أو كان حاكمًا بين أفراد أسرته، أو كان حاكمًا بين أولاده، أو كان حاكمًا بين زوجاته، أو كان حاكمًا بين طائفةٍ من الناس، يجب عليه أن يلتزم حكم الله سبحانه وتعالىٰ.

ومما ينبَّه عليه أنه ليس من مخالفة حكم الله: الصلح بما يتفق عليه الطرفان، فقد يُصلح الإنسان صلحًا يكون فيه تنازلٌ عن بعض الحقوق من بعض الأطراف، أو من

كل الأطراف، فهذا جائز وقد أرشد الله تعالىٰ إليه فقال الله سبحانه في كتابه: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًاۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌۗ﴾ [سورة النساء:١٢٨].

والصلح قد يكون فيه تنازل من صاحب الحق عن شيءٍ من حَقِّه، أو يحتمل بعض الظلم من غيره؛ لإرادة الإصلاح واجتماع الكلمة، كما أصلح النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في أول الأمر بين الزبير وصاحبه الأنصاري، فهذا ليس منافياً للحكم بما أنزل الله، وإنما هو مراعاةٌ للخير بين الناس.

وأما الحكم بغير ما أنزل الله فهو تحكيمٌ لغير شرع الله ودينه وما حكم به، كتحكيم القوانين التي هي من وضع البشر وليست مأخوذة من كتاب الله وسنة رسوله، أما ما كان من الأحكام مأخوذاً من القرآن والسنة ولكنه رُتِّب وجُعل علىٰ فقرات ومسائل فهذا قد امتلأت به كتب الفقه وكتب أهل العلم، يجعلون أحكام الله ورسوله مرتَّبةً منظَّمةً علىٰ فقرات ومسائل مختصرة حتىٰ يسهل أخذُها علىٰ العباد، ولكن المحرَّم هو الحكم بالقوانين التي وضعها البشر وليس لها صلةٌ بكتاب الله ولا بسنة رسوله، كالقانون الفرنسي أو الأمريكي، أو غيرها من قوانين الكفار التي يُحكَم بها في بعض بلدان المسلمين.

أو كان الحكم بغير ما أنزل الله حُكماً بالأعراف والأسلاف التي توارثَتْها القبائل خلفُهم عن سلفِهم، ومتأخِّرُهم عن مُتقدِّمِهم، ورثوا أحكاماً وأعرافاً وأسلافاً مخالفة

لكتاب الله ولسنة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعملون بها ويقدِّمونها علىٰ القرآن والسنة، فهذا من الحكم بغير ما أنزل الله، الذي نهىٰ الله سبحانه وتعالىٰ عنه.

أو كان الحكم بغير ما أنزل الله، إسنادًا للحكم إلىٰ الشعب، فما رآه الشعب مصلحةً أو منفعةً أو حلالًا ولو كان محرَّمًا يصير حلالًا ويمضي الناس علىٰ العمل به، وهو ما يسمىٰ بـ(الديمقراطية)، التي هي جَعْلُ الحكم للشعوب، فتكون هي التي تحكم بما تشاء، وتقرِّر ما تشاء، خلاف حُكْمِ الله وحُكْمِ رسوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فكلُّ ذلك منهي عنه، كلُّ ذلك مما يدخل في منافاة توحيد الله سبحانه وتعالىٰ.

عباد الله، إن الله تعالىٰ قد حذَّرنا من ذلك أشدَّ التحذير، وأخبرَنا تعالىٰ أن الحكم بغير ما أنزل سبحانه وتعالىٰ كفرٌ وظلمٌ وفسقٌ، في ثلاث آيات متوالية من سورة المائدة، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [سورة المائدة:٤٤]، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [سورة المائدة:٤٥]، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [سورة المائدة:٤٧].

قال أهل العلم:

١ - إن حَكَم الحاكم بغير ما أنزل الله جاحداً لحكم الله ومنكراً له، ٢- أو معتقداً أن حكم غير الله أحسن من حكم الله وأفضل، ٣- أو اعتقد أن حكم الله لا يصلح في هذه الأزمان، وإنما كان حكم الله في أزمنة متقدمة، أما هذه الأزمان فتريد أحكامًا تناسبها، ٤ - أو اعتقد أن الحكم بغير ما أنزل الله مساوٍ للحكم بما أنزل الله، فكلُّه عنده سواء،

٥- أو اعتقد أن الحكم بغير ما أنزل الله جائزٌ، فيجوز أن يحكم بغير ما أنزل الله ويترك حكم الله، كما يجوز أن يحكم بحكم الله، فكلُّ هذا من الكفر الأكبر، إذا صَحِبَ الحكمَ بغير ما أنزل الله أحدُ هذه الاعتقادات صار كفراً أكبر مخرجاً من الإسلام.

٦- وإن حكم بغير ما أنزل الله لشهوة كمصلحةٍ دنيوية، إما لرشوة أو لحرصٍ علىٰ منصبٍ ومسؤولية، مع اعتقاده أن حكم الله هو الواجب والأفضل، أو حَكَمَ بغير ما أنزل الله بسبب شبهةٍ وتأويلٍ عَرَضَ له، أو حكم بغير ما أنزل الله جهلاً منه بحكم الله تعالىٰ وعدم معرفةٍ له، فهذا لا يكون كافراً كفراً أكبر، بل قد يكون كفراً أصغر كما إذا حكم لمصلحةٍ دنيوية، وقد يكون معذوراً في ذلك كما إذا حكم لتأويلٍ وشبهة، أو إذا حكم عن جهل[1]، قال ابن عباس وغيره من السلف في تفسير هذه الآية: ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٤٤﴾ [سورة المائدة:٤٤]، قال: (هذا كفرٌ دون كفر)، وقال في رواية عنه: (لَيۡسَ هُوَ بِالْكُفْرِ الَّذِي يَذْهَبُونَ إِلَيْهِ)، وقال في رواية: (ليس بالكفر المخرج من الملة، ولكنه كفرٌ دون كفر).

(١) يكون معذورا بالنسبة للكفر، فلا يكفر بذلك إذا كان يجهل حكم الله، أما من حيث الإثم فإنه آثم علىٰ إقدامه علىٰ الحكم وهو جاهل؛ فإن الحكم لا يجوز الإقدام عليه إلا مع العلم، وقد جاء في ذلك الوعيد الشديد، فقد أخرج أبو داود (٣٥٧٣) والترمذي (١٣٢٢) عَنِ بُرَيْدَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الْقُضَاةُ ثَلَاثَةٌ: وَاحِدٌ فِي الْجَنَّةِ، وَاثْنَانِ فِي النَّارِ، فَأَمَّا الَّذِي فِي الْجَنَّةِ فَرَجُلٌ عَرَفَ الْحَقَّ فَقَضَىٰ بِهِ، وَرَجُلٌ عَرَفَ الْحَقَّ فَجَارَ فِي الْحُكْمِ، فَهُوَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ قَضَىٰ لِلنَّاسِ عَلَىٰ جَهْلٍ فَهُوَ فِي النَّارِ».

فعلىٰ هذا فالواجب هو التحاكم إلىٰ الله تعالىٰ، الواجب هو التحاكم إلىٰ كتاب الله وإلىٰ سنة رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، والبُعْد عن التحاكم إلىٰ غير ذلك، لأن هذا فيه مخالفة لأمر الله ولأمر رسوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ولأن حكم الله أنفعُ للعباد، فحُكْمُ الله من حكيمٍ خبيرٍ، حُكْمُ الله يعلم ما فيه من المصالح، ويعلم المفاسد التي دُرِئَتْ به، ويعلم الله تعالىٰ ما يُصلح العباد، فهو الذي خلقهم وهو الذي يعلم ما يصلحهم، فحكم الله فيه خيرٌ للناس، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝٥٠﴾ [سورة المائدة:٥٠].

حكم الله فيه ائتلاف الناس، فيه اجتماعهم، فيه قُوَّتُهم، فيه اجتماع كلمتهم، فيه إيصال الحقوق إلىٰ أهلها، فيه دفع الفتن والشرور عن الناس، حكمُ الله رحمةٌ بالعباد، وصلاحٌ لدينهم ودنياهم، إذا طُبِّق حكم الله فسيأمن الناس علىٰ أموالهم، وعلىٰ أعراضهم، وعلىٰ عقولهم، وعلىٰ دمائهم، وعلىٰ سائر شؤون حياتهم، إذا طُبِّق حكم الله ساد الأمن والأمان والاستقرار والرحمة بين الناس.

ألم يقل الله: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [سورة البقرة:١٧٩]، إذا عَلِمَ القاتلُ عمداً أنه سيُقتل؛ كفَّ عن القتل، ولا يمكن أن يتجرأ عليه، فإذا قُتِل القاتل وأُقيم عليه القصاص، حُفظت الدماء، ولا أحد يتجرأ علىٰ القتل، إذا قُطعَت يد السارق حفظت أموال الناس، ولا أحد يتجرأ علىٰ السرقة، إذا رُجم الزاني المحصن حتىٰ يموت والناس ينظرون إليه، كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٢﴾ [سورة النور:٢]، ارتدع الناس وكفُّوا عن محارم الناس، ولا أحد يعتدي

علىٰ عرض أحد، إذا جُلِد شارب الخمر والناس ينظرون إليه، انكَّف الناس عن شرب الخمر وحُفِظت عقولهم، إذا أقيمت حدود الله علىٰ قُطَّاع الطرق والمفسدين في الأرض، كما قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٣٣﴾ [سورة المائدة:٣٣]، إذا طُبِّق ذلك زالت الشرور، وذهبت المنكرات، ويفشوا بين الناس الخير والتآلف، وتُصان الحقوق، وتُصانُ الأعراض، وتُصانُ الأموال، فحُكم الله لا أحسن منه، وأما قوانين البشر فمهما كانت هي من أوضاع بشر، عقولهم قاصرة وعلمهم قليل، ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٥﴾ [سورة الإسراء:٨٥] ونظرهم قاصر، لا يُقَدِّرون المصالح والمفاسد، فلا سعادة للعباد ولا نفع لهم بتحكيم القوانين، وإنما هي سبيلٌ لإشاعة الفوضىٰ، وسبيلٌ لإشاعة الفتن، ولا صلاح للعباد ولا استقرار لهم بتحكيم الديمقراطية وجَعْلِ الحكم للشعب، فإن هذا سيؤدي إلىٰ الانسلاخ من الدين، يؤدي إلىٰ عدم احترام الشرائع، يؤدي إلىٰ أن تكون حياةُ الناس بهيميةً شهوانية ليس لهم هَمٌّ إلا في شهواتهم كالبهائم، يعبدون فروجهم وبطونهم، فما أرادوه من الحرام أَحَلُّوه، فكيف تستقيم حياةُ الناس؟ لا شك أنها ستَنْحَلُّ حياتهم، وتصير إلىٰ ضياع.

فـلا سـبيل للعبـاد ولا نجـاة لهـم إلا بحكـم الله وحكـم رسـوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والتحاكم إلىٰ ذلك وتحكيمه.

فهذا الذي ندعو إليه أنفسنا، سواء في الحكم علىٰ أنفسنا، أو أولادنا، أو أهلينا، أو من يتحاكم إلينا، وهذا الذي ندعو إليه المسلمين عمومًا حُكَّامًا ومحكومين أن يأخذوا بحكم الله ففيه السعادة، وفيه الخير للعباد، وفيه النفع والصلاح.

والله لن تستقيم حياة العباد إلا بتحكيم كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، انظر اليوم حين ابتعد الناس عن ذلك كيف صارت حياتهم؟ لا يأمن الإنسان علىٰ دمه ولا ماله ولا عرضه ولا حَقِّه، فَشَت المنكرات، وحصل الاعتداء، وحصل الظلم، وضُيِّعَت الحقوق، وانتُهِكت الأعراض؛ بسبب تضييع حكم الله سبحانه وتعالىٰ وعدم التزامه.

عباد الله، إن طائفةً من أهل البدع والضَّلال قد استغلوا هذه المسألة في تفريق جماعة المسلمين، كالخوارج والمعتزلة وأمثالهم، فقد كفَّروا المسلمين بسبب هذه المسألة، واعتقدوا جواز الخروج علىٰ حكَّامِهم بسبب هذه المسألة، واعتقدوا جواز سفك الدماء وانتهاك الأعراض وتفريق كلمة المسلمين بحجة أنهم يريدون إقامة حكم الله.

ولم يراعوا في ذلك ما ذكره العلماء من الضوابط والشروط، ولم يراعوا في ذلك مصلحةً ولا مفسدة، فَجَرُّوا المسلمين إلىٰ ويلات، ودمروا بلاد المسلمين، وسلَّطوا الظلمة والمجرمين عليهم بسبب أفعالهم الطائشة، وحماساتهم الفارغة، وكفَّروا كثيرا

من المسلمين بما قد يكون لهم فيه عُذرٌ، فقد يكونون متأوِّلين، أو جاهلين، أو مُغَرَّرا بهم من بعض علماء الضلال، أو يكون عندهم أمرٌ من الأمور التي يُعذرون بها، فلم يُراعوا ذلك كلَّه وأقدموا علىٰ تكفيرهم.

بينما طائفةٌ أخرىٰ من علماء الضلال، ممن يُحابون الملوك والسلاطين، برَّروا لهم تحكيم غير كتاب الله وغير شريعته، ودعوهم إلىٰ ذلك، دعوهم إلىٰ تحكيم قوانين البشر، ودساتيرهم المستوردة من الكافرين، وبرَّروا لهم هذا الصنيع، وأفتوهم بجوازه وحِلِّه، وكلُّ ذلك من المنكر.

وأهل السنة علىٰ خلاف هؤلاء كلهم، فليس عندهم طيش الخوارج واعتداؤهم علىٰ المسلمين، وليس عندهم تفريط الذين لا يبالون بدين الله وشرعه، ويُبرِّرون المحرمات للملوك والرؤساء، ولكن الأمر عندهم مضبوطٌ بضوابطه، ومقيدٌ بقيوده الواردة في الكتاب والسنة.

فعلىٰ المسلمين أن يعتنوا بهذا الأمر العظيم الذي فيه صلاح حياتهم الدنيا وصلاح آخرتهم.

نسأل الله -جل وعلا- أن يوفق المسلمين حُكَّامًا ومحكومين لإقامة دينه وشرعه في هذه الأرض.

اللهم إنا نسألك الهدىٰ والتقىٰ والعفاف والغنىٰ.

اللهم آت نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها.

اللهم اغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين.

اللهم اجعل بلدنا هذا آمنًا مطمئنًا وسائر بلاد المسلمين.

اللهم آمِنَّا في أوطاننا، اللهم أصلح أئمتنا وولاة أمورنا، اللهم يسر لهم البطانة الصالحة التي تدُلُّهم علىٰ الخير وتحثُّهم عليه، اللهم اهدهم إلىٰ ما فيه صلاح العباد والبلاد.

اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات.

اللهم ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين.

وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمدٍ وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

٦/ شعبان/ ١٤٤٥هجرية

خاتمة

(وجوب تعلم التوحيد)

إن الحمد لله، نحمده تعالىٰ ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

اعلموا أن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس، كان مما مضىٰ الحديث عنه ذكرُ مواضيعَ كثيرة مما يتعلق بتوحيد الله سبحانه وتعالىٰ، في بيان التوحيد، وأهميته وفضله، وبيان حقيقته، وفي التحذير من ضده الذي هو الشرك بالله تعالىٰ، وبيان قبحه، وسوء عاقبته في الدنيا والآخرة، وهكذا في ذكر أمور تنافي توحيد الله سبحانه وتعالىٰ، من الأقوال والأفعال، التي تنافي توحيد الله سبحانه إما منافاةً كلية، فيقع صاحبها في الشرك الأكبر، أو تنافي كماله الواجب، فيقع فاعلها في الشرك الأصغر، وما يكون من ذرائع الشرك ووسائله.

وفي ختام ذلك، يجب أن نعلم أن هذا الأمر هو الذي خلقنا الله تعالىٰ لأجله، فالله -عز وجل- أوجدَنا في هذه الدنيا لنقيم توحيده، وعلينا أن نعلم أن هذا العلم من العلم الذي يجب تعلُّمه، ولا يجوز الجهل به، فهو علم واجب علىٰ المؤمن أن يتعلمه، بل هو من أوجب الواجبات عليه، أن يتعلم توحيد الله سبحانه، وما يتصل به، وما ينافيه من الشرك، ومن المخالفات للتوحيد.

فالله -عز وجل- أمر نبيه وأمر المؤمنين بتعلُّم ذلك، قال الله سبحانه لنبيه: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [سورة محمد:١٩]، اعلم يا محمد أنه لا إله إلا الله، وهذا هو حقيقة التوحيد، فيجب العلم به، وهكذا خاطب الله المسلمين بقوله: ﴿فَإِلَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ﴾ أي إن لم يستجب لكم أهل الشرك، ﴿فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلۡمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٤﴾ [سورة هود:١٤]، فاعلموا أنما أنزل بعلم الله، وأن لا إله إلا هو، أي واعلموا أنه لا إله إلا هو، ﴿فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٤﴾ هل أنتم

مستمرون علىٰ هذا الإسلام، وثابتون عليه؟ فيجب عليك أيها المسلم أن تتعلم توحيد الله سبحانه.

هذا التوحيد هو الذي تُسأل عنه في قبرك، ولا ينفعك أحد في ذلك الموضع، أول ما تُوضع في قبرك، تُسأل عن توحيدك لله -جل وعلا-، فما من ميت إلا يأتيه ملكان يسألانه، إن كان مقبورا فيقعدانه في قبره ويسألانه، وإن لم يُقبَر فنؤمن أنه يُسأل هذه الثلاثة الأسئلة كما شاء الله، وهي التوحيد، يسألانه عن ربه، وعن دينه، وعن الرجل الذي بعثه الله تعالىٰ إليه، -إلا من استثنىٰ الله من هذه الأسئلة كالأنبياء والشهداء ونحوهم- وهذا كُلّه يدلُّ علىٰ وجوب تعلُّمه، وأن المؤمن يتعلم ذلك في الدنيا ويجتهد فيه، لا سيما وعلم التوحيد اليوم مبذول في كثير من الأماكن، وقد لا يوجد في بعض الأماكن، لكن في كثير من الأماكن تجد من يُعلُّمه، ومن يدعو إليه، فيجب علىٰ الإنسان أن يتعلم ذلك، وأن يقرأ ما كتب أهل العلم فيه، حتىٰ يكون علىٰ بصيرة من أمره.

هذه الدعوة دعوة التوحيد، هي أول دعوة دعا إليها الرسول عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وهي آخر دعوة دعا إليها، فهي الدعوة التي استغرقت كلَّ حياته، فأولُّ ما جاء الناسَ دعاهم إلىٰ التوحيد، في أوائل الإسلام، ظل يدعو إليه حتىٰ إن هرقل لما أرسل إليه الرسول عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ رسالة يدعوه فيها إلىٰ الإسلام، دعا أبا سفيان، وكان أبو سفيان آنذاك

مشركًا، قال له: إلىٰ ماذا يدعوكم محمد؟. قال: يقول: «**اعْبُدُوا اللهَ وَحْدَهُ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَاتْرُكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ**»(١). فهذه دعوته من أول أمره.

وهكذا النجاشي سأل جعفر بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن دعوة الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، كما في حديث أم سلمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا عند الإمام أحمد (١٧٤٠)، حين هاجر الصحابة إلىٰ الحبشة، في أول الإسلام، فلحقهم مشركو مكة، فقالوا: (أَيُّهَا الْمَلِكُ، إِنَّهُ قَدْ صَبَا إِلَىٰ بَلَدِكَ مِنَّا غِلْمَانٌ سُفَهَاءُ، فَارَقُوا دِينَ قَوْمِهِمْ، وَلَمْ يَدْخُلُوا فِي دِينِكَ، وَجَاءُوا بِدِينٍ مُبْتَدَعٍ لَا نَعْرِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ، فرُدَّهم إلىٰ قومهم)، فدعاهم النجاشي، فسألهم ما هذا الدين، الذي فارقتم به قومكم، ولم تدخلوا في ديني ولا دين أحد من الأمم، فقام جعفر بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وكلَّمه، فقال: (أَيُّهَا الْمَلِكُ، كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ : نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ، وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ، وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ، وَنَقْطَعُ الْأَرْحَامَ، وَنُسِيءُ الْجِوَارَ، يَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَّا الضَّعِيفَ)، وهذا تلخيص حال الجاهلية، ومنها أنهم كانوا يعبدون غير الله، قال: (فَكُنَّا عَلَىٰ ذَلِكَ، حَتَّىٰ بَعَثَ اللهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مِنَّا، نَعْرِفُ نَسَبَهُ، وَصِدْقَهُ، وَأَمَانَتَهُ، وَعَفَافَهُ، فَدَعَانَا إِلَىٰ اللهِ ؛ لِنُوَحِّدَهُ، وَنَعْبُدَهُ، وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنَ الْحِجَارَةِ، وَالْأَوْثَانِ)، فهذه دعوة الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، دعا إلىٰ توحيد الله وإفراده بالعبادة، وخَلْع كل ما يُعبد من دونه، سواء كان من الحجارة، أو

(١) رواه البخاري(٧)، ومسلم(١٧٧٣ -٧٤-).

من القبور والأضرحة، أو كان من الأصنام والأنصاب، وسواء كانت العبادة لمَلَك، أو لرسول، أو لرجل صالح، كلُّ ذلك من الشرك بالله سبحانه.

فهذه دعوته عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فأخبرهم النجاشي في آخر الحديث أن هذه الدعوة هي التي دعا إليها عيسىٰ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وكان علىٰ دين عيسىٰ، ثم أسلم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ .

وهكذا نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ استغرق حياته في ذلك، فبقي في مكة ثلاثة عشر سنة، لم يُفرَض عليه إلا التوحيد، حتىٰ كان في آخر العهد المكي قبل الهجرة، قيل: بسنة، وقيل: بنحو ذلك، فُرِضَت الصلاة، وإلا فبقي ثلاثة عشر عاماً يدعو فيها إلىٰ توحيد الله تعالىٰ، ويُحاجُّ المشركين، ويناقشهم، وينزل القرآن في ذلك، ولذا تجد آيات القرآن المكي أكثرها في تقرير التوحيد، وذمِّ الشرك، ومناقشة المشركين، ورد أقوالهم، وهكذا كل حياته، استغرقها عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ معلِّماً للتوحيد، داعياً إليه، حتىٰ كان في آخر لحظات حياته، لم يترك ذلك، قال جندب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ كما في صحيح مسلم (٥٣٢ - ٢٣) : سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِخَمْسٍ، وَهُوَ يَقُولُ: «**أَلَا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ، إِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ**».

بل وهو في سياق الموت، تقول عائشة وابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وهو في سياق الموت: «**لَعْنَةُ اللهِ عَلَىٰ الْيَهُودِ، وَالنَّصَارَىٰ؛ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**». يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا.(١) أي مما أشركوا بالله، وعبدوا القبور.

وهكذا كان يبعث الرسل والدعاة إلىٰ البلدان ويأمرهم بتعليم الناس التوحيد، ويخبرهم أنه أول ما يجب عليهم أن يبلغوه الناس، ففي الصحيحين(٢) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعث معاذاً إلىٰ اليمن، ثم قال له: «**فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللهِ**»، وفي رواية البخاري (٧٣٧٢): «**أَنْ يُوَحِّدُوا اللهَ تَعَالَىٰ**»، أول ما تدعوهم إليه أن يفردوا الله تعالىٰ بالعبادة، هذه أول دعوةٍ كان الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يحثُّ عليها، وهكذا كلُّ الرسل عليهم الصلاة والسلام قضوا حياتهم في ذلك، ودعوا أممهم إلىٰ توحيد الله، ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [سورة النحل:٣٦]، كل الرسل هذه دعوتهم، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [سورة الأنبياء:٢٥]، فالرسل -عليهم الصلاة والسلام- استوعبوا حياتهم، في دعوة الناس إلىٰ هذا الأمر العظيم، إلىٰ توحيد الله، ونفي الإشراك به، واجتناب عبادة من سواه.

(١) رواه البخاري(٤٣٦)، ومسلم(٥٣١ -٢٢-).

(٢) رواه البخاري(١٤٥٨)، ومسلم(١٩ -٣١-).

فهذا أيها المسلم، واجب عليك، هذا خلاصة الدين، هذا خلاصة بعثة الرسل، هذا الأمر الذي خلق الله الدنيا من أجله، أن تكون موحِّداً لله تعالىٰ، فيجب عليك أن تتعلم ذلك، وأن تسأل عنه، ولا يجوز لك أن تعرض، ولا أن تُقصِّر في طلب هذا الأمر العظيم.

يجب أن يُرَسَّخ توحيد الله في قلوب الصغير والكبير، ولذا لم يترك النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فرصةً ولا مناسبةً مع الصغير والكبير والذكر والأنثىٰ إلا قرَّر التوحيد، ركب معه ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا يوماً وكان غلاماً، فقال له: «**يَا غُلَامُ، إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ** - لا تسأل غيره-، **وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَىٰ أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَىٰ أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ**»(١).

وهكذا أتاه معاوية بن الحكم السلمي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فأخبره أنه ضرب جارية كانت ترعىٰ الغنم، فدعاها النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وقال لها: «**أَيْنَ اللهُ؟**». قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ. قَالَ: «**مَنْ أَنَا؟**». قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللهِ. قَالَ: «**أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ**»(٢). تعليمٌ لتوحيد الله -جل وعلا- في كلِّ فرصة.

---

(١) رواه الترمذي(٢٥١٦).

(٢) رواه مسلم(٥٣٧ -٣٣-).

أتاه رجلٌ فقال: يَا سَيِّدَنَا وَابْنَ سَيِّدِنَا، وَيَا خَيْرَنَا وَابْنَ خَيْرِنَا. فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، وَلَا يَسْتَهْوِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ**». احذروا أن تتجاوزوا، احذروا من الغلو، «**أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، وَاللهِ مَا أُحِبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي الَّتِي أَنْزَلَنِيَ اللهُ**»(١).

وهكذا كان في كل شأنه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، خرج معه ناس ممن أسلموا يوم الفتح إلىٰ حُنين، ولم يمضِ علىٰ إسلامهم إلا نحو شهر، أناس حديثٌ عهدهم بالإسلام، فرأوا المشركين يُعلِّقون أسلحتهم في شجرة، ويعتقدون أن تعليق الأسلحة في هذه الشجرة يزيدها قوة، قالوا: يَا رَسُولَ اللهِ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ، أي اجعل لنا شجرة ذات معاليق، قال: «**سُبْحَانَ اللهِ، هَذَا كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَىٰ**: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [سورة الأعراف:١٣٨] **وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَرْكَبُنَّ سُنَّةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ**»(٢). فحذَّرهم من الشرك، ومن أسبابه وذرائعه، وهم حديثو عهدٍ بالإسلام.

كان يأتيه الأعرابي فيخاطبه بما يفهم؛ ليعلِّمه التوحيد، أتاه أَبُو جُرَيٍّ جابِرِ بْنِ سُلَيْمٍ رضي الله عنه فقَالَ: قُلْتُ: أَنْتَ رَسُولُ اللهِ؟ قَالَ: «**أَنَا رَسُولُ اللهِ الَّذِي إِذَا أَصَابَكَ ضُرٌّ فَدَعَوْتَهُ** -أي دعوت الله- **كَشَفَهُ عَنْكَ، وَإِنْ أَصَابَكَ عَامُ سَنَةٍ فَدَعَوْتَهُ، أَنْبَتَهَا لَكَ، وَإِذَا كُنْتَ بِأَرْضٍ قَفْرَاءَ - أَوْ فَلَاةٍ - فَضَلَّتْ رَاحِلَتُكَ فَدَعَوْتَهُ، رَدَّهَا عَلَيْكَ**». إلىٰ آخر

(١) رواه أحمد(١٣٥٢٩)، و(١٢٥٥١).

(٢) رواه الترمذي(٢١٨٠) عَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الحديث[(١)]، فهذا أعرابي يفهم الزرع والنبات والمطر والصحراء ونحوها، فخاطبه بما يفهم ليعلِّمه التوحيد.

فواجب علىٰ المسلم أن يتعلَّم ذلك، وأن يسعىٰ فيه، وأن يجتهد في تعلُّمه، ويحذر من الإعراض عنه، فإن هذا أوجب ما يجب علىٰ المسلم أن يتعلمه في هذه الحياة الدنيا؟ أقول ما سمعتم.

والحمد لله رب العالمين.

***

(١) أخرجه أبو داود (٤٠٨٤).

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيراً.

أيها الناس، ومما دعا إليه نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مما يكون فيه تعليمُ التوحيد، وترسيخُه في قلوب الناس، ودفعُ كلِّ ما ينافيه ويناقضه، أنه أمر ووصَّىٰ بإخراج أهل الشرك من جزيرة العرب، وهذا كان في سياق الموت، قال ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا كما في الصحيحين(١): إن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ اشتد وجعه -أي وجع الموت-، فقال: «**أُوصِيكُمْ بِثَلَاثٍ**»، وكان من هذه الثلاث أن قال: «**أَخْرِجُوا الْمُشْرِكِينَ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ**». وفي مسند الإمام أحمد (٢٦٣٥٢)، عن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا، قالت: كَانَ آخِرُ مَا عَهِدَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أَنْ قَالَ: «**لَا يُتْرَكُ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ دِينَانِ**». هذه الجزيرة، التي هي مهبط الوحي، ومنها انتشر الإسلام إلىٰ أرجاء الدنيا.

والجزيرة هي اليمن، ودُوَلُ الخليج -أرض نجد، والحجاز، وأرض اليمن- وسُمِّيت جزيرة لأنها في وسط مياه، تحيط بها البحار من أكثر جوانبها، فحثَّ الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وهو في سياق الموت علىٰ إخراج المشركين من هذه الجزيرة، فلا يجوز أن يسكنوا جزيرة العرب، ولا أن يبقوا فيها، لا يجوز أن يسكن في بلاد اليمن، ولا بلاد الخليج يهوديٌّ، ولا نصراني، ولا بوذي، ولا هندوسي، ولا مجوسي، ولا

(١) رواه البخاري(٣٠٥٣)، ومسلم(١٦٣٧ -٢٠-).

مشرك بأي صنف من أصناف الشرك؛ فإن هذه الجزيرة جزيرةُ التوحيد، جزيرةُ الإسلام، لا يجوز بناء الكنائس فيها، ولا يجوز استقدام العُمَّال من الكفار إلىٰ جزيرة العرب، ليبقوا ويستقروا فيها، بل يجب إخراجهم منها.

وفي صحيح مسلم (١٧٦٧ -٦٣-) عن عمر رضي الله عنه أن النبي صَلَّىٰللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قال: «**لَأُخْرِجَنَّ الْيَهُودَ، وَالنَّصَارَىٰ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، حَتَّىٰ لَا أَدَعَ إِلَّا مُسْلِمًا**». وجاء في صحيح البخاري (٧٣٤٨)، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي عَلَيۡهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ خرج إلىٰ يهود، فقال: «**يَا مَعْشَرَ يَهُودَ، أَسْلِمُوا تَسْلَمُوا، اعْلَمُوا أَنَّمَا الْأَرْضُ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ، وَأَنِّي أُرِيدُ أَنْ أُجْلِيَكُمْ مِنْ هَذِهِ الْأَرْضِ، فَمَنْ وَجَدَ مِنْكُمْ بِمَالِهِ شَيْئًا فَلْيَبِعْهُ، وَإِلَّا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا الْأَرْضُ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ**». وفعلاً أخرجهم عَلَيۡهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ من المدينة، أخرج كلَّ قبائل اليهود التي كانت في المدينة، بنو قَيْنُقَاع وبنو النَّضير وبنو حارثة وبنو قُريظة، ولم يُبقِ فيها يهوديا، فمنهم من خرج إلىٰ خيبر، حتىٰ أجلاهم منها عمر رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ إلىٰ الشام، فلم يبق في الجزيرة إلا مسلم .

هذه الجزيرة، جزيرة التوحيد، أراد الرسول عَلَيۡهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ أن لا يُرىٰ فيها شرك، وأن لا يُوجد فيها شرك، وأن لا يعيش فيها مشرك، فإنها قد طُهِّرت من الشرك بالله سبحانه، فلا يجوز إقرار أحدٍ من المشركين أو الكافرين علىٰ العيش في جزيرة العرب، وأجمع أهل العلم علىٰ حرمة بناء الكنائس أو معابد اليهود في جزيرة العرب، لئلا يزاحم دينَ الإسلام دينٌ سواه.

كلُّ هذا من تعليم التوحيد، ونشرِه في الناس، حتىٰ ينشأ الناشئ علىٰ التوحيد، ينشأ الصغير والكبير علىٰ عبادة الله، ينشأ الذكر والأنثىٰ، وهو لا يرىٰ إلا مسلمين، فيرسُخ التوحيد في القلوب، وتعظُم مكانته فيها.

فهذا من تقريره عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لتوحيد الله، وكانت هذه الوصية في آخر حياته، أن لا يجتمع في هذه الجزيرة دينان، فقد طهَّرها الله من كل شرك، فلا يجوز أن يجتمع فيها دين آخر مع دين الإسلام.

فـ نعم عباد الله، كلُّ هذا مما بذله نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، لترسيخ هذا الأمر العظيم، الذي هو توحيد الله تعالىٰ في قلوب المسلمين.

فيا أيها المسلم احرص علىٰ ذلك، يا أيها المسلم تتبَّع ذلك، واعمر حياتك به، فإن الله تعالىٰ خلقك لأجله، ولا يجوز أن تعيش جاهلاً بتوحيد الله سبحانه وتعالىٰ مع إمكانك أن تتعلمه، ومع وجود العلم بين يديك، يجب أن تسأل عما أشكل فيه، وأن تستفسر عما التبس عليك مما يتعلق به، حتىٰ يزول كلُّ إشكال، وكلُّ لبسٍ في هذا الأمر العظيم، الذي خلقنا الله تعالىٰ لأجله.

وفي الختام، نسأل الله سبحانه وتعالىٰ بمنه وكرمه أن يُمكِّن لدعوة التوحيد في أرضه، نسأل الله -جل وعلا- أن ينجِّي المسلمين من الشرك وأسبابه.

اللهم ادفع عنا وعن بلادنا كل دعوة شرٍ وضلالٍ يا رب العالمين.

اللهم مكِّن لدينك الحق في أرضك يا قوي يا عزيز.

اللهم عليك بمن يريد إدخال الشرك، وما ينافي توحيدك علىٰ المسلمين، اللهم عليك بهم يا قوي يا متين.

اللهم انفعنا بما علمتنا وعلمنا ما ينفعنا.

اللهم اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار.

اللهم اغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين.

ربنا ظلمنا أنفسنا، وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين.

والحمد لله رب العالمين.

١٣/ شعبان/ ١٤٤٥هجرية

الفهرس

الفهرس

***

التوحيد

أهميته وما يتعلق به وما ينافيه